لماذا خنت بلدي؟!

مؤسسة سندباد للنشر والإعلام

مؤسسة ثقافية تطرح مشروعًا ثقافيًا جادًا على اعتبار أن الثقافة رسالة، من خلال تبني الإبداعات التجريبية الطموحة وتقديمها دون قيد أوشرط، مع احترام حرية التعبير، ورعاية وتقديم المواهب المتميزة للحركة الأدبية، والتعريف بالكاتب وتقديمه إعلاميًا، عبر وسائل الاتصال المختلفة، والدعاية الجادة للمنتج الأدبي.

الكتاب: لماذا خنت بلدي؟! ـ رواية
الكاتب: عاطف يوسف ـ مصر / أمريكا
تصميم الغلاف للفنان: أحمد طه
الطبعة الأولى: 2021
الناشر: دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة
مستشار النشر: خليل الجيزاوي
المراسلة: khalilelgezawy@yahoo.com
للتواصل مع الناشر ت: 01005870514 +002
رقم الإيداع: 14128/ 2021
الترقيم الدولي: I.S.B.N :978 ـ 977 ـ 6879 ـ 40 ـ 9
جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر ويحظر إعادة النشر دون إذن كتابي من الناشر ومن يُخالف ذلك يُعرّض نفسه للمساءلة القانونية.

عاطف يوسف

لماذا خنت بلدي؟!

رواية

الناشر

دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

الطبعة الأولى 2021

الإهداء

إلى

دكتورة جون الين ميللر

جامعة نورث كالورينا الولايات المتحدة الأمريكية

عاطف يوسف

الفصل الأول

سالفاتور ديفرانكو ودينا بيريه من أفراد البحرية الأمريكية في قاعدة سانت ياجو بكاليفورنيا الولايات المتحدة، وتُعدُّ هذه القاعدة العسكرية قاعدة للأسطول الثالث الأمريكي، استدعى سال كما يلقبونه اختصارًا لاسمه الأول ودينا رفيقته في نفس الكتيبة إلى قيادة الأسطول وتحادثا همسًا كعادتهما وهما في أعالي البحار خوفًا من أن يسمعهما أحد من الأسماك ووحوش المحيطات، وفهموا أنهم سيكونان في مهمة عسكرية خارج المياه الأمريكية، وكان هذا كل ما في الأمر، استعد السيرجان ورفيقته لرحلة لم يعلم سوى الله إلى أين ولماذا؟!

لم يحاول أيًا منهما السؤال، بل عليهم الاستماع والإصغاء والتصديق، مرت عدة أيام في بحر سانتياجو الجميل الهادئ، ركنا ثلاثة أيام راحة لهما، وقد فطنت دينا أن هذه الراحة استعدادًا لرحيل ما، وافقها سال على ظنها، وتصفحت دينا أحد كتبها المفضلة عن الروائي والقاص هيمنجواي ليس لملأ فراغها، بل لكنس ما هو عالق في الذهن استعدادًا لما هو قادم، أما سال فكانت هوايته لعب البيسبول والشطرنج، يقضي فيهما الساعات لتنشيط دورته الدموية، كما كان يقول دائمًا وسن عقله وتشحيمه وهو يقهقه من تشحيمه لعقله، وكأنه محرك السفينة أو سيارته التي تركها كجثة في جراج بيت أبيه في شمال بوسطن، وكانت دينا تستخدمها أيضًا عندما يصادف زياراتها لأهلها في مدينة هيفرهيل وهي

المدينة التي شهدت طفولتهما ومدرستهما الأولية والثانوية والجامعية وتعاهدهما للارتباط ببعضهما مدى العمر، وقد كانت قاعدة سانتياجو البحرية، وفهم سال أن هذه القاعدة العسكرية هي أهم قواعد الولايات المتحدة على الأراضي الأمريكية، وقرأ في مكتبة الأسطول أنها القوات المسؤولة عن العمليات البحرية، وهي أكبر بحرية في العالم قوةً وعتادًا، ويبلغ عدد أفراد القوات البحرية ثلاثمائة وأربعين ألف موظّف، ويبلغ احتياطي البحرية مائة وثمانية وعشرين ألف موظف، وتضم هذه القوات البحرية 278 سفينة وأربعة آلاف طائرة تنطلق من البوارج البحرية، وتتميز هذه القوات بالطائرات التي تهبط ليلًا على سطح الحاملات، وتضم القوات البحرية الغوّاصات التي من مهامها الأساسية المراقبة والتجسس والقيام بالعمليات الخاصة كذلك السيطرة على مياه المحيطات وتلقب قوات المشاة البحرية بقوات المارينز، وتضم تحت الخدمة 190 ألف جندي، و40 ألف جندي ضمن القوات الإيطالية، وتقع قيادة قوات المارينز في منطقة أرلينغتون في فرجينيا، ومن أبرز مهام المارينز أنه الرديف لسلاح البحرية وقت الأزمات خلال القيام بالاقتحام الساحلي، وحراسة القواعد البحرية، والعمل بحرية خلال المداهمات التي تقوم بها في البر والجو والبحر، وتوصيل المعدات العسكرية والمعونات لسلاح البحرية عند الطلب.

سال ودينا من القوات الخاصة للمارينز، انتهت الثلاثة أيام وهما في أتم الاستعداد للرحيل في أية لحظة بالليل أو بالنهار، كانت الظروف الطبيعية متاحة فهما لا يعرفان شتاءً من صيفٍ، أو بردًا من صحوٍ،

يعرفان فقط أنهما على أهبة الرحيل، هل سيبحران على ظهر هذه البارجة أم على زورق أم طائرة أم سيرًا على الأقدام؟!

لا أحد يعرف وممكن القيادة في فرجينيا لا تعرف أيضًا، فهم لا يفكرون فيما نفكر فيه نحن المدنيين، نريد معرفة أين سنرحل ومع من وعلى متن طائرة أو سفينة أو سيارة وكم يوم كل هذه "الكمكنات" غير متوفرة لرجل المارينز المدرب على الحرب والقتال تحت كل الظروف، وكأنه إنسان آلى صنع خصيصًا للقتال بكل الطرق والوسائل.

هذا وكل أنواع القتال متاحة لهم، المهم أن يكون مارينز وهذا يكفي لنجاح مهمتهم التي لا يقدر عليها الشيطان نفسه، ومن مهام سلاح المشاة البحري الأمريكي التعامل والتنسيق مع سلاح البحرية الأمريكية، وتوصيل المعونات والأسلحة في الأزمات العالمية والاستخدام في عمليات الإبرار المائية، والاقتحام الساحلي والتنقل بواسطة البحرية الأمريكية، وحراسة القواعد البحرية داخل وخارج الولايات الأمريكية.

ومن مميزات قوات مشاة البحرية الأمريكية أنهم قادرون على العمل برًا وبحرًا وجوًا والانتقال عبرهم، وعليه فإن تدريباتهم الجسدية عالية جدًا والنفسية أيضًا، والتأقلم في كل الأجواء والظروف والحركات ويستخدم المارينز كل أنواع الأسلحة بمهارة عالية.

أما جمال البنت دينا ودلعها ودلالها لا ينفع على الإطلاق في هذه المهام المارينزية الصعبة على كل أسلحة العالم حتى من الدمار الشامل للمرأة الأنثى، المدربة على استخدام أسلحتها الطبيعية للحصول على أغراضها فقط، أما أن تعشق هذا أو تضاجع ذلك فهذا من مهامها

القتالية مثلما فعلت "أود" الأميرة الفرنسية بقائد الجيوش العربية، وكانت سبب طرد العرب من أسبانيا شر طرده، وحديثًا مع اللعوب المصرية ومضاجعتها قائد الجيوش المصرية عام 1967 في ليلة الهجوم على الجيش الإسرائيلي وكانت هزيمة الجيوش العربية التي أسقطت العرب في مستنقع التطبيع مع العدو الأزلي على الضفة الأخرى.

هكذا يكتب التاريخ نفسه بالحرف الواحد ودينه هي ملكة هذه الحروب الفظيعة مع العرب والتي تدار دائما من على السرير لصالح العدو.

على الرغم من تأسيس قوات المارينز الأميركية في عام 1775، إلا أن اسمها لم يبرز إلا أثناء الحرب العالمية الثانية، بعد انتصارات حققتها على القوات اليابانية في المحيط الهادئ، ممّا أدى لارتفاع مكانتها في نفوس الأميركيين، ومنذ ذلك اليوم حافظوا على هذه المكانة حتى الآن، وتعتبر قوات المارينز الأفضل على الإطلاق، ولذلك يتجنب سلاح مشاة البحرية الأميركية إطلاق مصطلح "القوات الخاصة" التقليدي على أنفسهم، فهم يشكلون قوة الاستطلاع الأميركية والقوة القادرة على القيام بالمهام الخاصة في أي مكان.

أما عن سبب كونهم الأفضل في العالم، يرجع ذلك إلى التدريبات ودورات الاستطلاع الصارمة للغاية التي يقومون بها، إلى أنه بفضل الطبيعة البرمائية لقوات المارينز، فإنهم يتدربون على الغوص والسباحة مسافات طويلة ويخضعون لتدريبات شاقة، والدليل على صعوبة هذه التدريبات أن أكثر من 50% من المنتسبين للقوات يفشلون بالاستمرار، كما ينسحب الكثير منهم لأسباب طبية، ونحو ربع المشاركين يتركون

التدريبات بسبب رفضهم الإقلاع عن التدخين، وارتفاع معدل ترك التدريبات دليل على مدى صعوبتها من الناحية الجسدية والقدرات العقلية وذلك خلال عملية اختيار جنود المارينز، كما تحاول البحرية الأميركية التوصل إلى اختبار يمكنها من معرفة الجنود القادرين على الاستمرار.. ومن أجل مراقبة الأداء البدني للمرشح، تم منحهم ساعة آبل تسجل نبضات قلبهم، وعدد ساعات النوم والتغذية والعديد من العوامل الأخرى القابلة للقياس التي يمكن أن يكون تؤثر على اجتياز الاختبارات مستقبلًا..

كان هذا حديث دينا مع سال حول مهمتهما المستقبلية في المارينز ورغم السرية التامة إلا أن الطبيعة البشرية سمحت لهما معرفة إلى أين هما ذاهبان؟ وكانت وجهة تخميناتهم أنها بلد عربي، وهذا في حد ذاته تعدي على سرية رجل المارينز، وأشيع الخبر في القاعدة وارتاح بال البشر من معرفتهم الحقيقة التي سعوا إليها، وعلينا أن لا نكشف أكثر من هذا عن سرية المارينز احترامًا لهم ولسريتهم وعدم التعدي على أحوالهم بالرغم من أننا نعتقد أن هذه التسريبات أو المعارف سربت بدقة من القيادة العامة لتشويه الحقيقة عن وجهتنا بالضبط.

انتهت الثلاثة أيام بسلام وقررت القاعدة أن يتوجه سال ودينا إلى بلدانهم الأصلية بعض الوقت، وسعدت دينا وكتبت لوالدتها تخبرها بعودتها وكذلك سال الذي قفز عاليًا من فرط سعادته بالعودة إلى حيه التي ما يزال معشش في مخيلته، وسال من حي "نورث أند" الإيطالي الشهير في مدينة بوسطن، ودينا من منطقة هيفرهيل شمال مدينة

بوسطن أيضًا التي تمتاز بالغابات الكثيفة والبحيرات المتعددة الطبيعية التي طبعت روحها بالهدوء وطول البال، كان اتصال سال بدينا يوميًا، وبدأ العد التنازلي في الهبوط واشتغل كل منهما بحاله ودنياه.

ويأتي إليهما الأمر بالتواجد في مكان ما على سطح الكرة الأرضية، ولم يأت الجواب ممّا جعلها تبحث عن عمل، وكان اختيارها أن تقدم طلبًا إلى الـ سي آي أيه لعلها تقبل وتعمل في هذا السلك الذي كان شاغلها أثناء دراستها الجامعية، اجتازت كل الاختبارات العملية والنظرية والرياضية والنفسية وتأهلت لأن تكون عضو نشط في السي آي أيه، وتفوقت على الكثير من أقرانها، ويبدأ اسمها في الظهور وإلقاء المحاضرات والاستماع إلى الآخرين وتفوقت عن اقتدار وجدارة، إلا أنها كانت تعاني من مشكلة نفسية لم يكتشفها المتخصصين لأن متابعتها العلاجية من فقدانها السيطرة على نفسها بيد شقيقتها الكبرى "آن" الطبيبة التي سهلت لها جرعات الدواء اللازم دون الرجوع إلى ملفها الطبي ولا إلى لأبيها الطبيب، أضيفت مدة خدمتها في سلاح المارينز إلى خدمتها في وكالة المخابرات الأمريكية، فهي ليست جديدة على النظام الاستخباراتي الأمريكي، لقد اقترنت بهذا العمل الاستخباراتي حتى النخاع، ولم يعلم بذلك أقرب المقربين لها مثل شقيقتها آن التي كانت تشك في سلوكها غير الواضح، وقال ألان زوج شقيقتها: جايز تعمل في المخابرات؟ ممّا أثار ضحك آن التي تعرف جيدًا أن شقيقتها ليست على ما يرام عقليًا، أثارت بنت أختها جون المخاوف عندما شاهدت خالتها في أحد الشوارع الجانبية الهادئة وهي

تقيد رجلا وتضعه في صندوق سيارتها، ثم خلعت شعرها الأسود العيرة، وبان صفار شعرها الحقيقي، واكتشفت أنها خالتها بشحمها ولحمها.

هرعت البنت إلى المنزل لتخبر أمها بالواقعة، فشكت الأم في رواية ابنتها، أما الأب فقد صدق عليها ليس إلا لأن ابنته صادقة ولم تخرف.

سعدت دينا باستلامها رسالة من صديق طفولتها سال بعد طول غياب يدعوها إلى حفل زواجه على صديقته جيسيكا، وتعرفت عليها وباركت زواجهما، وشربا كؤوس الشمبانيا ورقصت معه، وتحدثت كثيرًا مع جيسيكا البنت المتعلمة الجميلة الهادئة التي أحبت سال جدًا، ودعت لهما بحياة سعيدة ومستقبل باهر سويًا، وألقت في منزل صديقها عملة من النقود من فئة واحد بيني كعادة الأيرلنديين لجلب السعادة للمنزل وساكنيه، ولم يتطرق أحدهما إلى العمل ولا مستقبل العمل، وكأنهما لم يعمل سويًا، وكأنهما لم يكن لهما مشاريع سويًا، ذهبت دينا إلى حالها وعاد سال إلى زوجته التي سعد بها كثيرًا.

ومرت الأيام وخلفت جيسيكا بنتًا وولدًا، ولم تعرف جيسيكا ماذا يعمل زوجها سوى أنه في الجيش الأمريكي؟! ماذا يفعل وفي أي سلاح؟!

لا يتحدث كثيرًا في هذه الأمور يذهب ويعود دون ميعاد ولا سؤال.

يأكل ويلعب مع أولاده وهو سعيد بأسرته وأحواله، وصديقه منذ الجامعة يعمل أيضًا في الجيش الأمريكي برتبة كابتن، ولم يتطرق أحدهما إلى عمل الآخر بالرغم من أن بول صديقه يأتي إليهم دائمًا ببدلته العسكرية ونجمته التي تزين كتفيه، ومن هنا أصبح بول صديق العائلة لمعرفة سابقة لجيسيكا منذ الجامعة أيضًا، وكان يعتبر نفسه أخ لسال بصرف

النظر عن الرتب العسكرية بينهما، وكان سعيدًا بأولاد صديقه يلعب معهما في أثناء غياب سال، وكأنه واحد من العائلة السعيدة.

في أحد الأيام سافر سال في مهمة كما كان يقول لزوجه ولم يعد ومرَّ يوم واثنان وأسبوع وأسبوعان وشهر وشهران ولم يعد وانتابت جيسيكا القلق على زوجها، ذهبت لمقر قيادة الجيش في بوسطن وسألت عنه ولم تستدل عليه لأنه لا أحد يعرفه أو يعرف شيئًا عنه.

وتطوع بول الصديق الوحيد للبحث عن صديقه الغائب دون فائدة ومرت السنوات تلو السنوات حتى تكومت لثمان سنوات وهي تبحث وتتقصي وتسأل، وكان بول مستشارها وحبيبها بعد زوجها.

وتعود الأطفال على صحبته وضحكه ومرحه وهداياه التي لم تشعرهم يومًا بغياب والدهم وأدفأ فراش جيسيكا بحنانه وحبه وعشقه لها، وسكنت جيسيكا صدر بول الحنين الذي لم يشعرها إلا بكل جمال وثقة وهدوء، ويومًا وهي في أحضانه عارية يلمع جسدها وحبات عرق على صدرها وجبينها رن التليفون من غير ميعاد، وأخذت السماعة في توجس ورعشة وحاول بول حضنها لكنها تخشبت ولم تقو على الكلام أو حتى ترديد الأنفاس؛ لأن في المقابل الآخر كان يرن في جمجمتها صوت زوجها الذي صدح في أسلاك التليفون، ولم تصدق أنه على قيد الحياة، وبللت شفتيها بريقها الجاف؛ لتنطق بكلمة واحده لبول "سال"، وخرم الاسم أذن بول الذي تسمر في مكانه، ولم يقو عن أن يرفع الغطاء من على جسده، ومرت هذه الثواني، وكأنها عصور تكرُّ وراء بعضها.

* * *

في مركز القيادة ببوسطن اصطحبها بول بسيارته وبذلته العسكرية واستقبلهم ديفيد، قائد العمليات حيث عرض عليهم من خلال التليفزيون صور واقعية لشخص متشعث الرأس أحمر العينين ذا لحية طويلة قذرة وهدوم ليس لها لون ولا شكل وقال ديفيد هل تعلمون من يكون؟!

قالت جيسيكا أتشبه عليه وبالأحرى لا أعرفه، أما بول حاول أن يذكر لكنه باء بالفشل أيضًا وأستأذن وخرج أما جيسيكا تسمرت في مكانها لا تقوى على الحركة لشكها في الأمر دون أي دليل مقنع.

لماذا تسأل وما علاقتها بهذا الرجل؟!

وطلب ديفيد منها أن تنتظر في بيتها حتى نهاية التحقيق وسيخبرها بكل جديد، واصطحبتها سيارة إلى بيتها وهي قلقة، عاد ديفيد إلى المتشعث القذر لسؤاله عمن يكون وبدأ معه بالحمام ليستحم ويشحذ ذقنه وأمر الحلاق أن يزيل الشعر الكثيف من على رأسه وذقنه ليعود إنسانًا من جديد، وكان السيرجان سال الذي تغيب ثمان سنوات في سجون العراق قد ذاق المر وكل ألوان العذاب الجسدي والنفسي يتحول إلى شبه رجل أو شبه إنسان، سمح له ديفيد بلباس عسكري جديد بميدالياتها وشرائطها الحمراء كأنه عريس جديد له ولكتيبته، واصطحبته سيارة فارهة لمنزله، وكانت جيسيكا وابنتها وولدها في أحسن حلة لهم ووقفوا ثلاثتهم أمام باب المنزل لاستقبال البطل العائد وكان شعورهم بعودته مُضطربًا أشد الاضطراب وخرج من السيارة يتقدمه حارسًا بزيه الرسمي وكأنه يقدم بطلا من أبطال الحروب الأمريكية التي لم تنته بعد، شدَّ سال على أطراف بدلته وفرد قامته وتقدم لمستقبليه الثلاثة

ناظرًا إليهم باستغراب وهم في دهشة من حالهم، وفجأة وفي خطوة موحدة تقدمت جيسيكا إلى سال وتقدم سال إلى جيسيكا مُعانقًا سعيدًا وجفت الدمع في عينيه أما جيسيكا فقدمت ابنتها إلى أبيها وتشنجت البنت ولم تقو على التقدم إلى أبيها الذي غاب عنها كثيرًا، وأخيرًا احتضنها وكان اللقاء أما الطفل فقد قدم له يده مُصافحًا فنهرته شقيقته أن يتقدم لأبيه بالحضن ففعل ولامس سال شعر ابنه الأصفر ممّا أضفى على وجهه البشاشة والغبطة، وعادت الأسرة إلى سابق عهدها، لكن مع بعض الإحساسات المدمرة مثال معرفته بخيانة زوجته له مع صديقه بول، لكنه وجد لها عُذْرًا بسبب غيابه ثمان سنوات عنه، لكن هي الطبيعة البشرية في الغيرة.

في اليوم التالي تجمهرت الصحافة والتلفزيون أمام بيت سال لأخذ حديث منه حول محبسه في بلاد الفرات وعلى باب العراق ممّا اضطر معه سال بأن يضع بدلته العسكرية والخروج على باب منزله بصحبة زوجته وكان يومًا مشهودًا، وأعلنت الصحافة الأمريكية أن الحرب التي أعلنها الرئيس الأمريكي تركت الآلاف من الشباب في حالة عجز تام، وكان تصديق الصحافة على رواية سال صعبًا للغاية من أن يحبس إنسان ثمان سنوات داخل قبو تحت الأرض منسيًا إلى أن عطف عليه قائد العمليات العراقي "أبو طارق" الذي أعطاه رشفة مياه وبعض الخبز ثم فتح له باب القبو ليجلس بأحد أركانه طول المدة اللعينة في مؤانسة الحشرات، بدأ سال استعادة نشاطه ورياضته ونفسه المهزومة تحت عين زوجته ومصاحبة أولاده، وكانت زيارة صديقه بول يوميًا أعاد فيه

ما مضي من ذكريات حميمة، إلا أن علاقته بصديقه اهتزت كثيرًا في شكه في علاقة زوجته به ورغم تسامحه إلا أن الانتقام أصبح واردًا في أية لحظة خاصة عندما يلمح نظراتهما لبعضهما خلال وجبة عشاء التي أعدت لهم، وكتم ما في نفسه إلى يوم معلوم، بدأ ينتظم في سلك إلـ سي آي أيه لكي يعرفون منه أخبار ممكن أن تفيدهم عن العدو العراقي لحربهم المشتعلة في آسيا الصغرى، وكأن حرب العراق والقضاء عليها ليس كافيًا لتنظيم إلـ سي آي أيه العقل الأمريكي المدبر لكل مصائب البشر باستخدامه كل الوسائل والعتاد الحربي لإبادة من تريد وفي المكان الذي تريده، والـ سي آي أيه فوق القانون وفوق الدنيا كلها، ومن يحاكم جرائمها حول العالم وإشعال حال الحروب بين الدول.

هذه بشاعة الحروب وليس ركوب الفرس والكر والفر، إنها حرب المكاتب المكيفة والموائد الفخمة والشراب المعتق، إنها حرب الأغنياء ويحترق فيها الفقراء حول الدنيا في مصر وبنجلادش وأفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا، إنها حروب الوحوش البيضاء، وحرب إلـ سي آي أيه، هي حرب سلخ جلود البشر تحت أشعة الشمس، يا لها من نذالة.

استدعت دينا يومًا إلى مقر الـ سي آي أيه لمقابلة ديفيد وعرض عليها فيديو مصور عن رجل متشعث قذر لا يقوى على فتح عينيه الكليلتين في الضوء لتعودها كثيرًا على الظلام لم تتعرف عليه بعينيها، لكنها شعرت بنبض قلبها يرتفع ويهبط مع كل تأوهات هذا الذي شبه إنسان وخفضت رأسها وخرجت تبحث عن مغيث لها ولمن رأته على الشاشة وأن تفعل عقلها كما أشار إليها ديفيد لأنه يعتمد عليها في معرفته

والتعرف عليه، لكنها في حيرة من أمرها لم تره منذ ثمان سنوات ولا تعرف شيئًا عنه وكيف وصل به الحال إلى هذه الدرجة من الضعف والذل والهوان، هذه هي نوع من أنواع حرب ذات الياقة البيضاء على بني جلدتهم حرب الذل والهوان وليست حرب الحصان والسيف، ولم يفهم ولا استوعب عالمنا الثالث هذه الحروب الحديثة وبالطبع لم يستعد لها لأنه في النهاية يتمتع بالجهل ودونية المعرفة رغم توافرها إلا أن استخدامها يعني شيء آخر أية كيفية استخدام هذه المعارف المتوافرة الكترونيا حول العالم وفي متناول أطراف الأصابع.

سمح ديفيد بأن تلتقي دينا بسال بعد إزالة شعر وجهه ورأسه وتهذيب شكله ليصبح مقبولا اجتماعيًا باعتبارهما أصدقاء طفولة وشباب، وكان لقاء يشوبه الحذر منه والحب منها إلى أن اطمأن كلاهما لبعض وبدأ الحديث عن ذكرياتهما إلى أن عادت الابتسامة إلى شفتيه المتشققتين والتي لم ينفع معهما مراهم التجميل وجلد يده المشقق وبان الأسى والأسف على صديقة عمره والتي تمنت أن تكون يوما زوج له، وكان يوم خرجا سويًا للنزهة والجلوس على حشائش حدائق المدينة والخيمة الزرقاء فوق رؤوسهم والـ سي آي أيه تسمع لهم وتتنصت وقال سال بحرصه بوازع مهنته السرية جدًا إلا أن هذه الكلمة (جدًا) ليس لها مكان في حديثه مع دينا حبيبة الطفولة والشباب، وبَعْبَعَ عَمًّا في صدره وأباح ليكشف معلومات عن أكثر الحروب سرية في العالم، وليعرفنا بشخصيات أدت أدوارًا ميدانية فظيعة وهو يصفها بالـ"مدهشة" في هذه الحرب السرية، فمن الضابط الذي يدعي "كوفر بلاك" والذي شهيته

ملتهبة على صيد أسامة بن لادن، والضابط الذي أرسل إلى المناطق القبلية ليتعلم كيفية التجسس في باكستان المتعاقد مع إلـ "سي. آي. إيه" الذي عوقب بالسجن في لاهور بعد أن خرج عن سيطرة رؤسائه.

"حروب الظل" أيضًا قصة تنافس حادٍ بين مؤسسات أميركية عملاقة ثلاث: الـ "سي. آي. إيه" و"البنتاغون" و"البيت الأبيض"، يكشف فيها سال عن المؤامرات الداخلية بين عناصر هذه المؤسسات للاستحواذ على القرار الرئيسي في إدارة جرائم أميركية الخارجية.

يروي سال بصيغة فيها من التبرير غير المباشر كيف أن الاستخبارات عادت وحصلت على ترخيص بقتل من أسماهم "أعداء أميركا" بأمر سري في زمن الرئيس الأميركي السابق جورج بوش الابن، وذلك بعدما منعت من هذا الترخيص في السبعينيات من القرن الماضي بعدما دفعت سلسلة من الإفشاءات المرعبة، والمضحكة أحيانًا، عن محاولات الاغتيال التي قامت بها الوكالة بالبيت الأبيض إلى منعها من القضاء على أعداء أميركا، ويتابع سال بأنه في ذلك اليوم الذي حصلوا فيه على الترخيص شرعت الاستخبارات في غرفة الأوضاع في الإفادة من كيفية استخدام هذا الترخيص.

وبهذا السرد يمحي سال حقبًا طويلة من الإجرام الأميركي الذي كانت تمارسه الاستخبارات في العديد من البلدان التي كانت تتدخل في شؤونها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال تصفيتها لكل من يمثّل عقبة أمامها أو أمام حلفائها في الوصول إلى غايتهم، فهي لم توقف القتل يومًا، فهناك مؤشرات على استمرار تجنيد وتدريب منفذي

الاغتيالات في الولايات المتحدة، ففي مدينة كونومبيا الواقعة في ولاية جورجيا يوجد مؤسسة العالم الغربي الأمنية وهي مؤسسة تابعة لـ"وزارة الدفاع الأميركية" ومهمتها تدريب الهيئات الأمنية والعسكرية والتي تدعي أنها محصورة بدول أميركا الجنوبية ويتخرج منها نحو 1000 إنسان معدّ لممّارسة القتل سنويًا من هذه المؤسسة، وهناك الكثير من الجدل حول الأغراض الحقيقية لهذه المؤسسة ففي عام 1999 اعترض الكونغرس الأميركي على استعمال المؤسسة كتاب منهجي عن طرق التعذيب في المنهج الدراسي للمعهد وقيام هذه المؤسسة بتدريب جهاز الأمن في الدول التي على اللائحة العالمية لإساءتها لحقوق الإنسان، ويسمي المعارضون هذه المؤسسة "مدرسة الاغتيالات"، هذا فعلًا إذا كان هناك من معارضين في الكونغرس على عمل المؤسسة الإجرامي.

ويعترف سال عن حرب سرية أخرى بين أركان القادة في وكالة الاستخبارات نفسها، في عملية تنافسية شديدة ليكون صاحب الفضل في السبق الإجرامي، فقد بات مدير الوكالة قائدًا عسكريًا يدير حربًا عالمية خفية بواسطة فريق قليل العدد، وبدون الكثير من الإشراف، وأقنع البيت الأبيض ببرنامج لاعتقال ما يسمونهم "الإرهابيين" وإخفائهم في سجون سرية وإخضاعهم لنظام "أورويلي" من أساليب الاستجواب الوحشية، طبعًا هذا الاستعراض المتحف بروح "البطولة"، إنما هو لتعقّب ومطاردة تنظيم القاعدة ورئيسها آنذاك "بن لادن" في كابول وقندهار في أفغانستان وفي باكستان وغيرها من الدول.

يبدو أن الكذبة الكبرى التي باتت معروفة عند الأميركيين بملاحقة

الإرهاب والقضاء عليه، هي الحجة العمدة التي يقوم عليها التنظيم، يقدّم ويؤخر سال في سرده الزمني للأحداث ليبيّن كيف كانت العمليات الإستخباراتية التي تدعمها عمليات القتل والاغتيال تهدف إلى التخلص من يهدد الأمن الأميركي، وطبعًا في المفهوم الوطني الإنساني العام يصبح أمر القتل مشروعًا حين يكون ملحًا لحماية الوطن، ولكن في العرف الأميركي، وهو المتغاير الوحيد عن بقية الأعراف الوطنية العالمية، يخلقون هذا التهديد ويلاحقونه في أصقاع الأرض، تمامًا مثلما فعلوا في أسطورة" أسامة بن لادن واختراعهم إياه بهدف مقاتلة السوفيت وبعدما انقلب عليهم وحوّلوا كل جهودهم "الجبارة" وإمكانيات أعظم دولة في العالم لملاحقة أطياف رجل واحد يختبئ في ظله آلاف.
وفي سبيل هذا الهدف اخترعت الوكالة العديد من الأجهزة الإستخباراتية المدرّبة خصيصًا على القتل والتجسس.
وهم في ذلك لا يثقون بأي جهاز استخبارات آخر في العالم، بل بالعكس يعملون على اختراقها – كما يقول سال – وتحويل ضباطها إلى العمل لصالح الولايات المتحدة من خلال التجسس على بلدانهم.
ويقول إن عملية "المطاردة" سرعان ما غيّرت من إملاءات الحرب الجديدة من قواعد لعبة التجسس، وأضفت المهمة الجديدة قيمة على عملية الحصول على معلومات مفصّلة عن أفراد محددين، ولا تهم كثيرًا كيفية جمع هذه المعلومات، ونتيجة لذلك أصبحت وكالة الاستخبارات أكثر اعتمادًا على أجهزة التجسس الخارجية.
ومن المفارقة التي تبعث على الاشمئزاز في طريقة سال للتغيير من

حقائق لم تعد تخفي على أحد قوله: إن الاستخبارات الأميركية انفتحت في علاقاتها الإستخباراتية بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر عام 2001، على أجهزة استخبارات "ذات التاريخ الوحشي الكريه" مثل المخابرات المصرية والأردنية والليبية وأنها أصبحت أكثر وثوقًا بها.

وفي هذا التصريح تناقض فاضح للغاية، أولًا هناك وثائق تاريخية تشهد على التعاون الكبير بين مخابرات هذه البلدان وبين المخابرات الأميركية والتي بدأت منذ المراحل الأولي لتقسيم البلاد العربية وفق اتفاقية "سايكس بيكو" وبفضل هذا التعاون لا تزال حكام هذه الأنظمة مدعومًا من نظيرتها الأميركية، ومن ثم صفة الوحشية مردودة أصلا على سال وبلاده – وليس دفاعًا عن المخابرات العربية – إنما لم يعد خافيًا على أحد كيف تقام الورش التدريبية الأمنية والعسكرية لهؤلاء العرب في بلاد "العم سام"، فهذا الوحش إنما تعلّم من الوحش الأول، ولكن يعترف سال صراحة، وإن كان يبغي من اعترافه مسوّغات أخرى، أن الـ "سي. أي. أيه" ترنّحت تحت ضربات من لجان الكونغرس التي راحت تحقق في ما قامت به الوكالة من أعمال خفية منذ تأسيسها لعام 1947، وإن المدراء المتعاقبين على الوكالة اكتفوا بالتركيز على سرقة أسرار الأنظمة الأجنبية – التجسس التقليدي – بدلا من قلبها أو محاولة قتل زعمائها، حتى أعاد إليها الرئيس بوش زمام المبادرة وأطلق يدها في كل العالم، وطبعًا السبب أن أمن البلاد مهدد من الإسلاموفوبيا.

في جعبة سال الكثير من التفاصيل، منها ما يمكن تصديقه وفاق المنطق العقلي بإدراكنا لكيفية إدارة التعقيدات الأمنية، ومنها ما هو

مدسوس بصيغة ملتبسة توهم ذهن المستمع على الفور إلى أن هناك بلدًا عظيم الحضارة والعلوم يتعرض لتهديدات وجودية وتاليًا يصبح عمل القتل وسرقة أسرار الدول مسوّغًا لا بل مطلوبًا وواجبًا وطنيًا.

ومن اللافت أن يسجّل الحاكي لرئيس أميركي سابق جيمي كارتر أنه قاد حملة لوضع حد لما أسماه مغامرات الـ "سي. أي. أيه "في ما وراء البحار فعيّن جنرالًا يدعى "ستانسفيلد" لكبح جماح هذه المؤسسة وهو من المعتقدين أنها تعيث في الأرض فسادًا، تصدمنا في الحقيقة هذه المعلومة ونشك بمصداقيتها، ويكمل حول اعتقاد ساد بشأن الوكالة بأنها لن تجلب سوى المشاكل إذا عادت لممّارسة القتل، وجرى الشك في الحكمة من اعتناق الوكالة لدورها جلادًا طوعيًا لأعداء أميركا.

ومن المراوغة الكبرى، واستغفال لعقولنا تأكيد سال على أن الهدف من إنشاء وكالة الاستخبارات الأميركية "مهمة بسيطة نسبيًا" وهو جمع المعلومات وتحليلها ليتمكن الرؤساء الأميركيون في كل يوم الاطلاع على مختلف التهديدات التي تواجه الولايات المتحدة، وأن الرئيس "ترومان" لم يرد أن تكون الوكالة جيش أميركا السري، ولكنّه يؤكد في جانب آخر أن الرؤساء الأميركيين استخدموا سلطة "العمل الخفي" لإرسال الوكالة في عمليات تخريب وحملات دعاية وتزوير انتخابات ومحاولات اغتيال، وسألها: هل تردين دليلًا أكثر من هذا أن مهمتي لصالح أمريكا أم لصالح أبو طارق؟

كانت ليلة قمرية ممتلئة بالحديث والمعلومات الهامة التي لم تسمع عنها داخل المؤسسة التي أصبحت تجري في عروقها، أما الذي سعدت به

دينا أن سال عاد إليها واكتشفت أن حبه لها وحبها له ليس من باب الطفولة بل حب وعشق من نوع آخر تريد هي إثباته عمليا يومًا آخر في ساحة قتال جديدة يجمعهما سرير واحد.

شحطت البنطلون الأسود القطني الصنعة وقميص أبيض وجاكت أسود وحقيبتها التي لا تفارق كتفها مع رقبتها وهرعت إلى المكتب لتكتب تقريرها عمّا حدث أمس مع سال، فالحب في هذا الجهاز المعقد له طعم آخر ونظرة أخرى، كتبت بما فتح الله عليها من كلمات منمقة وألفاظ مختارة لتوجه نظر ديفيد إلى ما تريد هي لا كما يتوقع هو من عودة علاقة كانت بينهما، نجحت في خط عديد من الأوراق على الكمبيوتر المخصص لأسرار الجهاز وسجل وصدر إلى السحاب حيث مخازن إلـ سي آي أيه التي لا تسعها الأرض، فذهبت إلى السماء تستغيث، كتبت كل خاطرة وكل حركة قام بها سال وإن كانت غير مقصودة قرأها ديفيد بإمعان وتروي وكأنه كان بينهما وأحسن على التقرير وصدق على سريته واعتقد أن عليه الاحتفاظ بسال حيًا للاسترشاد به في العراق وأفغانستان وداخل الولايات المتحدة أما موته الآن سيثور السين والجيم وهو في غني عن السؤال، تابعت خطواته عن طريق الصدفة التي تختط لها كذهابها يومًا إلى ناد قدماء الحرب لتدفئ يديها من برد الجو والشتاء ودخلت متلصصة ورأت سال وأسرعت الخطي حتى صدمت به وتأسفت على عجالتها وقال لها لا أسف نحن نعرف بعض منذ زمن ولا داع للأسف أستطيع تقديم خدمة لك ورفضت بكل احترام وتقدير له ولخدماته وأسرعت بالخروج وهرول

هو خلفها واستقلت سيارتها ونجحت مهمتها في لفت نظره إليها وكان هذا هو المطلوب، تعددت اللقاءات صدفة إلى أن عزمت عليه في بيتها وهي تتدلل وتتمايل وكأنها خلقت لأغراء الرجل بجسمها الطويل الفارع وعيونها المسبلة ومؤهلاتها الجسدية الفوارة الأكثر من مشجعة وذاب الرجل، عذاب النفس أكثر إيلاما من عذاب الجسد وقد تألم كثيرًا ومات مائة مرة كل يوم وأعيد تشكيله وأصبح الرجل المخلص لأبي طارق هو الذي خلصه من عذاباته في ركن القبو المظلم وأعطي له شربة ماء بلل بها شفتيه وكف الآخرين عن تعذيبهم لجسده الذي كل وضمر، واصطفاه بين كل المعتقلين ليدرس اللغة الإنجليزية لولده هيثم، وتحابا رغم النفور الأولي من شكل سام ذات الشعر الأحمر والبشرة البيضاء وبدأت حصص التعليم بمهادنة الصبي ولعب كرة القدم معه تحت أنظار أبيه وكانت أول مرة منذ زمن بعيد يشعر سام بمعني إنسان وإنسانية وقدم له الشاي العراقي وتعلم الصلاة وشهد بأن محمد رسول الله وأقام الصلاة مع هيثم، خرج ليلعب بالكرة خارج المنزل بحراسة حرس أبيه مع أقرانه والسوق يشغي بالناس، ومركز معلومات إلـ سي آي إيه يشغي أيضا بحضور نائب الرئيس الأمريكي الذي تناول سماعة التليفون ونظره على شاشة التليفزيون الناقل لموقع أبو طارق وقال السيد بصوت مبحوح: اضرب، وأطلقت الدرون قنبلتها التي أخطأت الهدف بأمتار عديدة وتقاذف السوق الأرجل والأذرع ورؤوس مقطوعة وعم الدمار وطال الخراب مأوى أبو طارق وهبَّ سام لإنقاذ هيثم وقلب في الجثث والأشلاء المبعثرة مناديًا هيثم أين أنت؟!

وارتمى على جثة طفل، وكانت أشلاء مقطعة منفصلة عن بعضها تحت الثرى، حمله وهو يبكي إلى داخل شبه البيت وغسله ووضعه على طاولة ولف جسده الضئيل بقماش أبيض ودخل أبيه ليترحم على ابنه الذي دمر جسده قطعًا وصلي سام وأبو طارق على الطفل وأقسما أن يأخذا بتار هذا الصبي ممن تسبب في هذه الحسرة.

استعاد سال همته، أما مهمته فلم تفارقه طالما وجه هيثم أمامه وقرر أن يقضي على نائب الرئيس الأمريكي وصحبه وصنع صديري ناسف عند خياط فلسطيني متخصص، وبدأ في إعداد الخطة مع أبو طارق.

أرسل مكتب التجسس للـ سي آي أيه اثنين من خبراء وضع كاميرات حول وفي منزل سال لمعرفة كل ما يدور ودراسة شخصيته عن قرب وكان ذلك تحت إشراف دينا وتخطيط رئيسها توم الأكثر خبرةً وسنًا ذهب الشابان تحت غطاء شركة للاتصالات والتلفزيون ووقفت سيارتهم أو غواصتهم أمام بيت سال الذي كان في مقابلة مفتعلة مع ديفيد وضعت أول كاميرا في مواجهة البيت لتكشف عن من القادم وفي كل غرفة في البيت وفي الحمام وشبكت كل هذه الكاميرات بجهاز كنترول معهم وأشرفت دينا معهم؛ لأنها هي التي ستتولى مهمة التجسس على سال أربعة وعشرون ساعة في اليوم وعاشت دينا مع عائلة سال خطوة .. خطوة، وحجرة .. حجرة ولم يعن هناك سر عليها شاهدت سال وهو يضاجع زوجته متغلبا على نكده الذي فقد معه كل نشوة جماع مع امرأة وكانت طريقته مع نفسه التي تعود عليها طيلة ثمان سنوات في القبو المظلم الرطب الكئيب الذي يسلب الإنسان كل مؤهلات آدميته يصبح

لا شيء وتمت التجربة بنجاح صوت وصورة واتصلت دينا بالسيد توم لتخبره بأن المهمة انتهت ومن مكتبه بدأ زيارة بيت سال الجالس أمامه.

يستيقظ سال على الثالثة صباحًا والكل يغط في نوم عميق في هدوء هذه الناحية خارج المدينة والتي تمتاز بالغابات والبحيرات والجبال، يتجه سال في آخر ممر البيت على أطراف أصابع رجليه لكي لا يقلق أحدًا ويفتح باب الجراج من الداخل ويخرج آنية معدنية نظيفة اشتراها خصيصًا لهذا الغرض مع قطعة من السجاد ذات اللون الأخضر فرشها وسط المكان وملا الآنية بالماء ورفع صوته قليلا بآذان الفجر واعتدل في وقفته أمام ربه ووشوش الليل بالله أكبر وانتوى صلاة الفجر وبسمل بالفاتحة وركع ثم ركع وسلم يمينًا ويسارًا وقال الحمد لله، ثم قرأ آية من الكتاب المقدس وشحط سروال الرياضة وخرج يجري في الغابة القريبة من البيت، وفي شقشقة الصباح وجد صديقه توم بسيارة الجيش، تصافحا وكان توم في دور تدريب فريقه الرياضي في تدريبات الصباح وتحدث الصديقين في لا شيء وعاد سال جريًا إلى البيت مُفكرًا أهذا لقاء صدفة أم مخطط لمراقبته حتى مع أقرب الناس إليه، لكنه حذر وانتبه أن لا يخطأ في كلماته أو تعبيراته، وتعود على ذلك أنك لا تستطيع معرفة ما يواري في خاطره مُطلقًا.

استدعى سال تليفونيًا من ديفيد وهو يعرف من استدعائه أنه أمر مهم، وتأنق وربط رباط الرقبة وقبَّلَ زوجه وخرج في سيارة الوكالة وهناك استقبله ديفيد بالترحاب وقبل أن يسأل عن سبب الاستدعاء قال ديفيد نريد أن تخضع الآن لاختبار الصدق في القول أو الكذب ولمح دينا

خارجة من غرفة الاختبار في حالة هياج تبعها السيد توم وأخيرًا سال وشاهدته دينا من خلف الزجاج وعلى أذنيها سماعة، سال رجل متزن يقول الصدق حتى وهو يكذب وكان سؤال أدهش دينا وهو هل تخون زوجتك؟! وكانت الإجابة بالنفي ممّا أهاج دينا التي ضاجعته يوم لقائها معه في ناد جمعية قدماء المحاربين، وطلبت من الممتحن أن يعيد السؤال عليه بصيغة أخرى، وأخرى، وأخرى وتأتي الإجابة دائمًا بالنفي، ولم تصدق عينيها وأذنيها وشكت في قواها العقلية، وآمنت بأنها لم تضاجعه أبدًا، لا في السيارة ولا في بيته ولا بيتها ولا على السرير أبدًا، وعدت شهادة جديدة لسال في ملفه السري بأنه رجل متزن وصادق هكذا قالت الماكينة الالكترونية الصادقة أبدًا، عاد سال إلى متجر أبو مختار الحائك ووجد الصديري جاهز للقياس وكان عبارة عن قطعتي قماش مقوي من الأمام وطبقة من الغراء وعليها "بليي" من الصلب وكلها في دائرة كهربائية بمجرد الاتصال بواسطة زر يوضع في اليد للتفجير تفرتك الصديري ويتقاذف البلي في كل مكان ليأخذ بحياة من يقف في طريقه وصلت رسالة سرية من أبو طارق لسال عن طريق صحافية بخطة التفجير وكيف سيدخل مبنى الاجتماعات السرية دون تفتيش من الشرطة. وكانت هذه مهمة السير جان إيريك صديق سال من أصل أفريقي من أتباع أبو طارق والذي أعتقد سال أنه قتله يومًا بناء على طلبه، وهذه كانت من خدع أبو طارق للتضليل.

حصل إيريك على سلاح آخر صيحة في عالم الدمار بواسطة السفير السعودي في واشنطن مع عنوان شقة أمام منصة خطابة مبني

الاجتماعات، استطاع إيريك أن يدخل هذه الشقة ووضع سلاحه مُوجهًا إلى المنصة وكان سال يصافح نائب الرئيس وبعض القيادات العليا الأمريكية عندما واتت إيريك الفرصة وجه سلاحه على ظهر زوجة نائب الرئيس ليعم الهرج وانقضت الشرطة باحثة عن صوت إطلاق النار وحملوا السيدة إلى الداخل وغطي نائب الرئيس بالمظلات الواقية وفتح المخبأ السري ودفعت الشرطة كل من على منصة الخطابة من قيادات بما فيهم سال وهنا بدأ العد التنازلي لتفجير حزامه أو بدلته أو الصديري الناسف بكل هذا الجمع من القيادات الأمريكية، قبض سال على زر الوصلة الكهربائية للتفجير الذي سيسمع صوته في النصف الآخر من الكرة الأرضية، وتزامن ذلك مع شلالات العرق الغزير من سال يخيل للحرس أنها نوبة خوف من هذا الهرج، نسي سال أن يذكر اسم الله وضغط على الزر ولم ينفجر ولم يمت وما يزال حيًا، أسرع إلى الحمام ليعيد تشغيل جهاز التفجير وأعاد البدلة إلى موضعها وخرج من الحمام وهو مصمم على الانتقام من هذه الثلة من الجنود الذين أمروا بقتل هيثم ومئات أخرى أشلائهم ما تزال أمامه الآن، وعاد إلى مكان الذي اختاره للتفجير وإذا بيد حارسه على كتفه وتشهر له تليفون من كارول ابنته التي كانت تبكي بحرقة لأنها شعرت بخطر على أبيها بعد زيارة دينا إلى بيت سال، لأنها استنتجت أن هناك عملية انتقامية، ستحدث الآن إن لم نقف سال وجرها ذكائها الفطري إلى بيت سال وقابلت كارول التي لم ترحب بدينا وطلبت منها أن تتصل بوالدها لتثنيه عما هو بصدده وزادتها رعبًا وعدم اطمئنان على والدها وطردتها من

المنزل واتصلت بالشرطة لحمايتها وبأبيها الذي أعجزته الدهشة عن مواصلة عمله في تفجير المكان بعد أن بسمل باسم الله العظيم ووعد ابنته أنه سيكون في البيت هذا المساء، وحضرت جيسيكا مع ابنها في الوقت الذي وصلت سيارة الشرطة وتم إلقاء القبض على دينا بعد تهورها على جيسيكا والشرطة أيضًا، وفشلت عملية القتل الجماعي التي كاد أن يقوم بها سال، نجح إيريك في عم الهرج ممّا فتح الطريق لسال أن يكون بجوار نائب الرئيس وقياداته العسكرية، لملم إيريك سلاحه وداعب رأس السيدة صاحبة الشقة وخرج، وعاد سال إلى بيته وحكت له جيسيكا ما حدث من دينا وهي الآن في قسم الشرطة للتحقيق معها، نظر إليهم جميعًا محاولا إخفاء انفعالاته خاصة أمام ابنته ودخل يستحم وزارهم بول على العشاء ليعلم عن أحوال صديقه المؤهل الآن لدخول البيت الأبيض بعد أن أنقذ نائب الرئيس كما تصور المحيطين به فزادت أسهمه يطلب الرئيس نفسه مقابلته وهذه أعلى مراحل التشريفات العسكرية، واطمأنت كارول ابنة سال على أبيها لكن عينيها لم تغفل لحظة عنه لأنها تشعر بخطر عليه وهي التي أحبته ليس لأنه أباها فقط بل، لأنه بطل من أبطال أمريكا كلها، تسحبت يومًا فجرًا؛ لترى أبيها عمَّا يفعل في كل يوم في الصباح الباكر في جراج البيت وفتحت الباب ووجدته راكعًا على السجادة الخضراء ويتمتم في همس وشعر بها والتفت إليها في دهشة منه وخطت البنت خطوة إلى الخلف قائلة:

أبي أنت تخيفني وأطبقت يديها على صدرها وزغرت عينيها في رعب قائلة ماذا تفعل؟ اعتدل في جلسته بهدوء مصطنع ونظر إليها بعطف

ومحبة لكي يبعد الوحشة عنها وقال أتعبد وشرح لها أنه يصلي كمسلم ممّا أدهش البنت وقالت أأنت مسلم؟! وبعد حديثه الشيق معها آمنت البنت بأن أباها رجل طيب يحب السلام لكل لناس رغم اشتراكه في أشرس حرب نزعت الإنسانية من الإنسان، أما اليوم فشيء آخر.

أجمع كل عملاء إلـ سي آي أيه بأن الخطر ما يزال على أبواب أمريكا من عملاء بن لادن أخطر شخصية في التاريخ فبركتها إل سي آي أيه ولعبت على حبالها لتوهم الرأي العام الأمريكي والعالمي بأن الرأسمالية ما زالت في خطر رغم إزاحة الشبح الشيوعي عن الساحة العالمية والحرب قائمة ويقتل هذا السفاح صاحب الحادي عشر من سبتمبر التي ضاع فيها ثلاث آلاف إنسان من الأمريكيين في نيويورك العاصمة الاقتصادية للغول الأمريكي، وأقسم الشعب الأمريكي على الانتقام، نجحت إلـ سي يي أيه من صنع شبح حرب مكملة لحروبها وإن كانت من صنع خيالها الذي لا ينضب كمنتجي هوليوود الأكبر مصدر للسلع السينمائية في العالم، استدعت دينا الخبيرة في شؤون الشرق الأوسط لاستشارتها في هجوم على بن لادن، لما لها من خبرة في التخفي والسرعة بالإنجاز والعمل المخابراتي شديد الصعوبة، رفضت شقيقتها آن هذا العرض السخي بعد أن أقلعت عن العمل معهم واستردت بعضا من قواها إلا أن فيروس إلـ سي آي أيه لعب بدماغها ممّا أوعز إليها أنه سيكون آخر عمل لها، وعندما سمع أبيها بلغط الشقيقتين انضم إلى دينا وقال لها أتريدين الرحيل الآن؟! تفضلي أمامك الباب وندعو إليك بالسلامة، واحتضنت أبيها في حب جارف ونظرت

لأختها بعطف دامع وخرجت ووجدت سيارة سوداء كبيرة ينزل منها ديفيد مُتجهًا إليها في جدية فائقة ليحمل عنها الحقيبة فسارعت السائقة بزيها العسكري؛ لتحمل عنها الحقيبة، وفتحت لها الباب ودخل ديفيد من الباب الآخر ونظر إلى دينا وابتسمت له ابتسامة صفراء، ثم نظر إلى السائقة، فانطلقت بسيارتها في طريق مظلم اختفت السيارة عن ناظرة أبيها وشقيقتها.

عمل سال في مكتبه الفخم الجديد كعضو في الكونجرس الأمريكي وكان جادًا في عمله يلفت إليه نظر زملائه من أعضاء الكونجرس بأسلوبه الراقي المهذب والذي استطاع بفطنته أن يستحوذ على حب كل الأعضاء من خارج حزبه وفي يوم طلبت مقابلته صحفية من جريدة النهار اللبنانية من مكتبها في نيويورك وسمح لها بالزيارة ودخلت مكتبه الشديد الحراسة ككل الكونجرس مان، انقبض وجهه إليها قبل معرفة ما دعاها لمقابلته لكن وجهها الشرق أوسطي أباح له بأنها نذير سوء وقالت إنها نادية من طرف أبو طارق، ارتعد عند سماع الاسم وأجاب بسرعة ولهوجة أنا لست إرهابي ولن أقتل أنا نائب في الكونجرس هل تعرفين ما معني هذا، وكرر أنا نائب، لكن البنت في برود وعدم اكتراث قالت أبو طارق يريدك في مهمة أخرى ليست قتل ولا موت يريد منك رقم كود الصحة الخاص بالسيد كريس رئيس إلـ سي آي أيه، امتقع وجهه واحمرت عينيه وقالت نادية دون النظر إلى وجهه الممتقع أنها مهمة سهلة وبين يديك؛ لأن هذا الرقم السري في مكتبه وشفرته في الملف الخاص به وما عليك إلا فتح الملف وأخذ الرقم فقط.

كانت قد أعدت نادية خطة لسال على أن تأتي هي في زيارة صحفية من بيروت إلى السيد كريس على أن يكون سال موجود في مكتبه في هذه الساعة وسيكون لقائها معه في صالة الاجتماعات وتخلي المكتب له للعثور على الرقم المطلوب، وفعلا اتصلت الجريدة اللبنانية بالسيد كريس ولم يحدد ميعاد إلا بعد وصول مندوبتهم إلى نيويورك وبعد عدة أيام اتصلت نادية بمكتب كريس وطلبت مقابلته وكيف يكون ذلك ولديه سال الكونجرس مان المهم استأذن منه لمقابلة الفتاة الصحفية في عجالة وسيأتي إليه فورًا ولم يبدِ سال أي اهتمام لمقابلة هذه اللبنانية وذهب إلى غرفة الاجتماعات وقابل نادية وبدأت في التعارف واللت والعجن وما إلى ذلك لتكسب الوقت لسال الذي قفز إلى أدراج المكتب ثم دولاب الملفات وأخرج ملف السيد كريس وأيد الرقم المطلوب وأعاد كل شيء إلى موضعه وجلس ودخل كريس في نفس الوقت ولم يلاحظ شيء على سال وتبادلي الاثنين كلمات ليست بذات معني وخرج سال مصحوبًا بدعوات رئيسه في العمل.

الهم الأكبر الآن لديفيد العثور على السير جان أريك الذي اعتقد سال أنه قتله بناء على أمر أبو طارق وحفر حفرة له بالأمر ودفن جثة رفيق سلاحه في أرض العراق وكان هذا ثمن الإفراج عنه وعفو أبو طارق عن سال، أجزمت المعلومات المتوفرة لدي قيادات إلـ سي آي إيه بأن السير جان إيريك ما يزال حيًا وأتصل بزوجته التي أعلنت حداد موت زوجها وأكد لها سال ذلك دون الإشارة بأنه هو القاتل.

انتشرت عيون إلـ سي آي أيه تبحث عن إيريك في كل مكان في

البارات والمقاهي التي تعود السود الأفارقة أن يؤمونها، لمحه أحد الأفراد في الحي الإسلامي وبلغ على الفور وتجمعت ثلة من الجنود المدججين بالسلاح للقبض عليه وطاردوه واختفي داخل مسجد وهجم الجنود على المسجد وتفرق المصلون وحدثت هوجة وذعر ممّا حدا بالجنود إطلاق نار وتمدد على أرض المسجد سبع جثث غارقة في دمائها ولم يعثر على أريك الذي اختفى من أمام عيونهم وشاشاتهم وكمبيوتراتهم وفشلت هذه الثلة المدربة من الجنود، بقي على أرض الموقعة أربعة من المحققين لتولي التحقيق من إلـ أف ب آي وسجلت ضد مجهول، لفحت دينا حقيبتها المصنوعة من القماش على كتفها وهرعت إلى المسجد لمقابلة الأمام وأدهشها أن وجدت محققين في ساحة المسجد بأحذيتهم ونبهتهم أن هذا خطأ وعلى المرأة المحققة أن تغطي رأسها، هذه هي بيروت وعلينا احترام ثقافاتهم ودينهم، عادت دينا مرة أخرى لمقابلة الإمام في منزله وقدمت السيدة فاطمة لها الشاي إكراما للضيف ولم تتحدث كثيرا أمام زوجها لكن نظرات المرأة لبعضهن توحي بالمعاني أكثر من حديث الرجال وعويلهم وأشار الأمام لزوجه أن تصطحب الضيفة إلى الخارج، ولم تفهم دينا من الأمام أي شيء سوى الانتقام ممن فعل هذا وهذه لغة العرب، وملخصها الانتقام والشجب، ملح وذاب أيريك على رأي المثل العربي الذي يدل على الاختفاء أو الذوبان في محيطه، وشوشت فاطمة ببعض الكلمات في اتجاه أذن دينا وهي تقودها إلى باب الخروج.

اتصلت الصحفية نادية بسال لمقابلة سريعة وحاول أن يتخلص منها

لكنها أصرت وكان لقاءً سريعًا على الواقف، وبثت له آخر أوامر أبو طارق في التخلص من إيريك ويعلم سال أن إيريك يجوب المدينة عبر أنفاق المجاري التي هو خبير بها وهو في العراق كان يقودهم في المدينة عبر هذه الأنفاق، خطط سال لاغتياله لكن عليه أن يسجل كلمة للرأي العام الأمريكي أن اغتيال نائب الرئيس وقائد عمليات إلـ سي آي إيه الذين قادوا عمليات الذبح الممنهج في العراق والتي مات ضحيتها آلاف العراقيين دون ذنب مُطلقًا سوى الانتقام والقتل فقط وكان آخر عملياتهم قتل الطفل هيثم ابن أبو طارق الذي أحببته وأصبح أول رفيق لي بعد أن حررني أبيه من السجن والإعدام.

واليوم عليّا أن آخذ بثأر كل من قتل على يد سفاحي الحروب الغير عادلة والتي لم تكن بين جيش وجيش بل سفاحين من أمريكا أمام عزل من العراق والشرق الأوسط وان كان معهم سلاح فهو صنع أمريكا ولم يسعفهم الحظ للتدريب على استخدامه وكأنهم عزل، ذهب سال إلى إحدى القنوات الأرضية كلمة بالصوت والصورة وهو يتحدث عن هذه الواقعة وعن سبب الانتقام من مدير إلـ سي آي إيه وقائد العمليات ونائب الرئيس وقال: أنا السير جان سالفتور دي فرانكو قائد عمليات في الجيش الأرضي الأمريكي بناءً عما فعله كل من نائب الرئيس ورئيس العمليات ومدير إلـ سي آي أيه أخيرا في العراق وكنت شاهدا على جرائمهم وغرامهم بسفك دماء العراقيين تارة والأفغان تارة أن أضع حدا لهذا التهور المجنون وهذا اعتراف مني بذلك، وأخرج الكمبيوتر شيب من الكاميرا وحاول أن يخفيها داخل صخرة الدكة التي كان جالسًا

عليها وعلم بالتباشير الأبيض عن وجودها وعاد إلى المنزل لتستقبله جيسيكا بجسدها الفارع الجميل وقميصها الشفاف الذي يشي بما تحته من جواهر لا يستهان بها من صدر عامر بما لذ وطاب من حلمة نافرة أبدا وردية مدببة منتظرة قطافها إلى شفاه متعطشة لرحيق السعادة من زوجها الذي غاب عنها ثمان سنوات، دخل البيت واقتطف هذه الزهرة الرعناء الجميلة النحاسية اللون وأخذت يده لتقوده إلى مخدعها لعل وعسي لكنه قبض بيديه على خاصرتها العظيمة، حمل الجميلة ووضعها على الطاولة ورفع عنها التنورة الطويلة وهو على أهبة الاستعداد لاغتصابها هي المستسلمة له وإذ برنة على الباب ومفاجئتهم بجون أبنتهما المراهقة التي لمحت لملمة أبيها وأمها من على وش الاغتصاب وتوقفت الشهوة الجنسية التي كانت على وش التوفيق، وأفرغت جيسيكا نصف كوب من الخمر الأبيض المثلج في جوفها لتهدأ وخرج سال متجها إلى بار الجنود في ضواحي المدينة ليخفي فشله في عمل الحب بالطرق الطبيعية دون اغتصاب أو ممّارسة يدوية، ومع شرب البيرة المثلجة مع بول وزملائه انعطف الحديث بينهم عن المواقع التي فشلوا فيها أو نجحوا، أي نجاحهم وفشلهم عسكريًا نسبي إلى حد كبير، فنجاح العملية لك معناها فشل هناك وفي النهاية فهي حروب لاإنسانية من وجهة نظر الإنسان أيا كان وفي أي مكان.

استأنس سال مهامه في إلـ سي آي أيه ليكون عين أبو طارق ويده الطائلة وفكر كيف يقضي على السير جان إيريك وكذلك أبو مختار الخياط الفلسطيني لأنهم على علم بمهمة سال وفي تصفيتهم ليس سلام

لسال بل الحفاظ عليه لوقت آخر، ذهب سال في يوم إلى مخبأه في الغابة التي يتريض فيها يوميًا وعند القبو الذي وضع فيه شيبس الكمبيوتر وفاجأه هناك خط أبيض بجوار علامته التي ميز بها المكان ولم يجد الشيب، تمالك غضبه والتفت للعودة إلى منزله يستعيد ذاكرته لعله يعثر على من استحوذه أو سرقه من مكانه، وأكتشف سره.

شعر على رقبته بترف مسدس طالبًا أن يرفع يديه ونظر ولم يفاجأ بأن صاحب السلاح هو إيريك يتعقبه ليقضي عليه أيضا ودار حديثهم عن أهداف أبو نضال من توظيفهم معه وفي لمح أختطف سال مسدس أيريك وأطلق من مسدسه طلقة واحدة كانت القاضية عليه هو بعينه ولم يكن آخر وأكمل طريقه للمنزل وكأن شيء لم يكن واستقبلته جيسيكا كعادتها بالفرح والابتسام وجلسا الأربعة على طاولة العشاء كأسرة سعيدة لا ينغص حياتهم شيء، حضر بول يحتسي الديجستيف معهم وأبلغهم عن موعد لقاء القيادة وعلى سال إلقاء كلمة بمناسبة عودته من العراق، ابتسمت جيسيكا ووزعت ابتسامتها بالتساوي بين زوجها وعشيقها ولمح ذلك الزوج ولم يعلق.

ما أجمل وأروع من دينا تغزو بجسدها اللعوب كل المواقع وتفوز باقتدار سخية في حركاتها وتلويح شعرها الذهبي وغلق عينيها وإشراقة النهار فيهما، أما شكها في كل ما يحيط بها من أساسيات عملها وأصبح الشك داء طبيعي في تركيبتها النفسية وتقول دينا بالشك أصل للحقيقة فان فكرت في شخص مرة أراقبه وأن فكرت فيه مرتين أبلغ عنه لأنه في يقيني متهم لحين إثبات الدليل، هي تعمل كذلك ولا أحد يثنيها

عن فكرتها ولا السيد توم رئيسها والذي تكن له كل احترام لأنه رجل محترم ذات حيثيات لا يستهان بها في عالم المخابراتية، أما المهمة الثانية لسال ذهب لتنفيذها طبقا لأوامر أبو طارق التي أذاعتها له السيدة نادية الصحفية الفلسطينية وادعت أنها لبنانية ممّا يخالف الحقيقة، قال سال لجيسيكا زوجته الجميلة أنه ذاهب في مهمة سريعة وسيلتقي بها في حفل القيادة المركزية للـ سي آي أيه قالت جيسيكا في ابتسامتها الساهية الموحية بأنوثة فياضة لا تنسي أنك ستلقي كلمة في هذا الحفل وهو تكريم لك أيضًا سال كان ساهمًا ويخرج كلماته بصعوبة دون تركيز لزوجته وأرجعت هي ذلك لأهمية الحدث الذي من الممكن أن يعلن فيه عن ترقية لزوجها بعد أن أصبح كونجرس محط الأنظار حاطته ليكون نائب الرئيس.

استقل سيارته وذهب إلى أبو خالد الخياط في حيه الشعبي وفاجأته هذه الزيارة غير المتوقعة من سال والذي لا يعلم عنها شيء، أزاح سال عنه هذا الغموض وطلب منه أن يتصل بالسيدة نادية إن لم يصدق أنه الآن في حالة خطرة والـ إف بي آي تراقبه عن كثب وممكن إلقاء القبض عليه الآن فهيا معي لإخفائك استقل على عجل سيارته وأسرع في الطريق إلى إحدى الغابات القريبة ممّا شك أبو خالد في نوايا سال.

فجأة رن هاتفه وكانت زوجته تسأله أين هو؟! فطمأنها أنه بخير وسيلحق بها سريعًا، جلست جيسيكا بفستانها الأحمر وكأنها أميرة هذا الحفل وتنقلت من طاولة إلى أخرى وكأن زوجها بصحبتها وأعجب الجميع بها وبلباقتها في الحديث وهي صاحبة الدكتوراه في الأدب

الإنجليزي، ممّا زاد ذلك في رصيد زوجها لدي الحضور، وفي سرعتهم على تخوم الغابة الكثيفة لوحت سيارتهم عن الطريق وفرقعت إحدى العجلات الأمامية وحاول إصلاحها بطرقه البدائية في رفع السيارة بالحطب وعينه على أبو خالد أن لا يفر منه وفعلا فرَّ وجرى على حافة الغابة في الطريق المقابل ولحقه سال وقبض عليه ووضعه في السيارة وما يزال رنين تليفون جيسيكا يطارده بعد هذا التأخير وألتفت ولم يجد أبو خالد، أصابت جيسيكا بدوار غياب زوجها وماذا ستفعل فأشار إليها بول من على طولته أن تنهض وتلقي كلمة زوجها، وكانت الطامة الكبرى لسيدة لم تتعود على هذه المواقف وزاد من حيرتها طينة العرق الذي أزاح من على وجهها كثيرًا من المكياج الفرنسي، لكن نظرات توم المسبلة أشاعت في وجدانها أمل النصر وانتفضت وسارت في اتجاه المنصة وداعبت الميكروفون بأناملها السرحة وأذاعت بكل ثقة عن أسفها لغياب زوجها عن هذا الاحتفال الفخري وتحدثت عن شجاعة المارينز وعن نبل أخلاقهم ومهامهم لتأمين السلام القومي داخل وخارج الولايات المتحدة وصفق الحضور لها عن كلا مقطع في خطابها بلغتها الإنجليزية الراقية ممّا أوحت لهم عن ثقافة عالية وشاملة، انتهى الحفل على خير لكن لها ليس خير على الإطلاق، عرض بول عليها صحبتها إلى المنزل بسيارته.

رمح سال جريًا خلف أبو خالد وبدأت السماء ترسل غضبها على رأسه بشتاء فياض كريم، وفي قفزة واحدة ألقى بجسده على أبو خالد فانكفأ على وجهه في الوحل وسال فوقه وكتم صوته وحاول سال أن يعدله

على ظهره وجد آثار دماء غزيرة تنزف من ضلوعه التي غرزت في سن إحدى جذور الأشجار الكثيفة وأخذه على صدره وأزاح قميصه ليسد الجرح النازف ورن التليفون وكانت جيسيكا التي لم تصدق ما يقوله زوجها بعد سماعها رعد الشتاء وتوجع أبو خالد وطلب الاستغاثة ممّا حدي بسال أن يلف رأس أبو خالد لكتمه إلى الأبد وحفر له حفرة وأزال عليه الطين وذهب إلى محطة بنزين وبخرطوم تنظيف السيارات أستحم ونظف جسمه وغير ملابسه وأخذ طريق المنزل، وصل بول وجيسيكا قبله بدقائق وهم في طريقهم لباب البيت لمحوا سال قادمًا من سيارة أيضًا وكان الجوُ مُكهربًا ممّا حدا ببول أن يستأذن من صديقه وجيسيكا وينصرف لحال سبيله رغم دعوة جيسيكا له من باب الأدب والشياكة، نزعت جيسيكا ملابس السهرة بعصبية فائقة مخاطبة زوجها أين كنت وقبل أن يفتح فمه قالت لا تكذب أين كنت؟!

وقالت لا أصدق كذبك ولا أصدقك ولا أريدك وعليك أن تأخذ حقيبة ملابسك وترحل من هنا، لا أريد أن أسألك أين كنت؟!

وأخيرًا نطق وقال لا أستطيع أن أقول لك أين كنت هذا سر لي وأحتفظ به لنفسي قالت إذًا نحن لسنا زوج واحد وحيث أن لكل منا أسراره فالانفصال طريقنا سترتاح وأنا كذلك، غدًا لا أريدك في البيت.

في الصباح حمل حقيبته واتجه إلى العمل وهو في ساحة مبنى الكونجرس لمح في الاتجاه المعاكس دينا في طريقها إلى الخارج وتوقفا وألقى كل منهم تحية الصباح مع كلمات ليست بذات معني وقالت فلنصفح عمّا سلف ونعلن السلام بيننا، فنظر إليها باستغراب، وبعد

برهة، وافق على السلام ومدت يدها وأخذها وتواعدا على أن يكون بينهما تليفونات. ابتسم سال عن فكرة أين يذهب للمبيت تسمح زوجه له بالعودة إلى المنزل وحجز غرفة في فندق "الفور سيزون" وجلس على بار الفندق يحتسي إحدى جرعات الويسكي الأيرلندي المحبوب وجاءته الفكرة واتصل بدينا لعلها تشاركه وحدته وقدم لها النادل نفس المشروب وضعت الكوب على طرف شفتاها لتلعق منه ممّا زاد وجهها إشراقًا وجمالا فانحرفت عيون سال لترى فخذين بلورين قرب ساقه وحاول عدم الاقتراب ولا تفهم لماذا دعاها؟!

انتفض سال واقفًا ودار على كعبه وانصرف، لكن دينا المدربة لم تترك فريستها تهرب منها بهذه السهولة أن كان هو قرر ذلك فهي لم تقرر بعد هذه هي دينا القرار لها وحدها وليس للآخرين أن يقرروا لها وأن كان سال، اتصلت بالمكتب السري الجديد ورد شخص لا تعرفه وطلبت منه السيد توم وقال لها أنه "كون" وقد جاء هذا المكتب منذ فترة ولم تعلمي بوجودي وقالت له وما خبرتك بهذا العمل قال لي خبرة سبعة عشر عاما أدير مكتب في شيكاجو وجاء توم وطلبت منه شرحًا لهذا الـ كون وطمأنها أنه على علم بكل تحركاتنا وأحب عملك ويتمني أن تكوني تحت يده معاونة للمكتب، لم ترد دينا وقالت له: إنها الآن في فندق الفورسيزون لمراقبة سال وقال نحن نعلم بذلك وغرفته مراقبة على كاميراتنا ووجودك معه في البار وسمعنا كل ما دار بينكما وفي ملامحه عندما لمي له سره المسجل على الشيب، والآن استعدي للقبض عليه إلـ أف بي آي في الطريق، سوت شعرها الذهبي وهو إحدى أسلحتها

الحادة ودقت على غرفته وكانت دهشته من وجودها على بابه دون دعوة منه لكن أسلحتها الفتاكة تفتح لها كل الأبواب مع ترحيب حار وفي لحظة فتح الباب عنوة وهجم عليه ستة من الرجال الأشداء وغطوا رأسه وأعلنوه أنهم من إلـ ف بي آي وقالت له أنت متهم بالتجسس لحساب بلد أجنبي ومتهم بالأعداد لقتل نائب الرئيس، أعدت له ستة اتهامات كل تهمة تسلمه إلى حبل المشنقة ولم يسلم هو أنه أعند منهم، قيد سال إلى مكان تحت الأرض وقيدت يديه ورجليه في سلسلة حديدية لا أمل من أن يفرَّ منها، وحضر شاب فارع وسيم ذا ابتسامة طبيعية على وجهه، وقدم نفسه أنه السيد كون الذي سيتولى التحقيق معك في بعض التهم الموجة إليك لعلك تجد ردًا، ثم سأل ما اسمك بالكامل؟! قال سالفاتور ديفرانكو كونجرس مان، وليس لكم الحق في القبض على ولا وضعي في هذا القبو قال كون نحن معنا الحق في عمل أي شيء داخل الولايات المتحدة وخارجها وقبل أن نبدأ التحقيق أريد عرض فيلم عليك وأدار الكمبيوتر المحمول مُوجهًا الشاشة إلى سال، وقال سال أريد أن أتصل بالمحامي قال كون طبعًا بعد هذا الفيلم وأدار الفيلم وخرج خارج الغرفة ومن خلف شاشة المراقبة في الغرفة المجاورة وجهت عيون دينا وتوم وكون لمشاهدة انفعالات سال عندما يشاهد نفسه في تسجيله كاملا لقتل نائب الرئيس وقيادات من الجيش أيضًا ممن اشتركوا في قتل عدة آلاف من بينهم صديقه الطفل هيثم ابن أبو طارق، برقت عينيه ودمعت ليست دمعة الندم بل دمعة اكتشاف سره قبل تنفيذ عمليته الانتقامية بالجاكت الناسف، دخل عليه كون وقال ما

رأيك أتتكلم أم لاتزال تنكر هذا؟! قال سال هذا الشخص ليس أنا ولم أقل هذا الكلام وأصر على النكران ممّا أثار كون وأخرج مطواة وفتح سلاحها وهو يبتسم وفي لحظة غرس السلاح في يد سال ورشق على الطاولة وهجم الحرس من الخارج لتقييد كون الذي فاض غضبا وضمدت يد سال بإسعافات أولية لوقف نزيف الدم، وطلبت دينا أن تكمل التحقيق معه وعلى طريقتها ورن كعبها العال على خشب الغرفة في رنة خلخال تذيب له قلوب صخر الرجال، انتبه سال على وقع هذه الرنة التي يعرفها جيدًا، اتجهت دينا بجسدها الفارع إلى الأركان الأربعة في الغرفة لتغلق التلفزيونات وتقدمت إليه وأخرجت من جيب بنطالها الضيق مفتاح صغير بطرف أصبعها الرشيق وتناولت يد سال وفكت يديه من (الأساور) الحديدية وأحاطت أصابعها أصابعه ممّا شعر معها بسخونة حبهما الذي ما يزال يتوهج في كل الأزمات منذ صغرهم وقالت له أنت متهم بستة قضايا كل قضية كفيلة بحبل المشنقة ولا أمل لسجن معها، هنا أعرض عليك عرضًا واحدًا أتمني أن تقبله، لا أريد منك اعتراف، لأننا سجلنا عليك كل شيء حتى أحاديثك مع الصحافية نادية أما عرضي عليك هو أن تعمل معنا للقبض على أبو طارق حيًا أو ميتًا داخل العراق أو خارجها وهذا عليك هين، قال والاتهامات قالت دينا وهي تطوح شعرها إلى الخلف لا تهمة لا اتهام، حاول أن يبتسم وهي تنظر إليه وفهمت أنه موافق وخرجت تعلن ذلك لرئيسها السيد توم وكون بالتبعية، وافق الجميع وأطلق سراحه وطلب أن يتحدث مع جيسيكا زوجته ليطمئنها على وجوده ورن تليفون جيسيكا وهي في

الانتظار وقال لها سال سأكون في البيت هذا المساء، وهي جالسة خارج البيت جاءت ابنتها كارول لتجلس مع أمها وقالت لها هل أنتظر لأن جوهن صديقي سيأتي الآن لنسير بسيارته الجديدة بعض الوقت ولمحت الأم سيارة صغيرة بي أم دبليو ووراءها سيارة شيفرليه يو أس في تقف أمامهم وخرج جوهن وألقى التحية على جيسيكا واصطحب كارول وسار إلى المدينة، خرجت دينا مع سال بسيارة حراسة ي بيته الذي وجد زوجته منتظرة على عتبة الباب مضيئة البيت كله، رحبت به باقتضاب وتوجس ناظرة إلى يده المكفنة في الشاش والقطن وآثار الدماء على قميصه وقالت أين كنت؟ وكأن إصابته وهيئته لا تدل على شيء، ووقفت أمامه متخشبة دون روح ولا شعور مرددة نفس جملتها قبل رحيله أين كنت؟ ولم يفتح بقه وقالت لا تكذب قل لي أين كنت؟ وبدأت شفتاه في الحركة دون خروج صوت فقالت على الفور لا تكذب أين كنت؟ قال أعمل في إلـ سي آي إيه انفجرت جيسيكا في نوبة ضحك هستيرية مرددة ماذا تقول؟ إلـ سي آي أيه؟ كمان كذبه جديدة من أكاذيبك، وتحول وجهها إلى جاد مرة أخرى أين كنت؟ قال أعمل في إلـ سي آي إيه وهذه هي الحقيقة فبدا على وجهها الجاد أنها على وشك أن تصدقه واستأذنها في المبيت الليلة في البيت فرق شعورها وقالت أذهب إلى الحمام أن أكيد في حاجة لحمام ساخن لتهدئ من روعك وسال الدمع من عينه وذهب إلى نهاية الممشى الطويل الذي ينتهي إلى الحمام، حضن سال ابنه المستسلم لنوم عميق وفضل أن ينتظر كارول ابنته لعودتها من فسحتها مع جوهن وجلس يتحدث مع

زوجه حديث ودي وكذب سال في حديثه عمّا أصاب يده ولم يقل الحقيقة، شعرت جيسيكا بحاستها أنه ما يزال يكذب ودخلت كارول متجهمة صفراء الوجه وألقت التحية على أبيها الذي كان منتظر أن تكون تحيتها له أعظم من ذلك لكن أرجع هذا إلى سن المراهقة الذي يوما فوق ويما تحت وتركها تأوي إلى فراشها وهي في نكد بائن.

دخلت أمها عليها لتعرف الحقيقة منها لماذا عادت سريعا وما بها هل جوهن عمل حادث؟! انفجرت كارول في بكاء شديد وجيسيكا تحاول تهدئتها ثم أخذتها خارج المنزل في الهواء لعل وعسي وأعلنت لأمها أنها قتلت سيدة في الطريق وبدأت في الهلوسة، استمعت إليها أمها جادة لتعرف المشكلة أولا ثم تجد لها الحل وانفجرت البنت في روي حكاية فسحتها التي بدأت في أن يهربا من حارسه الذي يقطره خلفه كظله وضحكنا لهذه المغامرة وكانت شوارع المدينة خالية ونحن كذلك صدم جوهن سيدة توقف جوهن وقال: إنها لم تمت ولا أستطيع انتظار الشرطة لا بد من الهرب فورا ولم أوافقه وأصر وانطلق بالسيارة قائلا: إن أبي نائب رئيس الولايات المتحدة هل تعرفين خطورة ذلك؟!

ولم يعطِ كلامها اهتمام وأوصلني إلى هنا، وعاد إلى بيته دون الحارس همدت كارول قليلا، أما جيسيكا فكان الانهيار واضحًا عليها، وطلبت أن لا تذكر ذلك لأبيها وتتدبر الوضع ونامت.

الجمال لا يكتمل قد جمع الجمال في دينا واكتمل برجاحة عقل في غاية من الذكاء والفطنة، ولذلك كان عملها في الـ سي آي أيه مُوفقًا.

أما مشكلة المشاكل أنها مصابة بداء عضال من خلط كل أفكارها

وتقديم ما لا يصدق على أنه الحقيقة المطلقة تواظب أختها آن كطبيبة لكنها غير متخصصة في هذا المرض النفسي ولا يفارق دينا دواءها ذا الحبوب الزرقاء التي تسعفها بها آن عندما تواتيها نوبة التشنج أو الهيستيريا تأخذ حبة فتهدأ في الحال وتعود حالتها الطبيعية وكأن شيئًا لم يكن، أما الطامة التي تعرفها أنه اكتشف الـ سي آي أيه أنها مريضة بهذا الداء فلا مكان لها في هذه المنظمة، وهي التي تعيش من أجلها وبها، الكابتن بول صديق سال مسؤول عن التحقيقات التي تطال أفراد القوات المسلحة منذ تخرجه من مدرسة الحقوق جامعة هارفارد أحيط به علما في التحقيق في مقتل السيرجان إيريك لأنه دارت شكوك حول سال هو القاتل في ممر تحت الأرض للمياه العادمة وعلى بول أن يثبت ذلك ان كان سال هو القاتل أم لا ولمواصلة تحقيقه زار بيت سال ولم يكن سوى الابن بوب في البيت داعبه بول وذهب إلى جراج سيارة سال يبحث عن دليل وعثر على صندوق صغير وطلقات رصاص ناقص اثنين منها وخرج مُداعبًا بوب كعادته، لكنه عاد ليلتقي بجيسيكا ليحدثها في الأمر وقدم لها الدليل على أن زوجها هو القاتل برصاص يمهذهه، أغمضت جيسيكا عينيها دامعة متوسلة أن يغلق هذا الملف من أجل ابنتها وابنها وهي كذلك وحاولت تقديم نفسها له كما كانت تفعل لكنه رفض حبا فيها وحبا في هذه الأسرة التي ممكن أن تكون أسعد من ذلك، وخرج...

* * *

الفصل الثاني

صبح الصباح على الأسرة السعيدة وهيأت جيسيكا الإفطار لكل من أولادها، واصطحب سال كارول معه إلى المدرسة وهو في طريقه لعمله الثاني ولاحظ أن سيارة حمراء تتبعه وحاول الهروب منها، لكن ابنته معه وعند المدرسة كانت هناك سيارة بيضاء أخرى تراقبه.

نزلت كارول وكان صديقها جوهن في انتظارها وواصل سال طريقه إلى عمله في المكان السري لمكتب إلـ سي آي أيه، انتظم جوهن في الفصل واتجهت كارول إلى المستشفى العام تسأل عن السيدة التي أصيبت بالأمس في حادث سيارة، ودلتها الاستعلامات عن رقم الغرفة، لكن دخول المستشفى ليس سهلا، لكن لكونها من أسرة استخباراتية فلم يقوَ أن تخدع كل من يقابلها في الدخول إلى أن وجدت نفسها أمام غرفة السيدة الملقاة على سرير يحوط بها العديد من الآلات الطبية، ممّا يشي بأنها في خطر مبين، وانتابتها نوبة حزن وخوف أن تفقد السيدة حياتها وإذ بفتاة يعتقد أنها ابنتها تحدثت مع كارول وسألتها من تكون؟ وكذبت أيضًا أنها طالبة في كلية الطب، نظرت إليها الفتاة في ريبة وغافلتها كارول وهربت مُسرعةً خوفًا من إشعال مشاكل أخرى، وعادت إلى المدرسة وأخبرت جوهن بما حدث فجن جنونه وقال لها ألم تقدري موقف أبي الرجل الثاني في الولايات المتحدة هذه خطورة على والدي وأنا وأنت وأباك أوقفي الخزعبلات والتفتي لدرسك ولا تحادثيني لا

هنا ولا هناك تركها وانصرف إلى فصله.

وقفت دينا أمام كاترين وبيدها صور ومقالات وتحقيقات عن عملهما، حَيَّتْ سال ولامست يديه ولم يصدق مشاعرها بعد اليوم أنها تعمل من أجل إلـ سي آي إيه فقط وليس في قلبها شعره حب أو إنسانية قدمته لرئيسها توم وكان كون بالحجرة واثنين أو ثلاثة من العاملين في الغرفة الأخرى، يعملون بجدية وسأل نفسه هل يخططون لحرب أخرى؟!

وأجاب مع نفسه: هذه هي لعبتهم وهوايتهم قتل البشر في هذا القبو المخفي في مكان ما لا يعرفه أحد وعن طريق الكاميرات المنتشرة في المدينة والمكاتب والطرقات يتبعون كل الناس بأبشع الصور الهمجية داخل غرف نومهم وكذلك مراحيضهم ومكان قضاء حاجتهم الطبيعية، هنا لا شيء طبيعي، سألته دينا وهي تتصنع اللامبالاة من سؤالها وأشارت لصورة أبو مختار على الحائط وقالت ما أخباره ألم تتصل به مُؤخرًا؟، نظر إليها مُستطلعًا وقال: ومَنْ قال لك إني أعرف هذا الرجل؟ فقالت ألم تقتله؟ امتقع وجهه من المفاجئة التي لم تكن متوقعة على الإطلاق، وتركته يلوص في هواجسه وردت على مكالمة تليفونية بأنهم في المكان يفتشون عن أي دليل يثبت تورط أبو مختار مع تنظيم أبو طارق والذي سيساعدنا في فك ألغاز هذه العصابات هو سال، احتفظي به حيًا، وعند وضع سماعة التليفون في مكانها انتابها الخرص والهياج من سماع طلقات نارية كثيفة وخرس التليفون ولم ينطق وسألها توم عمَّا حدث وقالت إن طلقات نار كثيفة في محل أبو مختار فلنتحرك، وأمر باثنين من أتباعه بالهروع لمكان الحادث فورًا وجاءته المفاجأة

الكبرى أن أتباع أبو طارق كانت مراقبة لمحل أبو مختار وعندما دخل فريقنا للتحقيق هجمت القناصة وقتلت سبعة عناصر من بينهم رجلان شرطة وأصيب كون إصابة خطيرة، وفي المقابل عثر أفرادنا على مخزن سلاح آلي، والعديد من المسدسات وطلقات كثيرة بحالها وأهم اكتشاف الأحزمة الناسفة، وكأن أبو طارق يعد لحرب عالمية.

علم سال من نادية أنها كانت على علم بهذا الهجوم ولم تقل له.

وقالت لا أبوح بما أعرف لأنك الآن تعمل مع الـ سي آي أيه.

وبدأت إلـ سي آي أيه في مراقبة نادية عن كثب إلى أن قابلت شابًا في إحدى الحدائق العامة وتبادل الاثنين بعض الكلمات التي لم تستطع أجهزة التصنت سماعها ممّا قرر معه كرس رئيس إلـ سي آي أيه بمراقبته تحت إشراف توم الرجل المخضرم في أعمال الجاسوسية وأرسل خلفه من يستطيع أن ينول منه أول الخيط وبدأت المطاردة في أروقة المترو والرياسة تتابعهم خطوة بخطوة على شاشات التصنت وأجهزة الكمبيوتر وكأنهم في فيلم أمريكي رديء الإخراج، اختفى عدنان من على الشاشات ولم يعثر له على أثر وكأن الأرض شقت وابتلعته.

اتصلت فاطمة زوجة الإمام بدينا لمقابلة في إحدى المحلات العامة المزدحمة دائما بالبشر ولم تتحدث مع رئيسها أو مع أيا من زملائها رغم خطورة المقابلة وهرعت إلى المكان ووقفت كزبونة تلامس أصابعها المعروض للنساء وعينيها تلامس كل من في المتجر، وجاءها صوت من بين الملابس أتبعيني، وكانت هي فاطمة وتبعتها إلى ركن معزول، وقالت لها سمعت عن خبر مهم لك ولن أبوح به إلا لو نفذ طلبي وهو

مساعدتي في الرحيل إلى كندا مع خمسة مليون دولار، برقت عينا دينا واحمر خديها من وقع المفاجئة ليس المبلغ الكبير، بل من الخبر ماذا أن يكون؟ وبدأ عقلها يشتغل بكامل طاقته ممّا أحول خضار عينيها يمينًا ويسارًا، وقالت إذا كان الخبر مُهمًا جدًا فلنناقشه والتفتت إلى فاطمة ولم تجد لها أثر لا أمامها ولا بين الملابس ولا في المحل، اختفت واتصلت دينا بالسيد توم رئيسها وأبلغته بما حدث مع فاطمة، برقت عينيه وأخذ الموضوع جادًا وطلب منها أن تستمر في عملها لعلنا نصل إلى أبو طارق، سعدت دينا بمهمتها الجديدة وشعرت بمدى خطورة الإمام واتفقت مع توم على تسهيل مهمة فاطمة إلى مونتريال، التقت دينا بفاطمة في بيتها بحجة الحديث مع الإمام الذي يشرح لدينا مواعيد وكيفية أداء الصلاة جيدًا، وتأكدت أنه غير موجود في المنزل وطرقت الباب وفتحت فاطمة، وتحادثا في حديث سريع لم يأخذ منهما وقتًا واتفقت معها على كل شيء، ذابت دينا وبدأت حلقة الاتصال بينها وبين السيد ديفيد قائد العمليات والسيد توم في سرية تامة، وتسللت دينا إلى بيت شبه مهجور في إحدى ضواحي بيروت بكل جرأة واقتدار إلى أن عثرت على فاطمة واستلمت وسلمت ولم تكذب فاطمة أن معلوماتها على درجة عالية من الأهمية حتى أن السيد توم أخبر دينا بأن نائب الرئيس سيقود هذه العملية إلى نهايتها برئاسة رئيس الولايات المتحدة، هذه صفقة القرن للولايات المتحدة، بل والعالم أجمع عندما تذيع الولايات الأمريكية مقتل أبو طارق سيهتز العالم وتخضع السعودية ويتسلل حكام العرب إلى نعال الولايات المتحدة كالحشرات والدود اللزج.

وكانت هذه أخبار فاطمة أن أبو طارق سيزور بيروت وسيلتقي بالإمام مقابلة محددة الساعة واليوم، وتشكل على الفور مكتب قيادة العملية من قادة أفرع الجيش وكان سال من ضمن المجموعة عالية المستوى بقيادة النائب والرئيس نفسه من مكتبه البيضاوي ليعلن الخبر فور قوعه.

وفي هذه الغرفة الكئيبة تحت الأرض الأمريكية بدأت شاشات التلفزيون السرية في نشر وقائع موكب أبو طارق من بيروت وحالة الطوارئ على أشدها وحول منزل الإمام، ومرت سيارات رباعية الدفع محملة برجال أشداء مدججين بأنواع من الأسلحة، لم يكن لها نظير الذي عرف منهم أنهم من حزب الله في حماية الزعيم أبو طارق ومرت سيارة واثنتان، والجمهور اللبناني والفلسطيني يهلل ويكبر وترمح الأطفال خلف العربات مهللين وكأنه يوم القيامة، تم تحديد سيارة أبو طارق وبدأ قناصة إلـ سي آي أيه من على الأسطح القريبة في تصويب فوهات أسلحتهم صوب باب الخروج.

أعصاب قيادة العملية مشدودة على آخرها وبدأ العرق يتصبب من جبين سال الذي أخرج تليفونه وفي سرية ومن تحت الطاولة شبك أرقام وأغلق الهاتف، وفي لحظة هبوط أبو طارق من السيارة رن تليفونه ونظر إلى من الطالب وقفز في السيارة وأعطي الأوامر بالانطلاق، وانطلق الموكب بأسرع من طلقات رصاص القناصة الذي قضى على عدة رجال من أتباع أبو طارق، وهاج الشعب وماج وهتف الموت لأمريكا وإسرائيل وزاغ أبو طارق ونجى من موت محقق.

اصطحبت دينا فاطمة في سيارة إلـ سي آي إيه السوداء شيفورليه ستة

راكب وانطلقت بهم إلى مطار بيروت، لكن دينا طلبت أن تقف أمام أحد المنازل المتهالكة في بيروت وانطلقت بداخل البناية وصعدت إلى الطابق الثالث والأخير ودخلت غرفة تعرفها جيدًا وبحثت في أوراقها وفي مخلة القماش وضعت ما اعتقدت أنه مهم لها وانطلقت خارجة، وإذا بطلقات نار تحوطها من كل صوب تزلزل المكان وهي تجري وتختفي وتعود وهم من ورائها في ذعر إلى أن وجدت بابًا للهبوط، مصطحبة بوابل من الطلقات النارية، وإذ برفيق لها يجذبها من شعرها وحاط كتفها حتى استقلت السيارة الشيفورليه وانطلقت السيارة مصحوبة بلعنات أهل بيروت وصيحات أتباع حزب الله تلاحقهم، وفرت السيارة بعد تحطيم زجاجها فقط.

التقت دينا بتوم رئيسها الذي حضر لبيروت للإشراف على هذه المغامرة وسلمته دينا الحقيبة أو المخلة القماش بما تحمل من أوراق نفضها، وإذ بها أموال وضعت لحساب حزب الله في بنك مصر القاهرة.

ولم يعلق توم على هذا بالرغم من معرفته اللغة العربية بصورة جيدة وهذه ليست حالة يهودية بل حالة تتبع إلـ سي آي أيه أيضًا وهو يغلق الحقيبة وجد شيئًا يداعب أصابعه وتوقف برهة وأخرج مطواته الصغيرة وقطع القماش عن هذه المفاجأة وكانت "شبس" وضعه في الكمبيوتر وجلس يشاهد وامتقع وجه توم واصفر واصطكت أسنانه كلما بحلق في شاشة الكمبيوتر ولم يصدق أذنيه وأغلقه ليسترد أنفاسه من هول المفاجأة التي شاهد فيها سال ببدلته العسكرية ووقفته المستقيمة يعلن أنه السير جان سالفادور دي فرانكو سير جان في المارينز الأمريكي

لديه زوجة وطفلين، وهذه كانت داهية مسيحة على رأس توم والـ سي آي أيه، والحكومة والرئيس الأمريكي، وضع الشيب في جيب الجاكت الأعلى وطبطب عليه واستقل سيارته واتجه إلى بيت دينا ليخبرها أولا وقبل أي أحد لأنها جالبة الأخبار المفيدة.

شاهدت دينا ولم تنتابها الدهشة التي انتابت توم، بل صرخت وقالت: كنت على حق وقلت لكم هذا لم يصدقني أحد واتهمتموني بالجنون.

والآن أقترح أن يقبض عليه فورًا حتى دون الرجوع إلى الرئيس الأمريكي لأني دائمًا على حق، وصلت المعلومات إلى متخذي القرارات وعادت إلى منفذي الأمر وقادت العملية دينا بما لها من دلال على سال وقابلته في بار الفور سيزون وصعدت معه إلى غرفته وخلعت سترتها لا لتغريه بجسدها الفارع، لأنه يعرفه تمامًا، لكن لتكون حرة في هجومها عليه، وقالت له من قال هو في تسجيله ممّا أوقع سال في حيص بيص ولوحت عينيه وقبل أن يعمل فكره اقتحمت الغرفة فرقة من المارينز ووضع غطاء على الرأس وهو يصرخ قائلا: أنا كونجرس مان. لكنها لم تمهله كثيرًا، بل قيد إلى التحقيق.

اتفق الجميع على الإبقاء على حياته ولا يسلم إلى الشرطة المدنية ولايقدم لمحاكمة، بل عليهم أن يعمل معهم، وكانت هذه من خطط الجميلة دينا؛ لأنها تعرف تمامًا أية تهمة سيكون مصيرها الإعدام، عند اتخاذها أي قرار بشأن سال تفكر جيدًا في حياتها التي كانت سترطب به وحب طفولتهما وعملهما، لكن ماذا تفعل وهي بنت إلـ سي آي أيه؟!

* * *

إلـ سي آي أيه جادة بالإيقاع بأبي طارق قبل أن يعد لهجوم داخل الولايات المتحدة؛ لأن قتل عدنان في هجوم الخياط الفلسطيني لابد أن يكون له رد فعل قوي وسريع من حزب الله اللبناني، والذي عمل معه أبو طارق وممكن أن يكون جناحه العسكري، والحرب ستشتعل وستكون دمارًا للشرق الأوسط والعالم الإسلامي الذي طال سال في عقر داره.

وقال نائب الرئيس الأمريكي طالما الحرب بعيدة عن دارنا فلنشعلها!

فردَّ أحد معاونيه: وكله كسب لنا من بيع السلاح لأغبى البشر ليضربون بعضهم بعضًا حتى نهاية آخر نفس عندهم، ونحكم ونتحكم في بترول يعوضنا عن بيع السلاح.

قال نائب الرئيس: إذًا الحرب مستمرة وستستمر طالما نحن قررنا ذلك.

أقام نائب الرئيس حفلًا ودعى معظم الأغنياء لجمع تبرعات لانتخابات الرئاسة التي سيسابق فيها ليترك مكانه لسال، كانت حفلة مهيبة وكانت جيسيكا من المدعوين الأوائل لتنظيم الحفل مع زوجة نائب الرئيس، تسلل جوهن الابن خارج الحديقة متجها إلى سيارته عندما شاهد كارول في الحفلة وخاف أن تنوه عن مقتلهم بالسيارة لسيدة في الشارع ليلا، لكن كارول كانت تتبعه وطلبت منه أن ينتظر ولا يغادر المكان لأنها ذهبت أمس للمستشفى وحال السيدة سيء للغاية ولن تعيش، ممّا أغضب جوهن وارتفع صوته وجاءت أمه وجيسيكا لاستطلاع الخبر وقالت البنت وهي تبكي عندنا مشكلة نريد لها حلا إننا قتلنا امرأة في الطريق وكانت طامة للأم وانهارت جيسيكا باحثة عن مكان تلقي عليه مؤخرتها المغلفة في قماش شيفون مورد، صرفت البنت والولد وبقت

السيدتان للمناقشة وبكت جيسيكا، لكن سيدة الحفل نظرت إلى جيسيكا قائلة ما عليك يا صديقتي نحن على وشك عهد جديد لأزواجنا فعلينا الحرص في اتخاذ أي قرار، وأنا أعتقد أن الحل الصائب هو أن نكتم الخبر وكأن شيئًا لم يكن، رن تليفون سال فجأة وكانت دينا على الخط ابتسم ابتسامة صفراء ليست لها معنى عند حبيب أو غير حبيب.

طلبت منه أن يلتقي معها فورًا وهنا ليس ببعيد عن حديقة البيت التي كان يستطلعها مع السيد نائب الرئيس؛ ليطلع سال على بعض أسراره في علاقاته بهذه المجموعة من الناس الأغنياء والتي شاهد عدم ارتياح سال لهم، تركه وذهب إلى المدعوين وخرج سال مُتلصصًا لمقابلة دينا وجدها في الغابة بين الأشجار والنباتات الخضراء وكأنها جنية من الجنة القريبة من هذا المكان، ما زالت ابتسامته صفراء ممّا حدا بديان أن تدخل في الموضوع دون تمهيد وقالت من قال لصديقك بول عن مقتل أبو خالد الخياط، سألها ومن قال لك ذلك؟!

قالت بول نفسه؛ لأنه في حالة تحقيق من الجيش لهذه الواقعة التي فقد فيه الجيش سبعة من الأشداء المميزين.

قال سال: لست أنا من قال لبول من قتل من لا أعرف شيء.

صدقته وانصرفت بعد أن أفرج عن ابتسامة محبوسة بين شفتيه وتنهدت دينا وطبعت قبله على شفتيه أذابت برد الصقيع من على قلبه.

عاد سال للجميع ووجد جيسيكا في حالها السيئ على ابنتها ومستقبل زوجها وأسرتها، وقال ما بك؟ أحاطته بذراعها العاري المركب على كتفين مستديرين في انسجام لجسم رياضي، تبعها طائعًا وقالت نحن

في مشكلة، ابنتك وجوهن قتلت سيدة في المدينة بالسيارة وشرحت ما أملت عليه ابنتها من خلال دموعها، قال اهدئي سأبحث معها الأمر وذهب باحثاً عن كارول ابنته ووجدها منزوية على إحدى آرائك الحديقة الغنَّاء، انتفضت البنت خوفًا من نظرات أبيها، لكنه طمأنها أنه سيجد حلا لذلك وأنت ماذا ترين من حلول لهذه المشكلة؟!

قالت البنت وهي دامعة: أن نذهب إلى الشرطة لنبلغ عن هذه الواقعة.

قال سال: وهو كذلك فلنذهب سويًا.

ارتاحت البنت بعض الشيء ومسحت دموعها وفتحت عينيها وتجد أمامها دينا الفارعة تتصدر مدخل قسم الشرطة، قامت لتمنعه وابنته من الدخول أو إبلاغ الشرطة لأن في ذلك سين وجيم ويصل الخبر إلى إلـ سي آي أيه وتتعقد الأمور، أثناء حديثهم رفضته كارول جرت البنت في اتجاه مدخل قسم الشرطة وحاول أبيها أن يناديها فلم تستجب.

التقى عدنان بسال ليقدم له السيدة كاثي الأمريكية وزوجها محمد ليبحث لهم عن سكن ليس بعيدًا عن المطار وجد لهم سال منزلا مُتواضعًا بجوار المطار وواظب محمد على دراسته في الجامعة لعلوم الكيمياء وكان متفوقا أما كاثي فلا تعمل، إلا الأعمال البسيطة التي لا تحتاج إلى مهارات، وفي مراقبة محمد اكتشف أنه على علاقة بعدنان وتابعهم السيد توم وربط بينهم واكتشف أنهم يكونون خلية من خلايا حزب الله، وبعد البحث والتنقيب أتضح أن هذه الخلية مسؤولة عن هجوم محل الخياط والتي فقد سبعة من أهم عناصر الـ سي آي إيه، وغير عناصر إلـ أف بي آي.

بين محمد وزوجته كاثي إشارة وضع العلم الأمريكي على يمين البلكونة ومعناها أن لا يعود إلى المنزل والعكس أيضًا عندما يكون محمد في البيت ويشعر بالخطر، وهو عائد من الجامعة لاحظ سيارة تتبعه وكان قد وصل إلى الشارع الذي به منزله فوجد كاثي تعلق العلم فزاغ واختفي ولم يمهل الذي يتبعه مهلة البحث عنه لأنه اختفى حتى من على شاشات الكمبيوتر في غرفة المتابعة، علمت القيادة العامة لحزب الله أن محمد وكاثي قد علم عنهم وهم مراقبون من الـ أف بي آي وعليه يجب تصفيتهم لأنهم ارتكبوا خطأ ظهورهم في العلن وفعلا تم رشق منزلهم بالرصاص الذي أودي بحياة محمد أما كاثي فنجت من هذه المذبحة، واختفت لكن الـ سي آي أيه تأكدت من وجودها في محيط المدينة، وحاصرتها إلى أن استقلت حافلة متجهة إلى المكسيك وأبلغت السلطات المكسيكية بوجود أخطر عنصر من عناصر حزب الله على خطوطها السيارة من الولايات المتحدة إلى المكسيك، استقل توم طائرة خاصة إلى المكسيك وهرع إلى موقف الحافلات مصحوبا بقوات الأمن المكسيكية وفي هدوء طلب أن يغادر الركاب الحافلة وعند هبوط كاثي حاطتها فوهات الرشاشات والمسدسات ولم تقوَ على الحركة إلى أن تدخل توم وطلب منهم أن يسحبها، وعادت معه إلى الولايات المتحدة مجنزرة بالحديد من يديها ورجليها، وكانت زنزانتها الانفرادية في السجن شديدة الحراسة دون نافذة ولا هواء يتجدد ولا شمس ولا ليل ولا نهار أربع جدران صماء ومسطبة للنوم ومرحاض من الألمونيوم وأرض ملساء، والأبشع أن الزنزانة صماء لا يدخلها الصوت ولا تسمع بداخلها

غير ترديد أنفاسها.

لاطف السيد توم كاثي ذات الوجه السمح والعيون الزرقاء والشعر الأصفر المنسدل على كتفيها كاثي في نهاية العشرينات من عمرها ساومت السيد توم في معرفة أولا: محمد، وثانيًا: ما دور عدنان عند حزب الله؟ قالت بعد إلحاح عليها أنها لم تعرفه فأخرج لها صورتها معه في إحدى ممرات المترو أي يريد أن يقول لها لا تكذبي أنت أمام توم المحقق المخضرم في إلـ سي آي إيه، قالت كاثي:

إذًا تريد أن أبوح لكم بمعلومات وأنتم لا تريدون إعطائي غرفة بنافذة؟

قال إن كانت هذه أمنيتك سأتحدث مع مدير السجن فورًا؛ لعله يوافق.

وقفت أمام النافذة تملأ عينيها بضوء النهار دون أن تشم هواء لأن النافذة صماء وسمع صرير فتح الباب وإذا بالحارس يسلم توم بعض الأوراق الخاصة بكاثي وألقى عليها نظرة وأعطاها لها لتقرأ ما بها لعلها تلين معه، حاولت إغلاق جفونها وفتحها لعلها ترى وضوح الكلمات وفشلت فأخرج توم نظارة نظر وأعطاها إليها لترى وعند وضع النظارة على عيونها انفرجت شفتاها عن شبه ابتسامة، وفتح الباب وتقدم الحارس من أذن توم وألقى عليه عدة كلمات استأذن على الفور من كاثي في مقابلة سريعة وسيعود إليها بعد دقائق وخرج مُسرعًا وقبل أن يصل إلى من هو في انتظاره وبرقت عينيه وصرخ وعاد مُسرعًا يقطع الطرقة الطويلة في رمح وكأنه في سباق زاعقًا: الحارس أين الحارس؟!

افتح الباب الذي وصل إليه وبدأ يطرقه بجنون ولهوجة وزاغت عينيه ولما عاد الحارس وفتح الباب اندفع السيد توم ليجد كاثي ملقاة على

الأرض فارشة تحتها بحيرة من الدم القاني جراء قطع عرق يدها بزجاج نظارة السيد توم وظل يصرخ وهرع الطبيب ومساعديه لكن بعد فوات الأوان ولم ينس توم الرجل المؤمن أن يصلي عليها ويترحم عليها خافض الرأس لتمس رأس كاثي التي رفعها بيده ولطختها دماء غزيرة.

ذهب السيد توم لتفقد بيت محمد وكاثي بجوار المطار لعله يجد سببًا في وجودهم ولم يعثر على شيء ذات أهمية غير مذكرات محمد الدراسية وعن كاثي لا شيء، لكن عينيه تفضح دائمًا ما يفكر فيه، لأنه لم يقتنع بقصتهما وزواجهما وحياتهما وعليه أن يبحث، وهو في مكتبه مر عليه خاطر ومن عادة رجال الـ سي آي أيه أن تذكر شيء وعاد وتذكره وفكر فيه فهو حقيقة وعليه أن يبحث عن الحل، مرَّ من أمامه أحد معاونيه وطلب منه أن يذهب إلى بيت كاثي ويقف على سطح المبني وينظر حوله بنظارة معظمة ويشرح له ماذا يري أو ماذا يخطر على باله؟! وسأتابعك بالصورة والصوت من هنا، ذهب الشاب وصعد على سطح المنزل ونظر بالنظارة التي قربت كل ما هو بعيد وأشار على يساره داخل أسوار المطار يافطة لشركة "ديلتا اير لين" وبجوارها يافطة أخرى "للوفت هنزا" ثم بعيدًا وفي الوسط "إير فرانس" وكلها ليست للسفريات بل مخازن بضاعة كما يظهر أمّا على اليمين عدة مباني من طابق واحد وفي مقدمتها يافطة مكتوب عليها بالخط العريض الأسود "ب 2"، هذا كل ما شاهدته ورأيته وعلى كل التقط عدة صور للموقع هل تطلب مني شيء آخر من هنا قال السيد توم وهو يدعك رأسه لا شكرًا عد إلى المكتب، حاول ربط الأحداث والأشخاص ليصل إلى

نتيجة إلى أن عاد مبعوثه من المطار، وبدأ في أسئلته وكأنه محقق وأمامه متهم والآخر يجاوب بكل عفوية على هذه الأسئلة وقال:

هل هناك ما لفت نظرك حول يافطة "ب 2"؟!

قال نعم هناك عدد من رجال الشرطة وسيارتين شرطة أيضًا قال توم:

ولم تفكر لماذا هذه السيارات والشرطة، أهذه مخازن مفرقعات؟ !

قال لا أظن لكن باين أن هذه الصالة خاوية ولا شيء فيها وممكن التأكد من المطار، قال توم لا نريد أن يلتفت أحد لنا، لكن كل شيء واضح لي الآن أن ب 2 تعني مكان طائرة نائب الرئيس في الإقلاع والهبوط فإن اختيار هذا المنزل لم يكن صدفة، بل هو هدف لمراقبة تحركات نائب الرئيس في الجو، إذًا كاثي أتت من بيروت لتنفذ هذا الاغتيال، مع ملاحظة أن المسافة بين المنزل وبين المستودع لا تتعدي مائة متر، وهي كافية لكل طلقات الأسلحة لتصيب الهدف المرجو.

قال معاونه إن صفينا محمد وكاثي فلا يمنع من أن حزب الله ما يزال في الصورة وقال السيد توم إذًا علينا متابعة تحركات حزب الله والذي يستطيع ذلك هي دينا لما لها من خبرة ومعرفة ببيروت والشرق عامة، وأنت تعرف أننا نستطيع الحصول على معلومات من الأشخاص أو الشركات أو حتى الحكومات وما تفكر فيه!

نعم أعرف ذلك والحروب دائمًا تبدأ من هنا، نعم نحن الذين ندبر كل شيء في تغيير الرؤساء والحكومات وإشعال الثورات وإخمادها واكتشاف البترول وخرم الأوزون من تفكيرنا.

* * *

عاد سال إلى المنزل مُحبطًا، هو الذي مضى ثمان سنوات من عمره حبيسًا واليوم أيضًا ليس سجينًا بل أوامر وأفكار لا تنتهي في العمل وفي الكونجرس وفي الشارع وفي الأسرة وفي كل مكان محاط بإسالة وأوامر أليس من الأفضل أن أموت وأرتاح وأريح الناس مني؟! لكن من يحل السلام أن انتهيت على دينا مشعلة الحروب وقلوب الرجال أيضًا.

إنها دينا حاملة لواء الحروب والمصائب أن جمالها واسترخائها يزلزل أشد الرجال والجبال والحقول أيضًا. إنها آلهة الحرب الجميلة، ذهبت جيسيكا مع ابنها إلى بول تاركة سال في ركن من أركان البيت منزويًا، استقبلها بول بوجه عابس وسألته عن بنتها فقال إنها ترقد في الطابق الأعلى وتحادثا في أمر البنت وأحوال زوجها ولم يحاول أحداهما الاقتراب من الآخر وخرجت، عندما وجدت دينا أن منزل سال خاويًا ذهبت لتري سال ونادت ثم نادت عليه داخل الشقة إلى أن وجدته مُنزوياً في نفس الركن الذي تعود عليه في الزنزانة الانفرادية في محبسه، زحفت بجواره إلى أن مسكت يده ولفت يدها حول كتفه وقام معها إلى غرفته وفتحت عينيها إليه ورفعت حاجبيها وفرغت شفتاها الملتهبة وغابت بين يديه في قبلة ساخنة وضع قبالتها عمره، وتركته مستلقي على حافة الكنبة وخرجت أسعد ممّا دخلت ولم يفق سال إلا على وقع جيسيكا تنهر وتزوم على مستقبل ابنتها إلى أن انفجر سال، وصرخ فيها وفي عيشته وعمله وحياته التي لا يستطيع التحكم فيها وخرج على غير هدي، وكانت شاشات مراقبة إلـ سي آي أيه تراقبه أينما حل ولم يفهم السيد توم إلى أين سال ذاهبًا؟ وخشي أن يفلت من

يدهم وطلب من دينا أن تقطره وتابعته بسيارة الكنترول مع قائد السيارة إلى أن وجدي سيارته على الطريق الفرعي المتجه إلى لا شيء ممّا أزعجهم عندما وجدوا سيارة على الطريق ليست سيارة سال ومن أجهزة التصنت في سيارتهم تعرفوا على أن السيارة الواقفة على جانب الطريق تابعة بصورة أو أخرى لجماعة حزب الله، مروا هذه السيارة مسرعين وتوقفوا بعيدًا عنها وبدأت المراقبة إلا أن وجدوا هيئة سال مربوط اليدين وبين رجلين من الأشداء واستطاعت سيارتهم أن تلتقط بعض الصور لمن هم خارج السيارة وإرسالها للقيادة أو مركز العمليات وتم الكشف عنها، فإذا بسال وشخص آخر هو عدنان من حزب الله الذي شبه إليهم انه قتل في حادث الخياط، أثارت هذه المعلومات شكوك دينا وانزعجت أشد الانزعاج على حياة سال وقررت إنقاذه من يدهم وطلبت مساعدة من القيادة التي لم تسمع إليها ولا إلى استغاثتها بأنهم في طريقهم لقتل سال الذي تحبه أكثر من حياتها لكن ليس أكثر من السي آي أيه، وهنا قررت الهبوط من السيارة في اتجاه سال في الظلام المهلك وسمعت صوت أزيز طائرة هليكوبتر تأتي لأذنيها من الجنوب، وصرخت:

إنهم سيحملونه معهم النجدة النجدة! ولا من مغيث سحب سال إلى مرقد الطائرة الهليكوبتر وفتحت فاهها وابتلعت الثلاث.

رن هاتف دينا وكان سال وفرغت فاهها وفتحت عيونها ونظرت إلى السيد توم، فهم أن على الطرف الآخر هو سال فعمل أذنيه ورفعت دينا صوتها سائلة أين أنت؟ قال لا أعرف بالضبط سأطلب من السيدة صاحبة كشك الخردوات - والتي سمحت لي بالاتصال من عندها -

عن محطة السكة الحديد وسأتصل بك من هناك لعلى أعرف أين أنا الآن، اتصل به وحدد موقعه وذهبت دينا له فهو لا يبعد لا أكثر من خمسة وأربعون دقيقة من هنا، حامت حول محطة القطارات وإذ بسال يفتح باب السيارة وينزلق بجوار دينا التي نظرت إليه بارتياب وهو بتوجس وانطلقت السيارة في اتجاه مرتفع بين المسافتين لم تسأل دينا أين كان أو من الذي خطفه؟ بل طلبت أن يستحم بماء فاتر؛ ليعيد نشاطه ويستريح من هذه الغمة، وفعلا فعل وحاطته بيديها حبًا وتقديرًا على شجاعته ولقائها به بعد أن فقدت الأمل برحيله في الطائرة. أسدلت جزء من شعرها الأشقر على وجهه وبرقت عينيها وانتفضت من حضنه خالعة غلالتها وكان لقاء الروح المشبع بالهيام وتأودت وسبح في صدرها هائمًا ناعسًا حالمًا وأسدلت النصف الآخر من شعرها على وجهه ممّا أشاع ضوء مذهب في الغرفة وهام الاثنان في واحد فقط.

استقبله السيد توم ومساعديه في مكتبهم السري وبدأ معه سين وجيم فورًا وبعد أن عرف أن الخاطف هو أبو طارق انزعج أيما انزعاج وطلب أن يذهبوا إلى السيد كريس نائب الرئيس ورئيسهم كلهم، ليطلع على الأمر المهم والمزعج والذي عليه أن يأخذ علم فورًا بأن أبو طارق شخصيًا على الأراضي الأمريكية وهذا أمر خطير واستقلوا سياراتهم واتجهوا إلى مكتب السيد كريس بعد أن أبلغوه بحضورهم في أمر خطير وسمح لهم بالدخول عليه وأعلنوا لهم الخبر وتحدث سال وقال: إنه لا يعرف المكان الذي اتجهوا به إليه بالهيلكوبتر وكانت مفاجأة لي أن أرى أبو طارق حليق الذقن والشارب مُتقبعًا غطاء رأس فرنسي ابتسم لي بعد

السلام وتحدثنا عن كيفية العمل بيننا وكان صريحًا في أقواله ما عدا الصلاة التي ركعها مع أبي طارق حلفانًا لما تم التعاقد بينهما، لا أحد يعرف أنه أسلم على يد أبو طارق وعندما أذاعت ابنته في الدرس أن أباها مسلم، وانزعجت من ذلك المدرسة، وطلبت مقابلة ولي أمرها، وكانت جيسيكا التي استقبلت سال هذا اليوم بأقصى درجات الغضب، وألقت بالمصحف الشريف على الأرض مُنذرةً لزوجها بأشد العقاب إن لم يتراجع عن هذا المعتقد السفاح الهمجي الإرهابي، طلب كريس منهم اليقظة ومتابعة كل التحركات وسيعاون إلـ سي آي أيه كل الأجهزة المخابراتية في الدولة وتركهم وخرج.

قبل أن يغرب سال عن وجه أبو طارق قال له أنت تريد مني كل شيء وأنا من يحميني ويحمي أسرتي قال أنت في حمي أمريكا ألم يكفي هذا، وشم رائحة الغدر تفوح منه واتجه فورا إلى مقر عمله وطلب أن توضع أسرته في حماية الدولة خوفا من اغتيال أبو طارق لها وفعلا أرسلت سيارة مع سيدة من الجيش إلى بيت سال واستقبلتها جيسيكا وطلبت منها الرحيل معها وأولادها فورًا وبدأت البنت كارول يظهر عليها أعراض المراهقة من نرفزة وصوت عال ورفض لكل ما يقترح عليها لكن بول أوقف تطاولها وكانت هذه أول مرة يشخط فيها بقوة لينهي معاملتها مع أمها بهذا الشكل واستقامت البنت ولملمت حاجتها وخرجا الكل إلى شقة في عمارة في غاية من الجمال والهدوء والأتساع والحراسة أربع وعشرون ساعة في اليوم، سعد الابن بهذا المكان البراح الجميل وتهنت جيسيكا بوجود بول معهم كحارس شخصي داخل المكان

وبعد أن استسلمت البنت والولد لنوم بعد إرهاق شديد استيقظت جيسيكا ورفعت الغطاء عن كيانها وهبطت من على السرير ليستقبل قدماها العارية خشب أرضية الحجرة الدافئ وفي خطوات راقصة الباليه الروسية تخرج من الغرفة إلى الطرقة الرخامية مفتوحة العينين والمسام الجنسية التي يفوح منها عطشها إلى مزاولة الجنس كلما سمحت الظروف أو لم تسمح بذلك فهي خبيرة في ركوب الخيل، وإن لم تضارع دينا في سباقها المحموم إلى الجنس، فتحت حجرة بول الذي لم يطرف له جفن واعتدل على ظهره وتطايرت ستارة الشباك، فأنار الضوء صدره المنتفخ رياضيًا وجزءًا من عضلات بطنه الست ولم تمهله جيسيكا عندما شاهدت جسد صديق زوجها وانتابتها نوبة جنون حلو وقفزت عليه تقبل فمه وتدك لسانها في فمه وأسنانها تضغط على شفتيه ومدت يدها اليمنى كثعبان مدرب على التهام فريسته وقبضت على ذكره وتشنجت وقالت لقد وحشتني وأطبقت بفمها عليه وهو يدفس رأسها في صدرها على مهل، تعدُّ عضلات بطنه الستة إلى أن وصلت إلى حلمتيه النافرتين وبدأت في لعقهما وكانت رحلة الهبوط مرة أخرى والصعود وألقت بنفسها عليه وركبت حصانها وبدأت الجري إلى أن فاض به واستنجي وفرش لها ذراعه الأيسر لتلقي برأسها الجميل عليه، استيقظت على نور الفجر ونظرت إلى الساعة وكان الصباح قد شقشق والطيور تمرح والورد تفتح فنهضت تبحث عن غلالتها الكاشفة عن جسد ارتوى ولم يشبع بعد وجرت على حجرة أولادها لتجدهم مستسلمين لنوم الهدوء والعافية وذهبت، وطلبت الفطور، وهنا وصل سال إلى

البيت في حراسة حراس المكان إلى باب الشقة الذي يستوطن أمامه جنديين من إل أف بي آي، دخل سال البيت وكانت جيسيكا وبول في حالة اشتباك وعناق وأفلت كل منهما عند دخول سال ونظر إليهم وفهم أنهم كانوا في عناق لكنه لم ير شيئًا ولاحظ سال أن شفاههم وما حولها حمراء من القبلات فغض البصر واستأذن بول في الرحيل وهب الأطفال لوداعه وخرج.

رنَّ تليفون سال ونظر في شاشته وفغر فاهًا وخرج من باب الشقة ليد إل أف بي آي وستأذن منهم يواصل حديثه وكان على الشاشة كابوس أبو طارق عينه ممّا أفزعه وسأل ماذا تريد الآن لا أعمل معكم؟ ولم أكن يومًا إرهابيًا ولن أكون، أنت تقتل وأنا لا أقتل، قال أبو طارق أنت أقسمت معي على أن تكون طوع إرادة الله، قال سال نعم ولم أكن طوعك أنت وأنهى حديثه دون سلام، أعيد أبو طارق المكالمة التليفونية وقال لسال أنت تعمل معي ولا أستطيع تنفيذ خطتي هذه بدونك رضيت أم أبيت وسأريك ما يجعلك تغير رأيك وكانت الصورة على شاشة التليفون لدينا مقيدة اليدين مكبلة الوجه والأرجل مربوطة في ماسورة مصنع متهالك لا تقوى على الحركة ولا الكلام ووجهها متضمخ بالدماء ممّا أفزع سال وقال أتركها، أتركها وسأفعل.

عاد سال إلى الشقة وطلب بالتليفون من القائمة بحراستهم أنه سيذهب بعد عشر دقائق إلى الكونجرس وخرج مُهندمًا واضعًا إشارة الكونجرس على صدره ووجد السيارة في انتظاره وعند باب المبني الشديد الحراسة حياه الحرس التحية العسكرية الواجبة للأبطال العسكريين مثله، وسأل

عن كريس نائب الرئيس فقيل أنه في اجتماع وجلس سال على كرسي بجوار باب يؤدي إلى صالة الاجتماعات ولمح كريس هناك وفي غفلة سار إلى الجهة الأخرى من هذه الصالة الفسيحة إلى يعرفها جيدًا وطلب دورة المياه وأشار إلى السلم الرخامي وصعده بهدوء وانطلق إلى مكتب كريس ودخله ليبحث عما طلبه أبو طارق وهو رقم علبة جهاز انتظام ضربات قلب كريس وفي سرعة يفتح دولاب ويغلق آخر إلى أن وجدها وفتح هذه العلبة ولم يجد بها سوى ما يشبه فأرة الكمبيوتر متصلة بالجهاز وعلى جدار هذه العلبة كان رقم وهذا ما طلبه أبو طارق، اتصل به تليفونيًا وقال معي الرقم إن أردته أفرج عن دينا فورًا وقد كان وطلب أن يراها وهي تخرج من هذا المكان وفعلا خرجت مسرعة ولم تفهم شيئًا ثم أذاع سال رقم العلبة دون أن يفهم أهمية هذا الرقم، لكن الذي كان يهمه أولا الإفراج عن دينا وإيقاف هذه الحرب القذرة من جهة نظر الأمريكان وحزب الله أيضًا، وهذه الحروب القذرة وجهة نظر لكل منهما دون النظر أن عم سال سيكون وجهة نظر أيضًا، أرسل أبو طارق الرقم إلى منظم عمليات حرب الكمبيوتر وأدخله في برنامجه ليتحكم في ضربات قلب كريس نائب الرئيس اشتعل الحديث بين سال وكريس حول تنظيم إلـ سي آي أيه ولماذا عين كون رئيسًا على دينا؟! وكان من الأفضل أن تكون دينا هي الأعلى درجة بعد السيد توم وفي حديثهم تقلص وجه كريس وبدأ يضع يده على قلبه وفهم سال أن أبو طارق هو الذي يتحكم في قلب كريس هذه اللحظة و حاول كريس الذي انهار إلى الأرض خلف مكتبه أن يطول التليفون

لكن سال أزاحه من أمامه وقال ألست أنت صاحب الدماء المسفوكة في العالم والآن الدور عليك ودع الدنيا يا كريس دون أسف عليك وأغمض عينيه وتوقف قلبه، مات، هرع سال على السلم يطلب الطبيب ونجدة لأن نائب الرئيس في خطر، واهتزت مبني الكونجرس والبيت الأبيض وأبو طارق وكل بدرجاته.

* * *

وصلت لكل الاستخبارات الأمريكية عن هجوم وشيك بقيادة أبو طارق شخصيًا والتقت الأخبار بأن مكان التفجير أما محطة البنين الرئيسية وفي تفجيرها سيعم الخراب المدينة العاصمة وانتشرت القوات في كل مكان ولمح موكب الإرهابيين يحوم حول محطة تموين وقود السيارات وحوصر المكان وحلقت الهليكوبتر والقوات الخاصة ولمح نادية بجوار نافذة المطعم الملحق بمحطة البنزين وقاد العملية السيد ديفيد نيابة عن كريس الذي مات، وشاهد أشخاص تحمل بطريات من سيارة لأخرى من بينهم عدنان فآمن ديفيد أن أبو طارق نهايته قريبة وعلى يديه.

عند أول هبوط ترجل من السيارات المرافقة وأعطى ديفيد أوامره بإطلاق النار وقتل كل من يهبط من السيارات وانتهت العملية ولم ير أبو طارق فشاط غضب ديفيد وطلب أمن كون أن يوقف العملية فورًا.

كان من أهدافه غير المعلنة أن يغتال سال وهو بطريقه إلى الكونجرس لتأكده من موت أبو طارق، وعندما فشلت طلب من كون أن لا يقتل سال لأنهم في حاجة إليه في ظهور أبو طارق.

في إلـ سي آي أيه مجموعة تسمى اليد السوداء تعمل من تحت إلى

تحت وهي مجموعة موازية للـ س ي آي أيه ومن مهامها الإجرامية القتل وتدبير الانقلابات وسفك الدماء والاغتصاب امرأة أو رجل تقتل الأطفال والكبار والنساء وليس لها لا روح ولا دين ولا أخلاق على الإطلاق للعلم السيد كون الموظف الجديد ويترأس دينا من هذه المجموعة وقد عين لقتل سالفتور والسيد توم الذي يعرف أكثر من اللازم بالرغم من أنه فصل من الـ سي آي ايه بسبب معرفته الكثير وأصبح الحكم في يد ديفيد ذات البشرة السوداء التي تخفي تحتها كل انفعالاته وما يفكر فيه. ونجي الكونجرس مان من خديعة كون في اغتياله داخل سيارة الحكومة والذي انتحل وظيفة سائق سال وعند توجيه فوهة مسدسه الكاتم للوت إلى سال جاءته مكالمة ديفيد ليوقف القتل ونظر إليه سال وقال ماذا تفعل هنا وببروده قال لأن سائقك مريض وفضلت أن أكون معك في يوم عصيب كهذا، لم يدخل هذا الكلام على رجل مدرب تدريب عاليًا على الخداع ونظر سال إليه وزم شفتيه على أنه موافق، التقي سال بصديقه القديم في الدراسة والعمل والذي اختفى فترة وها هو يظهر فجأة بجواره على البار ويأخذ كأس في حب لقائهما لكن سال لا يحب ولا يرغب في مواصلة معرفته؛ لأنه كما كان يعتقد ويظن أن هذا السيد المدعو "دار" هو من اليد السوداء إن لم يكن رئيسهم تحدث معه ليذيب جليد اللقاء المفتعل وعلم أنه فصل من العمل لكن دار طمأن صديقه بأنه ممكن أن يعيده للعمل مرة أخرى بما له من صلات قوية تبس توم له من تحت نظارته وتركه يكمل مشروبه، قالت جيسيكا لزوجها سال لقد وصلنا إلى المنزل وهرع الأولاد إلى

منزلهم الذي توحشهم كثيرًا، ونزلت جيسيكا من السيارة لكن سال لزق في مكانه لا يغادره، وسألت ماذا بك قال لا أستطيع دخول المنزل ولا أرغب في العيش معك وصعدت جيسيكا إلى السيارة وقالت ماذا بك؟ أجننت وأنت على أبواب أكبر مركز في أمريكا، قال لم أكن عاقلا مثلما أنا الآن وتركته وهي تقاوم دموعها وأنصرف ليطرق باب دينا وفتحت له الباب دهشة، لكن انفراج شفتيها كان أقرب وأسرع ممّا كانت تفكر فيه ودخل مرحبًا به، أحاطت ذراعيها رقبة سال وتحسست جسده حتى فاض به ولم يستكف، جذبته من يده إلى فراشها وكانت واقعة حلم بها من زمن بعيد ووطأته بجسدها العار وهو تحتها يئن وهي تضحك في حركات هيستيرية وكان وقع الحب بينهما عجيب، مات والدها فتوشحت بالسواد ممّا زادها روعة ورونق جديد ولم تكن تعلم أن حبها لوالدها بهذا الشكل المفرط للقلب وكانت أختها آن شريكتها في حزنها وودعوه هناك بجوار زوجته التي سبقته بعقد من الزمن لتهيئ له مكان في الجنة ودعت آن شقيقتها إلى الكنيسة ليصلون على أرواح من فقدوا وكانت آن أشد إيمانًا بالله من دينا التي عبدت جسدها وجسد من تلتقي به، ممّا جعلها تفكر كامرأة وليست كأنثى لإشباع شهواتها فقط وقررت أن تنجب طفلا؛ ليبكي عليها حين الوداع الأخير، ولم يكن في مخيلتها رجل محدد، لأنها أحبت كل الرجال وستحبهم أيضًا، لكن لسال مكان خاص في قلبها منذ الطفولة، وعليه وقع اختيارها لتنجب طفلا معه، وكان فعل الحب بينهما هذه الليلة مُختلفًا وذات طعم ومذاق شديد أنها شعرت برحلة سائله بداخلها، اصطحبته في يومها السعيد إلى بيت أبيها

في إحدى الغابات البعيدة هناك بين الجبال والبحيرات وفي نفس المكان المتفق عليه مع أبيها وجدت مفتاح المنزل تحت قصص الورد، ودخلت ودعت سال إلى البيت المهجور ذهب سال لجمع بعض أخشاب الشجر للتدفئة والإضاءة أيضًا، انتهزت دينا فرصة خروج سال وعبثت في أدراج مكتب أبيها إلى أن وجدت ما تبحث عنه وملأته بست طلقات نار ووضعته في متناول يدها لو حدث غدرًا منه وكما تعلمت من أبيها أن الحرص واجب، عاد سال وأوقد النار في المدفأة العتيقة وهبطت دينا إلى قبو المنزل تبحث عن خمر أبيها المعتق وخرجت بزجاجة عليها كثير من الغبار والقدم ي ورقة عنوان الزجاجة نشف وتلوي واصفر لكن عندما تذوقوها سويا انتعش فؤادهما، وكانت ليلة ليلاء من الحب والدلع والهرج الجنسي أيضًا، ذهبت دينا في الصباح الباكر بسيارتها لتتبضع بأكل وتركت سال نائمًا وعند استيقاظه تجول في البيت يبحث عن دينا ولم يجد السيارة في مكانها.

أخذ سجادة صغيرة وذهب إلى شاطئ البحيرة والشمس تشرق على مهل في عتمة الليل بأشعتها الحمراء وبخار الماء يغطي البحيرة والطيور تسبح فوق الماء تبحث عن رزقها ورفع سال يديه نحو السماء وخرجت من بين شفتيه كلمات منغمة:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عليهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عليهِمْ وَلَا الضَّالينَ..." صدق الله العظيم

ورفع يديه وركع ركعتين الصباح في هذا الجو المفعم بالأيمان والسلام الذي يطلبه من خلال أزير الأسلحة الفتاكة وكان في الطرف الآخر من البحيرة قناص على درجة عالية من المهارة يصوب فوهة سلاحه نحو رأس سال الذي ركع لله في أول طلقة أصابت الشجرة العتيقة خلفه ولم يتحرك وأكمل إلى نهاية الصلاة وقيل له: إن عناية السماء تحميك وأنت بين يدي الله تتعبد بسلام وقد قبل منك الله نيتك وضميرك للسلام نبذ العنف والسلاح وإعلاء لكلمة الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ولملم كون سلاحه ورصاصاته وابتسم لسال وهو راكع وذهب.

عادت دينا إلى المنزل ومعها خبز وأربع حبات من البطاطس هذا كل ما وحجته وعملت دينا وسال سلق حبات البطاطس مع الخمر المعتق وكانت أجمل وجبة التهموها في سعادة وحب وكلام جميل عن أن يعيشوا سويًا وينجبون أطفالا ويكون لهم حياة مستقرة وقال سال لكن الحياة المستقرة التي تنشدينها في سلام لا تتأتي مع عملك في إلـ سي آي أيه فعليك الاختيار تفتحت شفتاها كورق الورد البلدي الأحمر اللون ولمعت عيناها في معان كثيرة هل توافق أم لا أما سال فلم يعد عليها السؤال بل أخرج من جيبه مسدس أبو دينا، وقال لها تبحثين منذ أن دخلتي من الخارج ونظر إليها رافعًا المسدس مُوجهًا فوهته إلى أعلى وقال هذا هو ما تبحثين عنه، ما يزال الشك يحوم حولهما وضعه على الطاولة في متناول يد دينا وقال أنا أطلب السلام وأنت لم تنبس بأي حرف بل تفتحت شفتاها عن لا شيء.

* * *

عاد ديفيد إلى منزله مُتأخرًا وفي هدوء البيت تسحب إلى غرفته لكي لايزعج زوجه ولا أولاده ووقف أما المرآة يستعرض طوله وعرضه وقوته في إشعال الحرائق على كوكب الأرض أن مكر ديفيد وخبثه ولؤمه يخيل للرئيس الأمريكي أن البيت الأبيض هو صاحب القرار ولم يتخيل أحد أن القرار الأمريكي كان قرار ديفيد المتعطش للدماء يدفعه ذلك من يلتف حوله من أصدقاء مقربين من صانعي السلاح ومتربحي الحروب في العالم، شعر بحاسته المخابراتية أنفاس تتردد خلفه وهو سابحا في هواجسه الشريرة، التفت فجأة خلفه وإذا بكون يجلس في العتمة في ركن الغرفة على فوتيل واضعًا ساقًا على ساق وفي يده مسدس مصوب إلى

لا شيء قال ديفيد لقد أرعبتني، ماذا بك، ولماذا أنت هنا؟!

أجاب كون في برودة وهدوئه الذي هو من سماته وقال لن أقتل سال لأني لو قتلته ستعرف دينا ولن تترك ثأره إلا لو قتلتني فقال ديفيد اقتلها هي الأخرى قال كون رفض كون اقتراح ديفيد وقال إن حدث شيء لسال أو دينا سأعود إليك وصوب مسدسه نحوه منبها أنه سيقتله، تراجع ديفيد عن موقفه لأنه يعلم أو يخاف من أن تصل سال أخبار من حزب الله تفيد بأن ديفيد هو مفكر تفجيرات الدرون في لبنان وضاع فيها مئات من الأرواح وهيثم ابن أبو طارق كذلك.

* * *

حمل جثمان أبو طارق إلى سفينة حرب وفي جمع من ضباط البحرية ولمخابرات قام أمام السفينة بزيه العسكري واضعًا شالا على رأسه حاملا المصحف الشريف بين يديه.

وأمَّ صلاة الجنازة على روح أبو طارق وكفن بأحسن كفن وألقي به إلى أعماق البحار ليكون مثواه الأخير وفي الجهة الأخرى كان تأبين السيد كريس مهولا في قاعة إلـ سي آي أيه الفخمة.

وحضر تأبينه ثلاثمائة مدعوًا حول زوجه المتشحة بالسواد وتقدم منها سال مُعزيًا دامعًا مُتأثرًا ممّا أدمع عيون الزوجة وأخذ مكانه وهناك لمح دينا متأثرة من هذا اللقاء وغمزت بعينها اليسرى لسال أن يتبعها هز سال رأسه بالموافقة وبعد أن ألقى سال كلمته وخلفه صورة الفقيد تتصدر المسرح ولم يعرف أحدا أن القاتل كان أبو طارق مُتخفيًا في صورة سال الذي سرق رقم منظم قلب نائب الرئيس.

أشار في خلسة إلى دينا ولحقت به في مكتبه وقفزت كغزال شارد على سال تعضعض من شفتيه وهو يتلذذ برحيق السعادة المتدفق من فاهها ولسانها وشفتاها نظر سال من خلف ظهرها في النافذة وقال هذه هي سيارتي لم أضعها هنا بل لي مكان كانت فيه نظرت دينا إلى السيارة التي كانت تحت صالة التأبين بالضبط ولمعت عيناها ونظرت إلى سال وانفجرت المبني بمن فيه عند سقوط جثمان أبو طارق المحيط . زجاج على الأرض النوافذ محطمة كل ما في الغرفة طار وهمد على الأرض رفعت دينا رأسها السائل في دمائها بصعوبة وحولت عينيها تبحث عن الفاعل ولملمت نفسها ووقفت بصعوبة ساحبة مسدسها مُوجهًا إلى وجه سال الذي بدأ يرفع رأسه رويدًا.

وزمت شفتيها وقالت أنت الفاعل أنت القاتل.

نظر إليها قائلا:

كيف أكون القاتل وأفجر سيارتي وأنا معك ومعهم في نفس المكان؟!
قالت ومن غيرك حمل الحزام الناسف لا أصدقك.
ولوحت بمسدسها في وجهه ليقف أو يرقد مكانه، لكنه أكد لها أنه ليس المفجر لسيارته ولا من نقلها من مكانها إلى هذا المكان، لأنه ببساطة كان معها طول الوقت وصدقته.
وحاول الخروج، لكن النيران كانت مشتعلة في كل مكان وقتل التفجير الرهيب كل من كان في العزاء.
وأذاعت وكالات الأنباء والتلفزيون قطع برامجه ليعلن الخبر.
خبر تفجير مبنى إلـ سي آي أيه وتسابق المعلقين والمحللين السياسيين حول العالم هذا الحادث الرهيب في هذا التوقيت.
ونظر السيد توم إلى الجثث والدمار في القاعة مع نفر من الـ إف بي آي وغيرهم من المنظمات العاملة للتأمين.
وقال أحدهم للسيد توم أين كنت في هذه اللحظة؟!
قال كنت في تأبين أبو طارق من على ظهر السفينة الحربية في الميناء وقرأت عليه من آيات التوراة ما يريح روحه والآن أتلو الآيات من الكتاب الرباني على أرواح مواطنينا الذين لا ذنب لهم سوى وجودهم في واجب العزاء.
بعد هذا التفجير الذي هزَّ أمريكا والعالم تفرد السيد توم بقيادة إلـ سي آي أيه أمام الرئيس الأمريكي واتصلت به زوجه من هناك لتخبره أنها ستأتي لتكون بجواره ودمعت عينيه.
سحبت دينا سال خارج المبني وقالت له:

لن يصدقك أحد وعليك الهرب، اذهب إلى كندا ومنها أمامك العالم.
هل تريد شيئا أبلغه لجيسيكا؟!
قال أنا زرت بول بالأمس وطلبت منه أن يعتني بجيسيكا والأولاد وودعته في المقهى وشربنا نخب صداقتنا بزجاجتين من بيرة باد ويزر الأمريكية وودعته.
قابلت دينا السيد توم واحتضنها وقبلها على خديها في عناق أبوي طويل، وهو الذي اعتقد بموتها وأذاع عليها نبأ لم تكن تتوقعه أنها على وشك ترقية عظيمة في إحدى الدول الآسيوية.
ترددت دينا كيف لها أن تقبل هذه النقلة الكبيرة دون أن تفكر في سال؟ والطفل الذي بدأ في أحشائها من سال وهل ستكون سعيدة بعيدة عنه؟!

* * *

الفصل الثالث

شكلت محكمة من أعضاء الكونجرس للتحقيق في هذه الجريمة التي وقعت بأرض الولايات المتحدة وضاع أكثر من ثلاثمائة إنسان ونثرت جثثهم في قاعة إلـ سي آي أيه مكفنة بالبياض في منظر رهيب.

دخل السيد توم القاعة ودمعت عينيه وتلا من التوراة ما هو مناسب لهذه الحالة، وتبعته دينا في حزن ما بعده حزنًا، وهي لا تصدق أن حبيبها يفعل ذلك، وللحق أيضًا ولا السيد توم نفسه لا تساوره شكوك حول سال، كما فعلت الأجهزة الحكومية وأذيع الخبر على التلفزيون، وصدمت جيسيكا وابنتها ودمعت عين بوب الابن عندما ظهر تسجيل سال وهو ببدلته العسكرية ووجهه المنتقم الغاضب وهو يذيع اغتيال نائب الرئيس، وعم الصمت وخرست جيسيكا ودمعت كارول، وذهب كل في اتجاه ليبكي أبيه الذي اعترف على هذا التسجيل أنه إرهابي وسيعدم اليوم أو غدًا، وحضر بول ليعزي عائلة صديقه ويكون في عونهم كما وصاه صديقه أيضًا.

واستؤنفت المحاكمة في جو مفعم بالضباب الأسود الذي ينتظر هذه المحاكمة السوداء في تاريخ الولايات المتحدة، والكل يعلم أن أقصى العقوبة ستوقع على دينا لعلاقتها القوية مع سال إذا علمت المحكمة أنها كانت على علاقة جنسية مع سال، وهذا يخالف تمامًا لوائح وقوانين وأعراف إلـ سي آي إيه، وأرجعت دينا هذه العلاقة بحجة أنهم

أصدقاء الطفولة والدراسة والعمل أيضًا.

ولم تثبت المحكمة أنها ضاجعت سال وشهد لها رئيسها السيد توم وأن إلـ سي أيه لا تستغني عنها لكفاءتها في عملها وإخلاصها لبلادها، وأكملت محامية دينا عن أن حياتها الخاصة ملك لها طبقًا للدستور والقوانين أيضًا وهذا لا يتعارض مع عملها حتى وإن لوائح العمل تمنع ذلك، وانتهى يوم التقاضي ولم ينتج شيئًا ضد دينا، بل وجهها السمح الهادئ كان مُساعدًا مُهمًا في هذه المواجهة.

واستدعى السيد توم كرئيس للـ سي آي أيه للإدلاء بشهادته أمام هذه المحكمة والتي حاول رئيسها أن يلقي تبعات الحادث الأليم على أكتاف سال ودينا رغم تبرأهما منها، جاء نبأ من مباحث إلـ سي آي أيه عاجل أمام القاضي حول القضية التي اتضح من التقرير بأن الفاعل هم جماعة حزب الله وكانت من تخطيط أبو طارق قبل إطلاق الرصاص عليه في مخبأه، إذ قال بأن يوم تأبين كرس نائب الرئيس، ورئيس إلـ سي آي أيه، يومًا سيزلزل أمريكا والعالم بهذا التفجير، وكانت ساعة الصفر هي لحظة توديع جثمان أبو طارق.

التقى توم بدار في أحد المقاهي ليلا وتحاكيا عن آخر الأحداث وخاصة تفجير إلـ سي آي أيه ومحاكمة دينا ونبه السيد توم بأن المجموعة الإيرانية هي التي نفذت هذه العملية الإجرامية، وقال دار وصلتني معلومات عن أنهم خمسة أفراد وسادسهم كان سال، ولم يفهم السيد توم ماذا يقصد من تنويهها بذلك؟!.

وانصرف وصدرت الأوامر إلى اليد السوداء بتصفيتهم مرة واحدة وفي

نفس التوقيت لأنهم الآن موزعين على عدة دول لمحو الشبهات عنهم من منهم في طهران، القاهرة، بيروت، عمان، غزة.

ولا نعرف أين اختفى سال؟! لكن تنظيمنا سيعرف مكانه قريبًا.

وبدأت خطة القتل الجماعي في حرب مفتوحة ضد إيران.

وجاء الخبر الذي نقله على الفور إلى السيد توم عن اغتيال المجموعة بنجاح، وهكذا يُسمى القتل عندهم نجاح والدفاع عن الحق جريمة.

اجتازت كل البوابات وكل علامات الحجز وكل العسس المنتشرين من المدخل وفي مكتب السيد توم وكل نظراتهم موجهة إلى رأسها المكفن بغطاء يظهر منه جزء بخيل من شعرها الأسود اللامع فوق عيون امرأة مدربة على صد هذه السهام الشديدة الوقع عليها، برقت عيون السيد توم وارتفع حاجبيه الكثيفين وبينهما علامة مائة وإحدى عشرة ممّا يشي عن الغضب ودخل عليهما كون اليد السوداء ونظر إليها وقدت نفسها مشيرة إلى الملف الذي قدمته للسيد توم ولم يفتحه، وقالت اسمي آمنة.

وفتح السيد توم الملف وعدل من حاجبيه إلى أعلى مع ظل ابتسامة نادرة ونظر إلى كون مُستدركًا قائلا: إن السيدة آمنة من أوائل المحللين الاقتصاديين عن جامعة هارفارد وهي أمريكية من أصل إيراني لينبهه أن هذا الغطاء الذي على رأسها دينيًا وليس سياسيًا، اصطحبها السيد توم إلى مكتبها وأمام ثلاث شاشات كمبيوتر جلست لتباشر عملها حول تمويل المجموعة الإرهابية التي هاجمت مبني إلـ سي آي أيه وقال توم لن تخرجي من هنا إلا ونحن على علم بمن الممول وتركها وخرج وأمر أن يعمل معها فريق من المتخصصين وبعد عدة أيام جاءت له بثلاث

بنوك يعملون مع إيران واليمن ومصر قال السيد توم عليك الآن معرفة المسؤول عن التحويلات المالية ونستدعيهم هنا ونفتح معهم التحقيق، سمع كون كل هذا الحوار مع السيدة آمنة إلى أخذت الأمر وعادت إلى مكانها طبع صور وتعلق تحليلات رقمية، وأخيرًا كان أمامهم ستة أشخاص من كوادر هذه البنوك الثلاث، وقال توم وهو يشير إلى كون فلنستدعيهم فورًا، ونفذت الأوامر وحضر ستة أفراد على درجة عظيمة من الأيافة والشياكة والكلمات المنتقاة، وجلس مع السيد توم وآمنة في اجتماع قاده السيد توم الذي حضر مُتأخرًا بعض الشيء ليثير لعابهم أو ليجفف حلقهم، وقال إننا نعرف مدى علاقة بنوككم ببعض الجهات الذي لا تعمل لصالح الولايات المتحدة ومنهم حزب الله في لبنان، من خلال بنك مصر بالقاهرة، وجماعة الحوثي باليمن، وبن لادن بالسعودية وكده أنا قلت لكم الصراحة ونريد منكم الصراحة أيضًا، لكنهم أنكروا كل علاقة لهم بهؤلاء الناس أو الحكومات ونحن بنوك دولية لايعيبنا أية شائنة، وانتهى اللقاء على أن يكون معهم لقاء آخر غدًا، ولاأمل من لقاء ثالث وتركهم السيد توم يرحلون، توجه الجميع إلى أحد المطاعم الفخمة في المدينة لتناول العشاء وفي رحيلهم ظهر كوين مُتصدرًا أحدهم وقال له بصورة جادة، ولا تقبل التردد بل الإظعان فقط قائلا: أريدك أن تجاوب بما يريده السيد توم، قال من أنت؟!

قال كون أنا الذي أرسله إليك الله ليمد في عمرك إذ لم تظعن، وذهب.

لم تقتنع محكمة الكونجرس بأقدمية دينا ولا محاميتها وعليها أن تقول الحق لأن الحق الذي تطلبه المحكمة، غير الحق الذي قدمته دينا

ومحاميها والذي لم يقنع أساسًا السيد توم إلا تعاطفه معها فقط، أما الحقيقة التي تطلبها إلـ سي آي أيه تختلف عمّا قالته وهم يريدون عمّا يدور في رأسها، حجزها السيد توم في حجرة وغاب عنها دوائها وثارت ثائرتها، ممّا حَدَا بهم نقلها إلى مستشفى الأمراض العقلية لتهدأ ويعود إليها عقلها وطبيعتها وحضر كل من أبيها وآن أختها الطبيبة لتحدث الطبيب المعالج بأن شقيقتها لديها بعض اضطرابات العصبية وليست في حالة جنان ودوائها معي وناولته علبة الدواء وقرأ ما عليها وقال سأحتجزها هنا لمدة ثلاثة أيام وسأتصل بك حاول أبيها أن يهدئ من روعها، لكنه فشل أيضًا، وحاولت الهروب منهم إلى الباب الخارجي، وأوقفها الحراس وأعادوها إلى السرير مكبلة اليدين.

حضر كون لزيارتها ومعرفة أخبارها لأنه يعلم مدى معرفتها بأمور كثيرة يصعب علينا أن نعرفها حول علاقتها بسال وزوجته والسيد توم ورفيقته الهندية وأخته في القدس.

جلس بجوارها على حافة السرير وازدادت حدة النقاش بينهما كالعادة وحضر حارسها ليستطلع الخبر وطلب من كون أن يتركها الآن، لأنها مرهقة، فنظرت إليه بحقد وقالت لماذا تريدون أن أتعب وأرهق وأموت؟!

أنا أريد أن أخرج من هنا فقط!

خرج الحارس بعد أن تأكد من قيدها من معصمها في السرير.

* * *

رحل سال إلى كندا ومنها إلى فنزويلا بجواز سفر مزور ساعدته دينا في ذلك وأعطته الكثير من النقود؛ لتسهل عليه أمره خارج الوطن حيث

أن دينا لها علاقات واسعة مع عصابات فنزويلا إذ أنه يعكف عناصر حزب الله اللبناني المدعومين من الملالي في إيران، على التخطيط جنبًا إلى جنب مع جنرالات فنزويلا والمتمردين الكولومبيين وتجار المخدرات لإغراق الأراضي الأمريكية وتنفيذ هجمات 11 أيلول/ سبتمبر جديدة، هذه الفكرة تبدو مثل سيناريو لأحد أفلام هوليوود، ولكنها صدرت من أعلى المستويات السياسية والقضائية في واشنطن، وفي محاولة لتوسيع نطاق "محور الشر" من الشرق الأوسط وعبر المحيط الأطلسي، أعيد طرح العبارة المثيرة للجدل "إرهاب المخدرات"، التي تستخدم كسلاح ذو حدين، باعتبار أنها تحول مهربي الكوكايين إلى إرهابيين، والمجموعات المصنفة إرهابية إلى مجرد عصابات إجرامية، ويستهدف الادعاء العام الأمريكي النائب السابق للبرلمان الفنزويلي عادل الزبيار، الذي وُجِهَتْ له في آيار/ مايو تهمة المشاركة في مؤامرة إرهاب مخدرات، إلى جانب تهريب المخدرات وتهم أخرى عديدة متعلقة بالسلاح.

هذا السياسي البالغ من العمر 56 عامًا، تصفه واشنطن بأنه عضو ناشط في عصابة "كارتل الشمس"، وهي مجموعة من المهربين التي تغلغلت في أعلى دوائر الجيش والسلطة التشريعية والقضائية في فنزويلا، وهو متهم بالسفر إلى الشرق الأوسط لشراء أسلحة وتجنيد عناصر من حزب الله وحماس، تم تدريبهم في فنزويلا لتنفيذ هجمات إرهابية على الأراضي الأمريكية.

وقد جاءت ردة فعل عادل الزبيار غريبة بعد هذا الاتهام، حيث أن هذا الرجل الذي يترأس الاتحاد الفنزويلي للجمعيات العربية، والذي ينحدر

من أصول سورية، كتب على تويتر بعد إبلاغه بهذه الاتهامات:
"إنه لشرف أن يقوم أعظم أعداء بلدي فنزويلا وبلد أجدادي سوريا باختلاق هذه التهم".

هذه الاتهامات الموجهة له مبنية بالأساس على شهادات مجهولة لعميل في إدارة مكافحة المخدرات الأمريكية، يدعي أنه سمع السياسي الفنزويلي كابيو روندون وهو يأمر الزبيار بالسفر إلى سوريا وفلسطين للحصول على السلاح وتجنيد عناصر من حزب الله وحماس، كما يدعي هذا العميل أنه شاهد روندون يشير إلى شاحنتين مملوءتين بالبنادق وقاذفات آر بي جي، ويقول: إنها مخصصة للقوات المسلحة الثورية الكولومبية (فارك) في مقابل "الحلوى" التي قاموا بتقديمها، يشار إلى أن منظمة فارك مصنفة في قوائم الإرهاب لدي الولايات المتحدة، وهي تقاتل منذ وقت طويل للإطاحة بالحكومة الكولومبية، إلا أنها انخرطت في مفاوضات السلام في 2016 وانتهى وجودها في 2017، ولم يتبقَ منها إلا فصيلا صغيرًا يواصل القتال، أما كلمة "حلوى" المشار إليها فهي تعني في هذه الثقافة مادة الكوكايين.

إلا أن الدليل على أن عادل الزبيار هو حلقة الوصل بين عمليات شراء السلاح والتجنيد، هو أمر يوصف في أفضل الأحوال بأنه غير ثابت، إذ أن هنالك صورة له رفقة الرئيس الفنزويلي الراحل هوغو شافيز في زيارة رسمية إلى الرئيس السوري بشار الأسد في 2009، أما الاتهامات بكونه حارب في سوريا فهي تستند إلى صورتين له رفقة أعضاء في ميليشيا تابعة لبشار الأسد في 2014، وكلتا الصورتين قام الزبيار

نفسه بنشرهما على شبكات التواصل الاجتماعي، كما يشير نص الاتهام الأمريكي إلى أن الزبيار ظهر في مناسبتين على قناة المنار اللبنانية التي توصف بأنها "ذراع البروباغندا الإرهابية لحزب الله"، كما لم يقدم الأمريكيون أية أدلة من أي نوع حول مزاعم قيامه بتجنيد وتدريب مقاتلين، ناهيك عن تخطيطه لتنفيذ هجمات إرهابية.

* * *

أوصت دينا أحد عملائها خيرًا بسال الذي وصل إلى فنزويلا على سفينة شحن حيث تسلمه العميل الفنزويلي وكانت مشادة عليه لكونه أمريكي وشعره الأحمر لا يخفي جنسيته، وأطلق عليه النار واستقرت الطلقة في بطنه ونقله أحدهم في سيارة نصف نقل إلى موقع رئيس العصابة ورحب به وطلب إسعافه فورًا ورحل المرافق وأغلقت الأبواب على هذه المدينة التي بدون أسم ويحكمها المخدرات فقط أطفالا وحمير وروث ونساء وبنات وأولاد يمارسون جميعًا الدعارة ولا فرق بين بنت وولد طالما بذلك يحصل على قوته اليومي، حمل سال باثنين من الرجال الأشداء إلى مكان يمتاز بالقذارة وسوء الترتيب من ناس كلهم في حالة إغماء من الكوكايين ودخل مشعوذ رث الصنعة بصحبة عشيقه الطفل مجرور من يده حاملا حقيبة الإسعافات التي طوحها الطفل بجوار مرقد سال وبدأ المشعوذ يشرح كيفية استخراج الطلقة وسال ينزف دما ممّا أشار إلى الطفل بأن يعد ملعقة كوكايين ساخنة ليحقن بها سال الذي فقد توازنه فورا واستخرج الطفل بأصابعه الرقيقة ما استقر في بطن سال وحاط جسده بأقمطة مهلهلة إلى أن جاءت فتاة

لاتتعدى الخامسة عشرة سنة، لتتولى السهر على سال وحقنه من وقت لآخر بمادة الكوكايين، وفي الصباح انتبه سال على آذان الفجر يصدح على المدينة الناعسة بنداء:

اللهُ أكبرْ، اللهُ أكبرْ.. اللهُ أكبرْ، اللهُ أكبرْ

أشهد أن لا إلهَ إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمدًا رسولُ الله.. أشهد أن محمدًا رسول الله

حيِّ على الصلاة.. حي على الصلاة

حيِّ على الفلاح.. حي على الفلاح

الصلاة خيرٌ من النوم ..الصلاة خيرٌ من النوم

اللهُ أكبرْ.. اللهُ أكبرْ .. لا إله إلا الله

وضع سال رأسه على طرف عامود خشب في أعلى البناية التي كشف منها قبة الجامع المذهبة وقال عليّا أن أذهب إلى هناك فهو ملاذي من هذا الجحيم، وصرح للبنت التي ترافقه بنيته، وساعدته على أمل أن تذهب معه هي الأخرى هربًا من الجحيم الذي ولدت فيه، وكانت تخفي أوراقه داخل سروالها، وتبعها إلى أن خرج من الباب الكبير الصاج إلى العراء وسارت به للجامع وحياهم بالسلام عليكم وتحدث مع الإمام الذي دعاه إلى منزله الملحق بالجامع وخلع نعليه وحيا سيدة الدار، واستأذن منهم أن يستحم ودخل الحمام وقابل الماء البارد النظيف على بدنه المتسخ ورفع رأسه للشكر لله وإذا بهرج كثير خلف ستارة المكان وقذف في وجهه بلكمة يد تبعتها لكزة بحافة سلاح إلى ظهره، ممّا أوقعته أرضًا تحت ماء الدش، وسال دم من وجهه، ودخل جنديان كانا قد

طلبهما الإمام لسال لشكه فيه بأنه إرهابي، لكن طلقات نار العصابة كانت أسرع منهم وأردوهم قتلي ثم تحولت الفوهات المدربة على سفك الدماء إلى الإمام وتبعه زوجته التي حاولت الهرب من منزلها وقتل على أعتابه وحمل سال لعودته إلى مكانه وحبس في مربع ضيق من شباك الحديد لا يفلت منه أبدًا؛ لأن ثمن عودته عشرة آلاف دولار عدًا ونقدًا، وهذه ثروة لا يستهان بها.

* * *

دينا الجميلة حبيسة مستشفى الأمراض العقلية، وتعاطفت معها إحدى الممرضات، لأنها تعتقد في أن دينا سليمة مائة في المائة وليس على عقلها أي عطب طلبت محامية دينا تشكيل محكمة لمحاكمتها وإثبات أنها ليست خطر لا على نفسها ولا على المجتمع وشكلت المحكمة وفي خروجها إلى القاعة بصحبة محاميتها ورجل الشرطة لمحت هناك السيد دار يزحف كأفعى إلى مكتب القاضي واحمرت عينيها وفهمت أنها لن تخرج من هنا وفعلا بعد نضال المحامية وتقديم أدلة دامغة على سلامة دينا أصدر القاضي أمره باستمرار حبس المتهمة لأجل غير مسمى.

ذات صباح طلب أحد الأشخاص مقابلة دينا وكان رجل مهندم شيك على درجة عالية من الثقافة والأخلاق والأدب وقدم نفسه بأنه مُحامي يعمل في أكبر مكاتب المحاماة، وهو هنا لمساعدتها في الخروج من هذا المكان، إن وافقت على مقابلة رئيسه في العمل.

حولت عينيها وبات الغضب فوق أنفها، فقد فهمت ما هو المقابل من عملها معهم وقالت "لا" مقطوعة من شجرة لا مرد ولا معقب عليها

وتركته وخرجت تحمل الكارت الشخصي له، إلا أن غيرت من رأيها أن تتصل به، وهنا أشارت إلى الكارت.

* * *

البناية التي احتجز فيها سال مرتفعة جدًا وحضرت العصابة لتهديده مرة أخرى أن حاول الهرب ثم إنه إن هرب إلى أين سيذهب؟ وهذه المدينة أو شبه المدينة لهم وقال زعيمهم انظر هذا الرجل أدين وعلينا معاقبته لأنه خالفنا ومسك فيه رجلين وزجوه من أعلى وبعد برهة سمع ارتطامه بالأرض ومات تحت صرخات سال أن يعفو عنه لأن هذه جريمة، وقال زعيمهم هذا مالك إن حاولت مخالفة أوامرنا.

وجاء طبيبهم مع عشيقه الطفل ليحقنه بمخدر الكوكايين.

وصرخ سال لا لا تفعلوا ذلك، أنا لا أريد هذا المخدر.

ولم يلتفت لصراخه وتقدم منه الطفل؛ ليحقنه والطبيب فاشخ حنكه، مُداعبًا رأس الصبي، وهمد سال كجثة لا حول لها ولا قوة.

* * *

دخلت الممرضة المتعاطفة مع دينا عليها حاملة ورقة مختومة من وزارة العدل بالإفراج اليوم وفورًا ولم تصدق دينا لا الورقة ولا عينيها الدامعة، لكن عطف الممرضة عليها أقنعها بالرحيل وخرجت متجهة إلى بيتها وهي لم تفهم شيئًا، دخلت وألقت بحقيبتها وأفرغت كوبًا من الخمر الأبيض المنعش والتفتت للجهة الأخرى وإذا بالشاب المحامي الأنيق يجلس يضع ساقًا على ساق ينظر إليها مُهنئًا بسلامة العودة، قالت سال بحدة المفاجأة تفضل اخرج من بيتي فورًا، قام بهدوء مُتجهًا للباب.

وقال لها هل فكرتي في مقابلة رئيس مكتب المحاماة؟
وقالت لا بد أن تعرف بأنني لست عميلة ولا خائنة لبلادي قال الجنتل مان لانطلب منك هذا فقالت دينا إذًا سأذهب! تركها الجنتل مان ولملمت هي حوائجها وذهبت إلى صديق لها نامت ليلتها عنده، وفي الصباح الباكر هربت من عنده وإذا بسيارة فخمة سوداء تقف بالقرب منها ويهبط الجنتل مان فاتحًا فوهة السيارة الرباعية الدفع لتركب وأذعنت دينا، حملها إلى خارج المدينة في بيت عظيم تحيطه الحدائق المثمرة والموردة ودخلت البهو الكبير وقابلت رجلا مهيبًا عليه سمات العظمة قال لها وأخيرا أنت هنا ورددت ما قالته للجنتل مان أنا لست عميلة ولا أتحدث هنا مشيرة بعينيها إلى المكان فاصطحبها إلى الخارج ليكون حديثهم صريحًا، وكان السؤال واضحًا صريحًا أيضًا نحن نريد معرفة كيف عرفت إلـ سي آي إيه فريق العمل؟
قالت ولمن تعمل؟ قال مكتبنا للمحاماة يعمل لصالح شخصية إيرانية تتكسب كثيرًا من عملها مع الإرهابيين فكما قالت لكم السيدة آمنة المحللة الاقتصادية: إن هذا الرجل يكسب خمسة وأربعين مليون دولار من هذه العملية وهو يريد أن يعرف كيف عرفت إلـ سي آي أيه خطته، لوحت عينا دينا قليلا واحمرت مناخيرها الدقيقة وزمت شفاها وقالت لن أتكلم إلا معه شخصيًا، وتركها تذهب على أن يرتب معها لقاء.
هربت دينا من المحامي الذي أفرج عنها وزاغت إلى أن وصلت إلى بيت السيد توم إلـ سي آي أيه نظر إليها سائلا لماذا أتيتِ هنا؟ هذا بيتي ولا أريد أحدًا أن يشاركني فيه، نظرت إليه ونظر إلى عينيها

اللوزتين وهي تدمع قائلة لا عليك أن تتركني كل هذه المدة في المستشفى، كدت أن أجن، ضمها إلى صدره في حنو وهي دامعة العينين وأخذها من كتفيها وخرج إلى الحديقة لتهدأ من روعها قائلا علينا أن نتقن الدور لكي نصل إلى ما نريد وحاليًا وبفضلك قد وصلنا إلى الرأس الإيرانية المدبرة لكل التفجيرات ليس في الولايات المتحدة فقط بل وفي العالم، أهنئك يا جميلتي.

* * *

بعد رحيل أبيها وعشق أمها لصديقه واتهامها في المدرسة بأنها مسلمة ودفنت القرآن مع أبيها خوفًا من تهور أمها قررت كارول المراهقة ابنة سال من جيسيكا أن تنتحر هروبًا من حياتها التعيسة وأنقذوها في لحظاتها الأخيرة.

قررت والدتها أن تضعها في مصحة نفسية بعد فكرة الانتحار وهناك تعرفت بصبي في عمرها وقرروا الهروب من المصحة بعد أن سرقت سيارة أمها، وبدأت الأم رحلة البحث عن ابنتها، ولم يكن لها أحد تعتمد عليه بعد رحيل زوجها وسفر عشيقها واسودت الدنيا في وشها، وفي يوم قررت أن تري دينا لعلها تنقذها من ورطتها ودقت بابها دامعة واستقبلتها دينا متعجبة من زيارة زوجة عشيقها وحبيبها وانطلق لسان جيسيكا يهذي بكلمات متفرقة إلى أن أهدأت دينا من روع جيسيكا وفهمت أن ابنتها قد هربت من المنزل بعد أن سرقت سيارتها، قالت جيسيكا دامعة لم أجد غيرك ليساعدني في العثور عليها قالت دينا: وهل أبلغتي الشرطة؟

قالت جيسيكا: لا.. لا افعل ذلك بعد أحداث سال، ولا نعرف أين هو؟! بل سيعقد الأمور أكثر ولم أجد غيرك في مساعدتي.

قالت دينا: بل أتيت إلى في الوقت الخطأ، لكن سأفعل عودي إلى المنزل وسأتصل بمن أعرفهم من إلـ أف بي آي.

رحلت جيسيكا غير مطمئنة، وأخرجت دينا تليفونها الخاص واتصلت برجل إل أف بي آي الذي هددها وطلب منها مساعدتها وطلبت منه أن يساعدها في العثور على ابنة سال المراهقة، وبعد أن رفض وطلب منها ألا تتصل به مرة أخرى، لكنها فعلت وألحت وتصادمت سيارة جيسيكا في حادث طريق بين ولايتين ممّا حدي بفريق إلـ أف بي آي أن يتولى التحقيق وعثر على البنت، وعادت لأمها وأغلقت باب حجرتها عليها تحت مطر من بكاء أخيها الأصغر وأمها.

* * *

من على الحدود الكندية مرت سيارة بويك يقودها شخص أجنبي يحمل جواز سفر إيرانيًا تفحصته شرطة الحدود ثم سمحت له بالعبور وفي طريقه الإسفلتي بعد أن تخطي حدود فيرمانت توقف خلف سيارة سوداء مرسيدس وهبط منها شاب وعاد لتحية السيد الذي في السيارة البويك محييًا باسمه كاملا الجنرال محمد منصور وقدم له جواز سفر آخر وحزمة من الدولار الأمريكي وسأل إن كان في حاجة إلى سلاح فشكره واتجه كل منهما في طريق معاكس بعد أن احتل الجنرال محمد منصور السيارة السوداء المرسيدس ومر في طريقه داخل المدينة على بيته القديم ورأى امرأته السابقة الشقراء تلعب مع ابنه ذا الثلاث سنوات

وتمرح وأملي بهما ناظريه وأكمل طريقه إلى مسكنه في إحدى الأحياء الراقية معد له، ولم يهدأ باله إلا لو قابل السيدة دينا ليعرف منها كيف تعرفت عناصر إلـ سي آي أيه على تخطيه الذي لا تفلت المياه منها في عملية مبني إلـ سي آي أيه ومن وراء كشف حساباته في البنوك.

* * *

عادت دينا إلى منزلها بعد مقابلة جيسيكا واطمئنانها على ابنتها وأعدت لتنام ليلة هادئة فعلت خيرا لابنة وزوجة حبيبها سال وأغفلت دينا عينيها وإذ بصوت حركة في البيت وبسرعة فتحت خزانتها لتسحب منها سلاحها الذي فلت من يدها إلى الأرض بفعل هجوم مباغت من رجلين ليس ملثمين وطلب منها أحدهما أن تتجرد من لباسها ورفضت لكن تحت تهديد السلاح وعنف الرجلين وضغط ودمعت أنها ستفعل ما يريدون لكن لا تؤذونني وأعطوها هدومها بعد فحصها جيدًا ونظر الاثنان في عيون بعضهما ممّا يشي أنهم ليسوا هنا لاغتصابها بل لحملها إلى جهة سرية ولفها أحدهما بطاقية لغطاء الرأس وارتدت ملابسها وحملوها بسيارة وذهبت، جالسة على مكتب المكان هادئ لايسمع صوت فيه ولا رائحة ولا ضوء، فتح الباب ودخل الرجل الفرع ذات الوجه الجاف وطلب من معاونيه أن يرفعوا غطاء الرأس ونظرت إليه متملية قال هو مقدمًا نفسه: إنه الجنرال محمد منصور، أنت السيدة دينا وانفرجت شفتيه الرفيعتين عن شبه ابتسامة ميتة كورق الشجر الجاف، وبدأ معها حديث محاولا أن يكون لطيفًا مُهذبًا معها وقالت لا أستطيع الإجابة على أي سؤال.

وهل تعملين في إل سي آي أيه؟ قالت: نعم. هل متزوجة؟ قالت: لا. هل لديك أطفال في الطريق؟ الإجابة نعم أم لا. قالت: لا.

قال والمنتظر من قالت لا أخبرك وجذبت كل الأسلاك التي حاطتها وقالت لن أجاوب إلا في حضور السيد توم رئيسي قال موافق وليس في مكتبه بل في مكان عام في مقهى مثلا وافقت دينا وحددت هي القهوة وحدد هو الميعاد وتركها ترحل في إحدى سيارات القصر المنيف الذي يتخذه مسكننًا وقادها السائق في السيارة البويك إلى مكان معزول خارج المدينة وقال لها ترجلي ونزلت من السيارة في مكان قاحل لا شيء حولها، جرت وجرت إلى أن وصلت إلى العمار واتصلت بكون لتخبره أنها في مكان ما وأعطته المواصفات لكنه ليس في حاجة لمواصفات المكان لأنه كان يتبع السيارة البويك منذ تحركها من المنزل المنيف بواسطة كاميرات المراقبة وسأرسل لك من يساعدك، استقل الجنرال السيارة المرسيدس وزاغ إلى إحدى الضواحي وتوقف أمام بيت يعرفه واتجه إلى الباب ورن الجرز وفتحت سيدة في مقتبل عمرها ناظرة إليه بابتسامة محايدة، وقالت نعم هل من خدمة قال لها أسمع صوت طفل أليس هو خالد بن مادلين؟ قالت نعم، قال ممكن ادخل لأراه وألقى عليه السلام، ابتسمت السيدة في غير ترحيب ووضعت يدها على الباب لإغلاقه إلا أنه وضع قدمه على حافة أسفل الباب ليصدها وقبل أن ترفع عينيها لتنهره كانت طلقة مسدسه أسرع منها وأردتها قتيلة، ودخل إلى الطفل يداعبه وبعد لحظات حضرت سيدة المنزل وشاهدت خادمتها على الأرض في بركة دماء تنزف من جبهتها، وصرخت فلطمها بكفه

أرداها إلى الأرض وطوح يده لتمسك بزجاجة من عنقها وكسر جسمها وبرقبة الزجاجة كرر طعن السيدة في رقبتها وصدرها بكل غل وقسوة وجبروت وعدم إحساس ولا شعور، وعلى شاشات المراقبة شوهد هذا الموقف فطلب من كون الذي كان في مراقبة السيارة المرسيدس أن يقتحم المنزل ويقبض على الجنرال واقتحم المنزل مع دينا التي رفعت سلاحها ضده وقبض كون عليه وهو مستسلم تمامًا وكأنه لم يفعل شيئًا وقادوه إلى جهتهم السرية ليستطلعون منه الخبر، قيده كون بسلاسل حديدية حول معصميه ورجليه ولم يبدِ أي قلق أو انتباه ممّا يحصل له، نظرت إليه دينا بغل وخرجت وخرج كون يراقبون حركاته على شاشات الكنترول من مكاتبهم، حضر السيد توم يستطلع معهم ودخل عليه بصحبة دينا وكون وطلب من كون أن يفك قيده ووقف أمامه في متناول يده ونظر كل للآخر في معرفة قديمة منذ الحرب العراقية وأخلصه توم من الاعتقال هناك، وأنقذ السيد توم أربعة من الإيرانيين كانوا في طريقهم إلى الإعدام، وفي نظراتهم لبعضهما تذكر كل هذه الأحداث وبانت شبه ابتسامة على شفاه الجنرال وليس على وجهه وألقى السيد توم بقبضة يده اليمنى المدربة في أنف الجنرال وانبثقت الدماء وتكوم على الأرض، وكانت هذه الحادثة بداية لا سلام مع من ينشد الحرب ولا يجتمع السلام مع الحرب مُطلقًا، أما سلام مع السيد توم وإما حرب مع الجنرال، وبدأت حلقات الاستجواب وانتقل الحديث منه إليه وانقلبت الآية وأصبح الجنرال هو المتهم ودينا تسأل.

وأقروا أن يحتفظوا به ويكون في صفهم.

طلبت كارول من أمها الحديث في أمر مهم ألا وهو أن كارول لاترغب في أن يكون اسمها مقرونًا باسم أبيها بل باسم أمها وتحت إلحاح البنت المراهقة خضعت جيسيكا وذهبن إلى قاضي المخول له تغيير الاسم وشرحت البنت له طلبها ولماذا وبعد موافقة والدتها أقر القاضي بتغيير اسم كارول إلى اسم والدتها وسيعلن ذلك في الجريدة الرسمية.

ودفعت كارول المبلغ المخصص لهذه الحالة، وسعدت وابتسمت كملاك ليس له أية سوابق.

عادت إلى المنزل باسمها الجديد سعيدة واتصلت بصديقتها وحضرت إليها في اليوم التالي وطرقت الباب وفتحت لها جيسيكا فقدمت البنت نفسها ورحبت بها الأم ونادت على ابنتها، فخرجت من غرفتها حاملة حقيبة سفر وأخرى على كتفيها وقالت للأم والآن سأذهب قالت الأم إلى أين والدراسة والبيت وأخوك وحياتك؟! هزت البنت كتفيها وخرجت خلف صديقتها ولم تصدق الأم أن هذه هي ابنتها التي تخطط لها مستقبل باهر وبكت الأم وبكي ابنها وأغلق الباب.

* * *

من القاتل ولماذا هذه الطريقة الوحشية بطرف زجاجة؟!

وبدأت الشرطة في التحقيق وغطت الجثة بشال أبيض وجدت الشرطة صور التقطتها كاميرات مراقبة مكتب التحقيقات الفدرالية وكذلك الشرطة والـ سي آي أيه وتعرفت الكاميرات على نفس الشخص مُشتركًا في كل اللقطات وهو على باب القتيلة وكان كون، هل يقدم نفسه للعدالة على أنه القاتل؟ ومن يضمن له براءته وهو الذي القي القبض على القاتل

وشهدت له دينا وكذلك كاميرات إلـ سي آي أيه وأوامر السيد توم له بإلقاء القبض على القاتل هو الجنرال محمد منصور الذي قيد إلى مقر التحقيقات السرية مُقيدًا وتولى التحقيق السيد توم شخصيًا تحت ناظري دينا وكون قال الجنرال أفهم جيدا ماذا تريدون مني أن أقوله لكم؟!

وهذا ليس بمقدوري أن أبوح به لأني بكل بساطة لست مسؤول عن الملف النووي الإيراني إن كان هذا هدفكم، ابتسم السيد توم بصورة تهكمية وقال أنا لا يعنيني مفاعلكم النووي ولا قنابلكم، أريدك أن تعمل معي أريد معرفة من وراء تفجير إلـ سي آي أيه وقتل مائتين وخمسون من رجالنا إن لم تكن أنت فمن؟ نعلم جيدًا أنك حصلت على مبلغ ضخم من الدولارات فمن أعطاك إياها ودخلت فاطمة وخرج السيد توم وأكملت معه التحقيق وأنكر حصوله على خمسة وأربعون مليون دولار ممّا أصابها بالنرفزة وتحدته بأن يعدم نظر إليها على أنها بنت صغيرة لا تساوي ما تقوله وهو الجنرال المفوه فقذفت فاطمة بالملف في وجهه قائلة إن لم ينصف القانون من قتلتهم أنا لن أرحمك أيها السفاح اللعين ودخل السيد توم ليهدئ من روعها تحت تعجب الجنرال من هذه الفتاة التي استمدت قوتها من موقفها الدفاعي عن أهلها الذين حكم على بعضهم بالإعدام أيضًا، قال الجنرال إن كان هذا هدفكم فالذي يعرف بالضبط من نقل سيارة سال من مكانها إلى موقع التفجير هو المحامي الذي اجتمعت دينا به وممكن يدلكم على من خطط لذلك لكن على كل ليس سال له يد في ذلك، التقى السيد توم بالسيد الدار لتداول الآراء حول ما قاله الجنرال وقال دار علينا جمع كل هؤلاء وقتلهم وهذه هي

فكرة القيادة العامة للـ سي آي أيه أيضًا، لكن السيد توم لا يريد زيادة القتل وفيضان الدماء وكفى ما فقدت الولايات المتحدة من حروب ليس من ورائها طائل سوى عنجهية القيادة السياسة والعسكرية الأمريكية من سفك الدماء في العراق والخليج ومصر وأمريكا اللاتينية وفي كل بقعة من على وجه الأرض المسكينة التعيسة، كفى فلنزرع الحب والسلام ولو لمرة واحدة، استطاع السيد توم بما له من يد طائلة أن يقطع ويلزق ويعيد ويدير ملف مقتل زوجة الجنرال وخادمتها إلى أوراق بيضاء وخرج كون من اتهامه بالقتل إلى شهادته في نفس القتل.

أفرج عن الجنرال ممّا أهاج البنت آمنة المحللة الاقتصادية والسيد كيرس رئيس الجهاز المؤقت ممّا دفعه أن يطلب مقابلة رئيس الولايات المتحدة شخصيا وقال سيد البيت الأبيض لماذا تفرج عنه؟!

وهو المدبر واليد القاتلة واحتد السيد كيرس ولم يظهر على السيد توم أية آثار لهذه المعركة لأنه يعلم أن السيد كيرس سيكون رئيس الجهاز بعد تسعة أيام وليس الآن إذا على السيد توم أن يعمل بصفته الرئيس الحالي للسي آي أيه قرار الكونجرس بتعيين السيد كريس وطلب من الرئيس أن يتحدث إليه مُنفردًا، وقد كان وخرج السيد كريس خارج المكتب البيضاوي مُنكسرًا، وحجة السيد توم بأن يعطي الجنرال الأهمية ليعمل تبعنا للخطة التالية من العملية المخابراتية التي نعدها لإيران، وكما قال الجنرال إن الذي يعرف خطة تفجير إلـ سي آي أيه هو المحامي الذي تحدثت معه دينا، طلب منها أن تذهب لمقابلته مرة أخرى وتحاول معرفة من حرك سيارة سال من مكانها وهو الذي عبأها

بالمفرقعات تواعدت دينا ودلعت من هندامها وقابلت السيد مساعد المحامي في إحدى الكنائس الأرثوذكسية الخالية تقريبًا من المؤمنين، تجاوري الاثنين على أرائك الصالة المقدسة وقد أفاضت بصدرها تحت عيون السيد المحامي بالوكالة، وبدأ يطول الحديث أو النظرات إلى أن قالت له اعطني أربعة وعشرون ساعة وأجاوبك عما أعرف في هذه القضية وغمزت له بعينها اليسرى وتركته مُبللًا وخرجت برنة حذائها على بلاط أرضية البيت المقدس الذي يذيب صخر القلوب، وجاءته في اليوم التالي وتخيلته أنه لم يغادر المكان لكنه لن يطولها أنها تعمل، قالت من خلف ستارة البرفاه الباريسي المشعل للقلوب على كل أعرف تمامًا من دفع المبلغ الخمسة وأربعون مليون دولار للجنرال واحمرت عينيه وكأنه اعترف بجريرته وذهب تتشخلع تحت ناظريه وشبه ميعاد لن يأتي أبدًا، اتصلت من سيارتها بكل من السيد توم وكون على أن مهمتها كللت بالنجاح وعليكم متابعته من الآن وانطلقت كل الأجهزة المخابراتية لتصيد المحامي ووكيله الذي اتصل بشخص آخر لمقابلته فورًا ولم تتحرك كل الأجهزة للقبض عليه وإنقاذ سال ممّا نسب إليه وخرجت من السيارة متجهة إلى المجرم الحقيقي إلا أن كون طلب منها أن تتوقف ولكنها أصرت فقال كون في لهجته التحذيرية من على سطح إحدى المباني المقابلة لفندق القاتل وطلب منها أن تتوقف وتعود إلى مكانها إلا أنها لم تسمع سوى صوت عشيقها وحبيبها سال، جذب كون بندقية الحارس ونشن على سال ليمنعها من تكملة طريقها الذي سيفشل خطتهم ولم تتوقف دينا إلى أن أطلق كوين على كتفها طلقة واحدة.

ألقت بها أرضًا تحت صراخ وعويل لا يرحم وهرع إليها لإنقاذها.
وحملت إلى سيارة الكنترول التي كانت تتابع كل الأحداث من مكانها في الشارع الموازي للفندق.

* * *

عاد السيد توم إلى منزله بعد غياب ثلاثة أيام مهمومًا مُكتئبًا فوجد فتاته أو زوجته الهندية الأصل على مائدة الطعام مع صديق لها لا يعرفه وطلبت أن تقدمه للسيد توم لكنه صعد على الفور إلى الطابق الثاني ولا يريد لا التعرف على صديقا ولا الحديث لأنه لا يزال يباشر عمله وانشغل بالتليفون والحديث تارة مع دينا وتارة مع سال وكان الانفعالُ ظاهرًا عليه وتركهم الشاب الفرنسي الذي تعرفت عليه في الجامعة وكان جان بيير يعمل في الجامعة لكي يرتاح بال السيد توم ويعلم أنها صداقة مع رجل محترم وهي صديقته وعشيقته المفضلة وما عداه لايحسب عليها لأنها تحب السيد توم فقط وهذا ما قالته المرأة، كل هذا لا يقنع رجل المخابرات بأن هناك ما يمحو شبه ما يفكر فيه لأن المرأة هي المرأة في كل مكان المرأة لا تتجزأ مُطلقًا، تريد أن يسعى ورائها رجل وهي تسعي وراء الآخر، وفي يوم تسحب إلى منزل السيد توم جان بير الفرنسي وكان يعتقد أنه لا يوجد أحد وكانت هي في طريقها إلى بيت الراحة وتسحب جون بيير ودخل غرفة مكتب السيد توم وخلع جهاز الفأرة من الكمبيوتر ووضع آخر مكانه وعلى نفس الخطي تسلل إلى الخارج دون أن تشعر به، واتصل جان بيير بالموساد الإسرائيلي ليخبرهم بأن مهمته في التصنت على السيد توم قد تمت بنجاح.

ترك السيد توم العمل لرحلة عدة أيام وعندما أخبر دينا بذلك طلبت منه يومًا للذهاب إلى الطبيب قبل رحيله وقد كان ألقت بجسد شبه العار الأبيض المورد بماء الورد مع انتفاخ بطنها قليلا كرغيف الخبز الصابح النفاذ الرائحة من سخونتها وصرة لا يضاهيها سوي بحيرة لاجونا في بلاد اليونان وتحسستها الطبيبة وأفرج وجهها عن ابتسامة أجمل من ضحكات شهر زاد في ألف ليلة وليلة وأعلنت دينا بشرة حملها لطفل، سعدت دينا ورقص قلبها وبانت لها الحياة كلها روز في روز.

* * *

استقل السيد توم الطائرة المتجهة إلى المكسيك ليغفر عن خطأ وقع فيه باتهام سال بتفجير مبني إلـ سي آي أيه وهو براء من ذلك.

وصل بسيارة رباعية الدفع إلى عالم آخر عالم الجريمة بكل أنواعها والمخدرات والنساء والأطفال والمشروبات الكحولية والأموات كذلك، وقابل رئيسهم الذي جاءه في زفة من المجرمين والمتشردين وأصحاب العاهات وخرج من وصتهم المدعو موريللو بحاجبيه المعقوصين في شبه قرف مدبب عينيه في السيد توم الذي لم يتحرك ولم تطرف له عينا وأشار إلى مساعده أن يضع أمامه الحقيبة التي بها عشرة مليون دولار وفعل، استحبه موريللو للدور العاشر من البناية المتهالكة وأشار لباب خشبي في زاوية ودفعه وأخرج على الفور من جيبه منديلا ليسد به أنفه التي تداعت له رائحة عفونة لا تطاق.

وفي زاوية وجد إنسانًا مُحطمًا تمامًا من تعاطي الكوكايين وأنواع أخرى من المغيبات القاتلة، حملق في وجهه وتشابه له أنه سال فناخ على

ركبتيه يتطلع ما الخبر وقاده إلى الخارج.

عاد سال مع السيد توم إلى واشنطن وحمله إلى عيادتهم السرية لمعالجة رفيقهم الذي أصابه ما أصابه من لعنة المخدرات أصبح جثة هامدة لا حول لها ولا قوة أوكل السيد توم إلى مجموعة من ضباط المارينز المدربين على حل هذه المشكلة من تدريبات رياضية قاسية وجري ونط وتنفس اقترحت دينا أن نمر بالسيارة على الفندق الذي تعمل فيه ابنته كارول ليقع عينه عليها لعله يسترد شيء من ماضيه وفعلا مرت سيارتهم من أمام الفندق وخرجت البنت من غرفة إلى غرفة حاملة جردل المسح المكنسة وعدة النظافة على عربة يد تجرها أمامها وأبرقت عيني سال إلى الفتاة وقال ابنتي ها هي أريدها أريد أن.. وأن.. لكن رجال المارينز المدربة حجزوه ومنعوه من النزول وانطلقت السيارة وقالت له دينا ستري بنتك لكن لابد وأن تعرف أنها لا تريد رأيتك وهي غيرت اسمها وتركت المنزل والدراسة وتعمل الآن ماسحة في الفندق فان كنت تريد بنتك حقا عليك أن تبرهن لها أنك لست إرهابيًا كما أذاعت الإذاعات والتلفزيون الأمريكي أنت ذاهب الآن إلى مهمة الأبطال فعليك أن تقول لبنتك أنا لست إرهابيًا بل بطل من أبطال أمريكا وأمامك الفرصة سانحة لذلك واقتنع سال لأنها دينا الحبيبة هي المتحدثة وبعد عدة أيام عاد سال إلى كارول في الفندق وتركته دينا أن يقرع الباب إلى أن انتبهت كارول وعرفت من الطارق وخافت منه إلى أن فتحت له وتقدم إليها فابتعدت البنت إلى الخلف وقالت ماذا تريد مني أنا لا أعرفك ولا أريدك أنت لست والدي، أدمعت عينيه وخرج

ليحتضن دينا المنتظر هناك وعاد معها مشحونا بأن يثبت لأبنته أنه فعلا بطل وليس إرهابيًا، واسترد سال صحته تماما وأصبح على أتم الاستعداد للرحيل معهم إلى إيران لبدأ تنفيذ الخطة الجهنمية التي تسعي إلـ سي آي أيه لتنفيذها وللاستيلاء على الحكم هناك بخلع نائب الرئيس الإيراني أو قتله ووضع الجنرال مكانه وبذلك تضمن أمريكا ولاء إيران لها كما فعلت بمصر تمامًا في آواخر عشرينات القرن العشرين، وكانت دينا الدافع الأعظم لسال على أن يستعيد قوته وصحته ويستعد للمهمة التالية وذهبت لوداعهم بالمطار السري للمارينز ليلا ونظر إليها كثيرًا وتحادثا وتعانقا أكثر بنظرات عيونهما التي كانت تتلاقي وتبعد وتقترب من نجوم السماء ثم تهبط إلى محاجرها متطلعة قائلة أراك في الجهة الأخرى ودمعت عيناها، وفنجلت عيون سال وحز السيد توم على شفتيه ونفثت الطائرة دخان الرحيل ومن السماء لوح سال لها بالخلود.

* * *

تسعة أيام على أن يحتل السيناتور كرس مقاليد الأمور في إلـ سي آي أيه ورغم نجاح السيد توم أمام الرئيس الأمريكي أن يمد في أجل مدة السيد توم لتنفيذ مختطه إلا أن السيناتور يقف له بالمرصاد، ذهب السيد توم إلى السيناتور يحمل ملف خلف ظهره وتحدث كعادته مع السناتور حول البدء في عمله وتأجيله حتى ينتهي السيد توم من مهمته وتحت إصرار السيناتور وتصميمه أن يبدأ في الميعاد المقرر له أخرج السيد توم الملف من وراء ظهره وقدمه للسيناتور وقال هذا الأخير بكل استحقار ما هذا قال السيد توم بكل أدب افتح الملف وشاهد وفتحه

بعصبية ودون اكتراث وخرجت عينيه من محاجرهما على هذه الصور الفوتوغرافية التي أذهلته جالسًا مع جان بيير الفرنسي في حديث ودي بأحد المقاهي، وخارت قوى السيناتور ومادت رأسه وقال وما في هذا قال السيد توم أنك تخطط لأشياء مشينة وخطيرة للأمن القومي الأمريكي وهذا هو الدليل تجالس الفرنسي عميل الموساد الإسرائيلي وتعد ذلك ليس جريمة وقال توم وإن لم توافقني فسأعلن ذلك على الملأ في الصحافة وتكون نهايتك، قال السيناتور: ولماذا لا تستخدم ذلك لصالحك؟ قال السيد توم أولا أن هذا الرجل عشيق زوجي بنيتا ولا أريد أن تتسخ سمعتها بذلك وهي على وشك أن تكون أستاذة جامعية وثانيًا الذي يهمني هو عمل إلـ سي آي أيه وليس أن أكون مُديرًا، واكتشف سر الموساد وجان بيير بعد كشف الفريق الفني السري للـ سي آي ايه بعد فحص وتفتيش بيت السيد توم بناءً على طلبه وفعلا اكتشف الفريق ما كان مخبأ بداخل فأرة الكمبيوتر للتصنت على السيد توم وصديقته بنيتا، وقد التقطت له صور في مدخل البيت وبعد التحري وجد أنه محرر في جريدة الليموند الفرنسية وحتى هذا غير صحيح بل ادعاء وتزوير ليصل إلى السيناتور بحجة إجراء حديث معه لجريدة فرنسية ذات شأن وإلى السيد توم باعتباره الثاني بعد السيناتور إن لم يكن هو المحرك لجهاز إل سي آي أيه.

وصلت طائرة المجموعة السرية إلى مطار عراقي على الحدود مع إيران وتسللت المجموعة في سيارات دفع رباعي ماركة تويوتا كل أربعة في سيارة وفي هذه المنطقة الجبلية الوعرة كان مرشدهم مكتب الاتصالات

الـ سي آي أيه عبر ساتلايت الأمريكي وأرشدهم إلى تمركز بعض القوات العراقية وأخرى إيرانية وثالثة كردية وحصلت مناوشات وإطلاق نار عشوائي دون وقوع إصابات وأصبحت الحدود على مرمي البصر وعلى سال أن يتسلل إليها لكن ضرب النار جاء من الكرد فأوقف التقدم وتبعه العراقي بالتبعية إلى أن وصل إلى القوات الإيرانية واستعرت الطلقات في كل اتجاه وتحت هذا الوابل في الظلام تسلل سال وأصبح مع رفيق له داخل الحدود الإيرانية وزحف الاثنان دون توقف وانفصل عن باقي المجموعة وصدرت لهم الأوامر بالتوقف والعودة وتدخل مساعد الرئيس للشؤون العسكرية لقيادة العملية مع إحدى معاونيه ليلقي بخطة الانسحاب فورًا لكن سال وصحبه لم يستمعا لذلك بل واصلي الزحف رغم الإنذارات من القيادة ومن مساعد الرئيس نفسه، انزعجت دينا لتقدم سال وخطورة موقفه التي تشاهد ساحة القتال كاملة عبر ساتلايت وعلى شاشاتهم في غرفة العمليات التي قرر فيها الجميع بخطورة الموقف إلى أن أشار مساعد الرئيس في لهجة آمرة ولامرد لها سائلا هل دينا صواريخ في هذه الجبال ورد السيد توم نعم لدينا قال عليكم بإصدار الأوامر مني شخصيًا بقذف مجموعتنا وإفنائها تمامًا قبل أن يقع أحدهم في الأسر وتكون مشكلة دولية نحن في غني عنها فرد السيد توم بلهجة تضارع لهجة نائب الرئيس والرئيس نفسه ان كان يتابع سير العملية قائلا لا أصدر أوامر تمس الجندي الأمريكي مهما كانت النتائج، وانسحبت المجموعة إلى جبال العراق مرة أخرى بدون سال وصحبه حيث استكن الاثنان في جحر بالجبال إلى أن تهدأ

الأمور وعمت السكينة الجبال ولم يسمع ي للحشرات في جحورها بالتنفس أو الخشخشة في سعيها الدؤوب، واستعد الاثنان لمواصلة المسيرة إلى طهران وكان الوقت قبل الفجر بثوان قام سال وبدأ في صلاة الفجر ورتل آيات الله وسجد له وسلم تسليما وعند بزوغ رؤوسهما من مكمنهما لمواصلة المسيرة عم الجبال الضوء وانتشر في السماء وكأن الشمس في كبد السماء دون إنذار ولم يقوَ الرجلان على النظر لمصدر الضوء من قوته الصادر من السيارات الرباعية التي أحاطتهم برشاشاتها وجنودها المدججين بالسلاح الأمريكي المعروف بسرعة طلقاته ورفعوا أيديهم مسلمين أمرهم وزعق سال قائلا أنا السير جان سال دي فرانكو من قوات المارينز الأمريكية فجاءته ضربة من الجندي الإيراني في صدره أكبته على الأرض وخرس الزميل لكن ضربات البنادق لم تسكت وخر معه زميله وقادوهم إلى زنزانة الحجز الرطبة في الجبال وتكوم كل منهم في ركن إلى أن أصبح الصباح خارج الزنزانة، وسمع صوت خارج الزنزانة وفتح الباب الصاج الصدئ عن جنديين مسلحين وفوهة بنادقهما إلى المحتجزين وكأنهم سيهربون من مهرب أو يذوب في الهواء المكتوم، تبعهم رجل رفيع الجسم طويلة دون ملامح ولا شكل ولا لون برقت عيني سال وفتح الآخر فاهه لقرب نهايته على يد هذا المسخ من الرجال عرفه سال ولم ينطق أنه الجنرال منصور الذي به ستكتمل الخطة الجهنمية للسيد توم قال سال وصديقي ماذا؟ سيأتي معي؟ والتفت إليه الجنرال وكأنه لم يتنبه لوجوده وأسرع من الصوت كان قد اخترقت رأسه طلقة من مسدس الجنرال المتعود على

الطلقات المباغتة السريعة وسقط ميتا وقال لسال والآن نستطيع الذهاب إلى طهران، تنهدت الصعداء دينا على أن سال ما زال حيا وهو في طريقه لتنفيذ مهمته وهرعت لتبليغ السيد توم بذلك بعد أن ترك قيادة العملية لمساعد الرئيس وكانت هذه أول مرة يبتسم فيها السيد توم وخرجت دينا من مكتبه لمواصلة عملها الاستخباراتي الذي سيبدأ مع رفيقها سال، تنبهت دينا أن السيدة آمنة المحللة الاقتصادية إيرانية المولد أمريكية الجنسية، ذهبت إلى مكتبها تحادثها عن أهلها في طهران وقالت آمنة نعم لي خال كنت أعيش معه هناك وهو ذات مركز مرموق ولم أفهم في ماذا سيساعدك؟!

قالت أريدك الحديث معه لمساعدة سال لأنه الآن في طهران ولم يعرف أحد هناك ومن الجايز أن ألحقه في طهران، تشنجت آمنة ودمعت من هول المفاجئة التي لا تريد أن تشبك أسرتها في أعمال إلـ سي آي أيه أو أي علاقة غير سوية تزعجهم وخاصة الآن تحت الحكم الخوميني، التقت المرأتين في حديث عاطفي أقنع آمنة بموضوع دينا الإنساني وسال الساعي دائما للسلام تحت وابل الطلقات السريعة.

* * *

وقف التاكسي أمام فندق فخم في وسط طهران وترجلت منه سيدة محجبة بشعر أسود حاملة حقيبة يدها بكل عظمة وتأني وعبرت صالة الفندق المزدحم بالنزلاء، واستقبلت أحسن استقبال وتحدثت معهم بلغة فرنسية منتقاة، فيها كثير من اللدغ الذي يعطي مُتحدثها كثيرًا من الجمال والثقة وحب استماعها وإن لم يفهم كلمة منها وخاصة من سيدة

في جمال وهوى دينا بشعرها الأسود المتدلي على ظهرها من خلال الغلالة الحرير على رأسها، أخذت كارت الغرفة وسبقها حامل حقيبتها إلى الطابق السادس وفتح لها جناحها المرتب الجميل بباقة ورد تتصدر مدخل الجناح، أعطت حامل حقيبتها بعض من النقود وانصرف وانصرفت هي في أثره وهبطت السلم إلى الخارج من الباب الخلفي للفندق، واستقلت تاكسي إلى بيت خال آمنة.

فتح باب حديقة المنزل عن رجل ضخم الجثة في الخمسينيات من عمره مُتجهمًا ولم ينطق بكلمة ناظرًا إلى دينا مُستغربًا.

ماذا عساها هذه الأجنبية أن تطرق باب منزله؟ وهز رأسه مُستطلعًا دون أن يفتح الباب كاملا وهو متصدر في هذه الفتحة الضيقة وقالت له أنا دينا صديقة بنت أختك آمنة وسألته هل تركت شيئًا لي هنا؟!

أزاح جثته من فتحة الباب لتمر دينا إلى الداخل وبعد أن أمطرها بأسئلته السمجة فتح درج في دولاب وأخرج لها تليفون جاء مع دي أش إل وأعطاها إياه ورحلت مسرعة إلى الفندق، وجدت الشخصين الذين رأتهما عند وصولها ما زال في البهو ينظرون إليها وتقدم منها موظف الاستقبال وقال لها إن السيدين هناك ينتظرونك والتفتت إليهما وسارت في اتجاههما وطلب منها أن تتبعهما وفعلت إلى أن وصلت إلى ممر في الفندق وفي آخره ينتظر رجل طويل رفيع مهندم اقتربت منه وإذا به الجنرال منصور وبوجهه المغلق ناولها شيء في يدها على أن تعطيه لسال وتركها وذهب أو ذاب.

* * *

قرر سال أن يستقل بنفسه ويخطط على أساس أنه وحده وعليه تنفيذ الخطة دون مساعدة من أحد وعمل عقله بعد أن وجد نفسه بطل في إيران وليس في بلاده، ذهب إلى منزل إحدى معارف عائلته وعرفه بنفسه وأوسع الرجل له الطريق للدخول وإذا به أمام سيدة إيرانية مكبلة بالسواد من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها وتطلع إلى عيونها السوداء المكحلة بالذكاء وبدأت شفتيه ترتعش دون صوت إلى أن خلعت السيدة خمارها وبان وجهها الصابح عن زوجة المرحوم أبو طارق التي استضافته في بيتها لمدة سنتين وعلم ابنها هيثم اللغة الإنجليزية وعلمه هيثم الطفل السلام وكيف يزرعه في الأرض وصلي وسلم واستشهد سويًا، وسألته السيدة إن كان يطلب خدمة وطلب منها أن يصل إلى نائب الخوميني.

وكان هذا سهلا عليها وأوصت به خيرا إلى أن أستقبل خير استقبال في مكتبه الشديد الحراسة وذهب في الميعاد المحدد دون السرنجة المسممة التي أستلمها من دينا في لقاء بهو جامع طهران والتي تخلص منها بعد فشل لقاء كان محددا سلفا من نائب الخوميني في ميدان عام، لكن سال لن يعدم الوسائل عند مقابلة آيات الله باكري نائب الخوميني في مكتبه وصل إلى سرايا السيد باكري وصعد مُحاطاً بالحراسة الشديدة السلالم الرخامية والبهو المغطي بالسجاد الإيراني الشهير وأخيرًا دخل مكتب فخم عظيم ووقف انتباه مقدما نفسه وسمح له بالجلوس وقال أن سبب زيارتي لكم هو حرصي على سلامة الجمهورية الإسلامية الفتية التي أنا منها الآن ولكوني من سلاح المارينز وعضو عامل في الـ سي

آي ايه أبلغك بأن تحرص من أقرب المقربين لك وهو الجنرال منصور الذي يتربص بك ليحل محلك.

برقت عينيه ولم يصدق سال لكن لماذا لا يصدقه؟!

وماذا يأخذ هو من ذلك؟! وما المنفعة التي تعود إليه؟!

اقتنع السيد باكري بما أنشده سال واستعد لأخذ قرار بذلك وقد تحين سال انشغال باكري بهذه الأفكار الغريبة التي دارت برأسه وفي لحظة لمح سال مطفأة سجائر ضخمة من الكريستال وضرب بها رأس بكري وخرَّ صريعًا على الأرض وقفز سال عليه بمسند الكنبة وضغط بها على وجهه لكتم أنفاسه ومن مكتبه أتصل بدينا يبلغها أن مهمته انتهت وعليها تنفيذ مهمتها برحيله بسلام من إيران.

وحمل مسدس باكري تحت سرواله وخرج بثبات من مكتبه ولم تكن سكرتيرته على مكتبها حين ذاك، تسلل سال وكان في انتظاره سيارة توصيله إلى حيث يذهب وخرجت السكرتيرة تصرخ وهرعت الشرطة وراءها لكي تقف هذه السيارة إلا أن سال وضع مسدسه على رقبة السائق لكي يهرب وبسرعة هرب إلى مكان قاحل على جبال طهران المحيطة بها وأنزل السائق وأخذ السيارة وهرب إلى مكان الآمن الذي أخبرته به دينا وفي الطريق كانت دينا في انتظاره.

واستقل معها سيارتها وأكملوا الطريق إلى مبني مكون من غرفتين في وسط الصحراء وبين الجبال وفي سهل منقطع عن الدنيا بما فيها، اتصلت بالسيد توم لتعرف خبر رحيلهما وقال ستصلكم طائرة هليكوبتر من قاعدتنا العسكرية في أفغانستان لتقلكم إلى قاعدة ألمانيا وأعلنت

دينا لسال أنها تحمل منه طفلا منذ أربعة أشهر، وبدأ تناغمهما حول المستقبل والعودة إلى الولايات المتحدة، واستقالتهم من العمل، لتتفرغ لمنزلهما، ونامت ساهدة إلى أن سمعت صوت محركات الهليكوبتر، ففزعت وأيقظت زوجها وخرجا إلى المستقبل لكن ويا له من لكن أن اشتعلت الأضواء من حولهم، وتم القبض على سال وترك زوجه قابعة تولول وتسح من الدموع كاسات، دافعت عن السيد توم الذي ليس من عادته الخداع وقالت أنا دار الخائن زعيم اليد السوداء الذي يكره سال ويتآمر مع كريس الذي أصبح الآن مُديرًا للـ سي آي أيه، واستقال السيد توم من منصبه عند سماع ذلك من دينا.

هرعت دينا إلى الجنرال تترجاه أن يجدَ طريقةً سياسيةً لإخراج سال من مكمنه، ولم توفق لأن المحكمة العسكرية الإيرانية الإسلامية حكمت عليه بالإعدام، وغدًا التنفيد قبل الفجر، فلا أمل من إنقاذه مُطلقًا.

قالت وهي تنتحب وتنز من عينيها دموعًا تملأ نهري النيل والفرات.

وقالت بعد استسلامها أن تتصل به، عمل الجنرال على تسريب تليفون لسال في زنزانته وكان يستحم لا يستحمم بل يغتسل كما غسل الطفل هيثم بن أبو طارق عندما أطلقت الطائرة حملها على أهل بغداد.

قالت دينا لسال دامعة سأظل أحاول وأحاول طول عمري لأنك عمري يا حبيبي وسترث ابنتك التي أحملها ميراثً ثقيلا سأساعدها في حمل رسالة السلام التي حملتها أنت طول عمرك.

الآن تنشد السلام وأنت على حبل المشنقة الأحمر تطلب لهم السلام وسيكون اسم ابنتنا "سلام".

ركع سال ليصلي صلاة الرحيل على روحه وحضر جنديان ليصطحبونه إلى ساحة الإعدام.

وكانت راقدة هناك رافعة بناء عملاقة شاهدة رأسها إلى السماء مُتدليًا من عنقها حبل أحمر معقود الطرف، ليشرف رقبة سال بالالتفاف حولها مُتدليًا وسمع من هناك صوت المؤذن عن صلاة الفجر من خلف الجموع الملتفة حول الميدان ونظر إليهم مُودعًا والتقت عينيه المفتونين على عيون دينا المكللة بالماء المالح الطاهر على أبو السلام وهي معلقة على الأسلاك المحيطة بالميدان وإذا بصعقة كهربائية تطول يديها القابضة على السور الحديدي وخرت على الأرض بين يدي خال صديقتها آمنة الذي حملها إلى منزله.

* * *

الفصل الرابع

مَرَّتْ أربعة أشهر على حملها، وأربعة أشهر على وداع زوجها للسماء، وكانت على ميعاد مع المدير الجديد للـ سي آي أيه، السيد كريس السيناتور السابق في ربوع مكتبه العظيم يجول فيه ويصهل مع تابعه في جماعة اليد السوداء الذي فتن على سال للحكومة الإيرانية، ممّا سهل عليهم القبض عليه في مخبئه الأكيد مع دينا.

وقال السيد توم في هذا لا أعرف أين نحن؟ وقدم استقالته، طال الحديث بين دينا الجميلة بحمل بطنها المنتفخة مع السيد كريس وأعلن لها بكل إعزاز أنك ستنتقلين إلى مركز جديد كرئيسة لفرع الـ سي آي أيه بإسطنبول العاصمة التركية برقت عيناها وارتفع حاجبيها وبانت وكأنها على وش النجاح في شهادتها النهائية، خرجت من عنده سعيدة لمنزلها وجاءها والدها وشقيقتها مبضعين بحوائج المولود البنت الجديدة التي سيسمونها سلام وقال لها والدها ومن الآن ستتولى شقيقتك معك كل ما تحتاجين له ولابنك القادم وأثناء احتضان الشقيقتين ذرفا الدمع على أن المولود سيولد دون أب يرعاه، لكن الأب سارع وقال أنا هنا أنا ما زلت بينكما، وتمتمت دينا في أذن شقيقتها بالخبر الآخر ورحيلها إلى إسطنبول وسمعها الأب وفزعت الأخت، وكان الغضبُ عليهم ظاهرًا وكتم سعادته، وهذا لم يكن جديدًا عليهم من سماع أخبار ابنتهم من مصائب وحلول نكسات تشعر هي بها انتصارات واستعدت للسفر

والتقت بكون تمهيدًا لترك مكانها، وسافر السيد توم إلى المغرب ليلتقي بزوجه بنيتا التي سبقته لتسكن في بيت مغربي النقشات على المحيط الهادئ ناظرين من أعلى جبال الأطلسي على مدد البحر تحت أشعة الشمس التي تزف لهم روائح الجنة.

* * *

من خلف سائقها الأفغاني ترى شوارع العالم الثالث المعبقة بالبخور وروائح المأكولات الشعبية والعالم الذي انبعث للتجول والتسول والنوم على قارعة الطرق مع الحيوانات والأطفال والنساء عالم آخر غير العالم الذي ولدت وتربت وترعرعت فيه أنها إسطنبول أو كما أذاع سائقها أنها أفغانستان، حاولت دينا أن تثبت عقلها لتتعرف على هذا العالم الجديد الذي لم تكن تتصور وجوده ولا في مجلدات ألف ليلة وليلة الأربعة، عادت ملكة الدرون إلى مكتبها لتتولي مهام منصبها الذي أخطأ رئيسها في البلد الذي أرسلها إليها وليست إسطنبول بل أفغانستان، ولم تعتقد أنه أخطأ بل هو كذلك لا ثقة في رجل مثل هذا، ولو حلف بكل الأيمانات فهو كاذب.

استمعت إلى أخبار أفغانستان باللغة الإنجليزية، واتصل بها رئيس جهاز مخابرات الجيش بوجود مجموعة من الخارجين على القانون مختبئين في إحدى ضواحي كابول العاصمة، ويهددون الأمن القومي الأفغانستاني، تحدث طويلا معها وأعطاها اسم زعيمهم وهو السيد حسن حقاني وكان صيدًا ثمينًا بالنسبة لمكتب الـ سي آي ايه.

وأخذت الأوامر بضرب المكان الذي حدد لها من واشنطن على شاشات

الساتيليت في مركز عملياتها بكابول وعلى هذا الأساس عليها إعطاء الأوامر بقذفه بقنابل الدرون المتواجدة فوق المكان وبدون أدني شعور منها ألقت بأوامرها من بين أطراف شفتاها بأن تسحق وقد كان، وارتفع على أثرها العويل والصراخ والدخان من أعماق الأرض إلى عنان السماء، وبدأ الناس في جمع الجثث وأشلائها المبعثرة وسط برك الدماء ولحم البشر وعظامه، وحمل شاب من بين الأنقاض مصاب الساق، ومدمر النفس على ما أصاب بلاده بفعل الأمريكان نقل إلى داره.

وسأل أخته التي بجواره تداويه وقال لها أين أمي وأبي؟!

نظرت إليه بعين مكسورة وأنزلت الستار من على رأسها إلى جبهتها إلى عيونها الجميلة، فأدار أخيها وجهه إلى الجهة الأخرى وعلم أنهما أسلما روحهما إلى بارئهما وخرج يتعكز باحثًا عن والدته وأبيه في الجثث الراقدة على ألواح من الخشب في انتظار من يواريهم الثرى وقعت عينيه على شبشب نسائي متدلي من ساق غطت بكتان أفغاني دون لون ونظر إلى الشبشب الأبيض، وصعد بعينيه خلف جسده إلى الرأس النائمة، وكانت أمه ورقد على ركبتيه بين أبيه يسارًا وأمه يمينًا وخرَّ ساجدًا يتمتم بآيات ذكر الله وصلى عليهم صلاة الجنازة، كما فعل سال عندما صلى على هيثم أبو طارق وعلى نفسه أيضًا، شمرَّ عن ذاته وهرب بعيدًا إلى جامعة كابول للطب حيث التقى بصديقيه ليبحثا الأمر سويًا ولأن ذلك ليس انتقامًا شخصيًا بل رد اعتبار وشرف بلادهم الذي أهينت وضاع شرفها بهذا الاعتداء الغاشم الذي لم يصب إلا لقاء فرح بزواج بمن ارتداه الله أن يجمعهما في ليلة واحدة بالرقص والطرب

والغناء والأكلات الشهية من القورما باللحم والخضار والكابلي بلحم الغنم والضأن الذي تتفنن المرأة الأفغانية من صنعه بالدقيق الأبيض والسمسم وحبة البركة، وهكذا قلب السيد كيرس الفرح إلى مأتم عظيم لايضاهيه مأتم الهندوس في أمواتهم، وقرر الشابان أن يكونا انتقامهما عبرة، وقتل حسن أكبري خاله أيضًا.

* * *

وصل كوين مُتأخرًا إلى دار السفارة الأمريكية في كابول وكان لقاء السيدة السفيرة معه ليتلقي أوامره منها تحت إشراف السيد كرس لكن وجود دينا كمديرة للـ سي آي أيه حجم محاولاته في الوصول إلى ما يريد بغبائه المنقطع النظير وهو في الأصل ليس له أي أهداف سوي أن يلزق مؤخرته بالكرسي الذي يجلس عليه وهذه هي المصيبة.

أصبحت إسلام آباد المدينة المؤمنة الهادئة الجديدة مسرحا لكل العمليات الانتقامية من الجيوش الأمريكية المتمركزة فيها وحولها وبرقت عيون دينا لفكرة جهنمية لم تحاول خروجها من مخيلتها إلا لو استقر بها المقام هنا في إسلام آباد، وإسلام آباد تعنى مقر الإسلام، وهي عاصمة باكستان بدلا من كراتشي، وفعلا حزمت حقيبتها الصغيرة وعادت لمقابلة رئيسها الغبي وطلبت منه أن تكون في إسلام آباد، ورفض فقالت أنا لا أطلب منك بل آمرك؛ لأن التفجيرات الأخيرة كانت خاطئة وأنت تعرف ذلك، ورغم ذلك أصدرت أوامرك بالقذف وأنت تعلم أنه ليس المقر لحسن أكبري بل كان زواجًا وفرحًا وقتلت فيه ما قتلت ولدي كل الوثائق مسجلة معي فإن أصريت سأنشر هذه الوثائق.

احولت عينيه الفاتنتين ودارت في محاجرهما خلف نظارته الطبية السميكة وطأطأ رأسه وزحف يختفي خلف مكتبه وخرجت دينا كعادتها منتصرة، أخذت سيارتها وطرقت بيت أختها، وفتحا آن وهي تحمل طفلًا رضيعًا، بهتت دينا وهربت دماؤها الوردية من خدودها ونظرت إلى أختها تارة وأخرى للطفل وعيونها تخترق وجهه دون النظر إليه وصحبتها آن ودخلت وأعطتها الطفل لتحمله وقالت آن طفلك يا أختي! حاولت دينا احتضانه رأفة بشقيقتها الدامعة العينين ولم تعرف من أين تحمله؟ فقالت لها آن: اجلسي.. اجلسي أفضل لك لأنك مرهقة.

وأخفت حرجها وجلست والطفل على صدرها وجلست أختها بجوارها مناولة إياها زجاجة اللبن لإرضاع سلام، خرجت آن في الصباح الباكر قبل أن تستيقظ أختها للعمل ولم تعد إلا في آخر اليوم لتترك الفرصة لشقيقتها أن تتعرف على ابنتها سلام، وكانت أول الدروس لدينا أن تغير حفاضات البنت وتحميها وتضع لها ملابس نظيفة، وكان هذا عمل مضطرب إلى أبعد الحدود، لأنها لم تتعود على ذلك فقط، بل لأنها كانت تنظر لسلام بعيني أبيها.. بعيني سالفاتور دي فرانكو وليس بعيونها هي، ذهبت دينا بابنتها إلى الحمام لاستحمامها في البانيو وليس في الحوض كعادة الأطفال، ملأت البانيو بالماء الفاتر، ووضعت سلام بحرص في الماء وضعت منظفات الشعر على رأسها، وفلتت البنت من يد أمها إلى أعماق البانيو وفزعت الأم والتقطتها من الغرق وبكت الأم وهي تنظر إليها بعيون سال وألبستها وغنت لها وهي على حجرها ودخلت آن على أنغام أنشودة الطفل وفردت شفتاها

وأغمضت عينيها ودمعت أيضًا واحتضنت أختها وبينهما سلام.

لا تمانع آن أن تحتضن سلام كل الوقت لكن على أمها أن تعرف أنها ابنتها وهي في حاجة إليها فكيف تسمحين لنفسك بالذهاب إلى إسلام أباد أو تتركين ابنتك، قالت دينا أنا مضطرة عملي أولا والبنت معك أنت أمها.

ردت لا يا دينا أنت أمها وأنا خالتها أرعاها كما ترعينها وأحبها مثلك أو أكثر لكن لابد وأن تعرفي أنك أمها وعليك مراعاتها.

نظرت دينا إلى سلام وأختها وحملت حقيبتها ورحلت إلى إسلام آباد.

ذهبت دينا إلى مكتبة إسلام آباد للتعرف على وجهة نظر أمريكا في أفغانستان وكتبت ملاحظاتها كالآتي:

ظهرت طالبان في البيئة الأفغانية المضطربة عقب الحرب الأهلية، بهدف إنشاء "نظام إسلامي قائم على الفقه الحنفي" في أفغانستان.

.....

لا الرئيس الأمريكي ولا سلطات الكونجرس ولا سلطات الأمم تحرك سياسة البطش والتنكيل والعمى الأمريكي سوى منظمة الـ سي آي أيه ويدها الباطشة اليد السوداء التي تعمل في الخفاء بزعامة السيد دار منظر قتل سال إلى انفجارات الشيخ حسن كندار روح الثورة الأفغانية وخال طالب الطب وليد الذي أنذر بالانتقام وبدأ نشاطه يظهر على الساحة المحيطة به ممّا أدى إلى هجوم الملثمين من أمن الدولة عليه في منامه وهددوه بالقتل إن لم يتوقف عن مقابلة الصحافيين والإدلاء بمعلومات لا يعرف مداها، وحملوا معهم الكمبيوتر الخاص به ولملموا

بعض الأوراق التي لا تنفع، بل تضر وليد في دراسته.

اعتقدت دينا أنه يعرف من سَبَّبَ تفجيرات الفرح وأعطى المعلومات الخطأ وطلبت مساعدة من كون الذي رفض العمل مع الـ سي آي أيه وارتمى الخبير العظيم في أحضان للحم الأمريكي الأبيض سيدة الفندق التي تؤويه، عملت دينا بنشاط بين المكتبة لدراسة السياسة الأفغانية التي تجهلها وتكوين مجموعة عمل تساعدها في الكشف عن من ورائها بالتحديد، وخاصة بعد مقتل رئيس شعبة الـ سي آي أيه في باكستان بهجوم الشعب على سيارتها وهو معها وكون أيضًا في رحلة استكشافية للمدينة المضطربة ممّا دعى كون لإطلاق النار على جميع الناس، وقتل من حاول الهجوم عليهم ممّا دعا الناس إلى كسر زجاج السيارة وسحب رئيس الشعبة وقتله بالأرجل واللكمات.

علمت دينا أنه كان رقم واحد للسيد كرس رئيس الـ سي آي أيه هناك في الولايات المتحدة وليس على أرض المعركة، استدعت دينا السيدة آمنه الاقتصادية لتكون مساعدتها وخاصة أنها تتحدث لغتهم وتعرف عاداتهم واقترحت عليها أن تتنكر في شخصية صحفية، وتقابل الطالب ابن أخت السيد حسن كاندار الذي كان مُستهدفًا، وقابلته في الجامعة وحاولت معه أن يفهم وضعها كصحفية وطنية تريد الوصول للحقيقة دون ذكر اسمه، فرفض ورفض الحديث إليها، وحاولت الإمساك به كي لا يخرج من الغرفة، لكنه أصرَّ وتزحزح وهرب منها.

وعادت البنت إلى دينا خاوية الوفاض، عملت دينا رأسها وبدأ عقلها يفكر بسرعته القصوى، ودق باب الحمام عن استغاثة سيدة بداخله في

مرور وليد، وسمع من خلف الباب صوت استغاثة، وحاول الدخول أو فتح الباب عنوة ليجد سيدة خلف الباب تجلس القرفصاء وخرست عند دخوله، وانتظرت واقفة عن شعر أصفر وعيون غزلانية ممّا أوقع الطالب في دهشة أطارت ما تبقى من عقله، وقالت إنها تريد الحديث إليه بشأن خاله لكنه رفض، فأصرت ورفض وبدأ إصراره يتطلع إلى الهزيمة أمام هذا الإله الأبيض الذي خرج له من لا شيء.

وقالت أستطيع مساعدتك من الخروج من باكستان فبدأ في التسليم، ثم أنشدت وأساعدك في الدراسة في بريطانيا، فبرقت عيناه ولكنه لم يسلم حتى الآن ممّا جعلها تستخدم سلاحها الفتاك، واقتربت منه وبدأ صهد جسدها يلسع وجه الصبي الذي أغمض عينيه ولم يقو على فتحها إلا أنه وجد جسدها يلتصق بجسده عفويًا زاحفة يدها المدربة على مداعبة أرواح رجال العالم الثالث والأول والثاني أيضًا واضعةً كارت لها وهامسةً بأنفاسها الحلوة في أذنه هذا عنواني ورقم تليفوني سأساعدك، ودفعته من صدره بحنية وفلتت بتؤدة خارج المرحاض، ثم أصدرت له أوامرها تحت تهديد سلاحها الفتاك والتي لم تفلح آمنة أن تثنيه عن رأيه رغم جمالها الرشيق وشعرها الأسود الحالك وعيونها الصافية كمياه البحور والجسم المكتنز في مداعبة رقراقة من تحت كل الستائر الحاجزة للعيون المتلصصة، لكن دينا شيء آخر، دينا تشاغب الإنس والجن، ويحمل جسدها هواءً وهبوًا من مكان آخر يذيب صخر القلوب وتغلي من ناظريها سهد الدموع. إنها دينا ذات السلاح الأنثوي الذي لا يقاوم.

اقترض وليد منها بعض المال لشراء دواء وهرعت آمنة خلفه ودخل

سوق الدواء واشترى منه وسلمه لخاله المنتظر قدومه، ممّا أدهش آمنة وهرعت لتتصل بدينا قائلة في ذعر: إنه لم يمت ولم يقتل!

الشيخ حسن كاندار على قيد الحياة، وهو خال وليد الذي أذاعت طالبان مقتله، لكي لا تبحث عنه المخابرات الباكستانية ولا الأمريكية، لأنه مات في الفرح، وعليه الآن العمل وهو مطمئن، لا أحد يراقب روحه، التقطت بعص الصور لهما وعادت.

رحلت عاشقة كون وظل وحيدًا يفكر هل يعود أم يعمل في مؤسسة أمن خاصة مثل السيد توم ويكون حُرًا؟!

فتح الكمبيوتر وأعاد تدوير فيلم قتل رئيس الـ سي آي أيه في باكستان السيد مايك في زحام الهروب بالسيارة الرباعية مع دينا وآمنة.

وهنا لاحظ كون رجل بلباس باكستاني يقف عل الجانب الآخر للرصيف يتحدث في التليفون ثم اختفى بقية الفيلم وقرر أن يعرف من هو هذا الغريب، واتصل بدينا فورًا، وطلب منها أن تشاهد الفيلم، وأشار إلى الرجل الذي أثار دينا أيضًا، وقررا الاثنان العمل سويًا، رغم رفض كون إلا أن الموضوع الآن أكثر إثارة بملاحظته الثمينة وقد كان.

وقالت دينا أريدك معي بملاحظاتك القيمة وليس كقاض، ووافق الاثنان وبدأت خطة دينا للتعرف على مكان الشيخ حسن كاندار خال وليد طالب الطب الذي حصل على أدوية من المستشفى العام بمساعدة صديقة له تعمل ممرضة هناك.

في لقاء دينا مع السيد توم طلبت منه أن تتعرف على أحد أشخاص أمن الدولة الباكستانية للحصول على معلومات، وفعلا دلها السيد توم

على أحدهم وبعد إلحاح منها مع بعض التساهيل في الغزل وانسدال الرموش على الرموش ولعب الحواجب المزجزجة حتى وقع صاحبنا في الفخ الذي نصبته له برموشها القتالة.

في إحدى صالات فندق فخيم كان المطعم الموعود مع شاب وسيم باكستاني الهيئة دخل قبله العديد من أفراد الشرطة السرية، وتم تفريغ المطعم من رواده، ما عدا طاولة واحدة تجلس عليها سيدة شقراء.

تقدم الشاب المهيب تحوطه ثلة من المدججين بالسلاح قرب طاولة السيدة، ونظر إليها دون ابتسامة وسحب الكرسي الثقيل وجلس أمامها، وقال ببرود وقلة ذوق لا يتناسب مع وسامته وحلته ولا مع ربطة عنقه الجميلة: ماذا تريدين؟!

قالت أهلا وسهلا بزائري.

قال أنا لست بزائر أنا صاحب الدار، فعقدت دينا حاجبيها على العلامة مائة وإحدى عشر، وقالت: تشرفت بصاحب المقام، أريدك مساعدتي للتعرف على السيد حسن كاندار، نظر إليها واستعد للقيام وفرد فرعه واستدار وسار بمشيته العسكرية التي لا يخطؤها أحد.

على مدرج كلية الاقتصاد جامعة باكستان وقف الأستاذ يلقي محاضرة حول اقتصاديات الدول الرأسمالية على الطلاب وعندما بدأ الأستاذ في لملمة أوراقه مُستعدًا للرحيل، تقدمت منه طالبة في عيونها حول حور الجنة وبشرة سمراء ناعمة دون ملمس، وقفت أمامه بكل أدب الطالبات المجتهدات طالبة منه تفسيرًا حول النظرية التي قدمها، فأشار إليها بكتاب من تأليفه، ستجد فيه كل ما تريد.

وحاول الإفلات منها، لكنها أصرت ووقفت في طريقة حتى استفزته ففلت منها وخرج، حاول أن يسترجع وجه الفتاه ولم يفلح حتى أن يتذكر هذا الوجه لا في صف المحاضرات ولا في مكتب سوزان زوجته.

وعاد إلى منزله في السفارة الأمريكية وتبسم لزوجته في مكتبها وهو في طريقه إلى مكانه الأمين وإذ بالغرفة تفتح وتتقدم الطالبة عدة خطوات إلى الداخل وتغلق الباب دون رجلين في صحبتها.

وقال مايكل من أنت وماذا تريدين وكيف دخلتي هنا؟!

لم ينتبه لما قيل وقالت: نريد بعض المعلومات وهذا أمر هين عليك.

وعرف مايكل أنها تعمل لدى أمن الدولة الباكستانية، وحاول الهروب من أسئلتها ومنها هي ومن الدنيا كلها، إلا أنها حاصرته كثعبان قوي المراس يلدغ في الوقت المناسب، فتحت يده وأعطته مُفتاحًا، وقفلت أصابعه عليه وقالت سأتصل بك لتعرف أكثر.

خرج مايك مُتوجهًا إلى مكتب زوجه وقف أمامها ساهمًا، ونظرت إليه في استطلاع، فقال دون مقدمات ولا مواربة سأرحل، قالت: إلى أين؟!

قال: إلى الولايات المتحدة، لأني حصلت على مكان مهم في جامعة واشنطن، ولن تتكرر هذه الفرصة.

أشعلت السيدة سوزان السفيرة سيجارة وقالت: هكذا سترحل!

وقال: كنت كتبت إلى الجامعة منذ فترة وجاءني الرد الآن وسأرحل.

هزت سوزان كتفيها وخفضت رأسها وما عليها إلا السمع والطاعة.

هذا هو ما كان يطمع فيه زوجها للهروب من ملاحقة أمن الدولة الباكستانية، وقد سرب معلومات عن الفرح وحسن كاندار وكثير من

معلومات السفارة الأمريكية لجهاز أمن الدولة الباكستاني دون أن يدري أنها أسرار دولة، لكن العرف القانوني دائمًا يرقى إلى القانون والجهل به لا يعفي منه، وهذه قاعدة قانونية سواء في أمريكا أو باكستان.

بعد أن أشار كون إلى عميل أمن الدولة ودوره في مقتل رئيس الـ سي آي أيه علم كون بسفره خارج البلاد وأخبر دينا التي أخبرت رئيسها السابق السيد توم وهو في طريقه للسفر أيضًا وشاهد رجل أمن الدولة في المطار وتبعه دون أن يفلت منه وفجأة دخل المراحيض، ولم يخرج ممّا أقلق السيد توم ودخل فوجده أمامه كالأعمى.

ومن جانبه خرج رجلين مع أحدهما سرنجة حقن بها السيد توم وخرَّ ساقطًا، ولحقه الآخر على كرسي متحرك، وساروا به إلى سيارتهم التي عبرت الحدود بهم، وبعد تفتيش السيارة شاهد ضابط الأمن رجلا مُسنًا وبذقن رصاصية الشعر مقيد القدمين واليدين والفم والعيون لكن الشرطي تغافل عنه مقابل عملة ورقية عمته عن كل مخالفة للوائح أو القوانين المعمول بها أو غير المعمول بها، ومرت السيارة بالسيد توم إلى مكان مجهول، وربما كان المقصد معسكرات طالبان والله أعلم.

بعد هجوم الملثمين على وليد ودينا وأشبعوه ضربًا ولكمًا، وحاولت دينا أن تخرج ما في وسعها لمقاومتهم ولكمهم وشنكلتهم إلا أنها تلقت لكمة من أحدهم أسالت الدماء من أنفها المدققة المعدولة الجميلة وخرت أرضًا وأطلق وليد رجليه للهواء في سباق لم تصل إليه أيدي الغزاة وسلك طريق إلى موقف شاحنات أفغانستان، أما دينا فعالج أنفها أحد الغزاة ممن رسم معها خطة الهجوم على شقتها التي فرشت فيها شباكها

لتصطاد الوليد فريستها الذي وقع في شباك رموشها، وأصدرت صائدة الرجال الماهرة أوامرها لكتيبة الدرون لمتابعة الوليد من إشارات جواز سفره الجديد الذي غيرت فيه اسمه وحالته الاجتماعية ليعبر الحدود وأن يكون صالحًا للسفر إلى إنجلترا، تابعت الدرون المحملة بالسلاح وليد إلى الحدود الباكستانية الأفغانية ومن سوء طالعه أن قبض عليه من قبل ضابط التفتيش الأفغاني، لكن العملة الورقية الصالحة التي كانت في حوزته سمحت له بالعبور مكللا بابتسامة رضا من ضابط الحدود، اتصل بخاله السيد حسن كاندار وعرف مكانه وانتظر على صخرة قرب مجرى نهر تتدفق منه مياه صافية غسل فيها رجليه وتوضأ وأقام الصلاة وهو سعيد بقدوم المستقبل على يد دينا، فأخرج التليفون وتلفن لها، وقالت له أقوال حسنة طأطأت لها قلبه وابتسم لها محياه وتسربت ثلاث سيارات دفع رباعي من ماركة تويوتا التي وجدت سوقها مع المد الإسلامي، هبط من كل سيارة ثلاثة ذقون مكتنزة على أكتافهم ما خف من سلاح آلي ويتابعهم عن قرب بواسطة الأقمار الصناعية على شاشات الـ سي آي أيه تحت قيادة دينا وكون اللذين لمحا رئيسهما السابق السيد توم يهبط من إحدى سيارات التويوتا مقيد اليدين متشعث الرأس في حالة إعياء يرثي لها واضعًا الشيخ حسن كاندار يده على كتف السيد توم، برقت عيون وليد له بالرغم من عدم معرفته من يكون إلا أنه رجل أبيض وأكيد أمريكي ونظر السيد حسن كاندار إلى أعلى وفي كبد السماء وقال هل تعرفون من هذا؟!

هذه الفدية وعيونه تخترق السماء إلى دينا وكل من معها وقال لوليد

يابن أختي الحبيب هكذا استدل أعداء الإسلام عن مكاني بك، وقبله على جبينه ووجنتيه وأخرج مسدسه وسدد طلقة زرقاء على جبين وليد الذي خرَّ ساجدًا إلى الأبد.

هذا من أعمال البروفسير مايكل زوج السيدة سفيرة الولايات المتحدة في باكستان الذي أبلغ السيدة ماجدة التي أدعت أنها طالبة والتي أوقعت مايكل في شر أعماله وأبلغت السيد حسن كاندار عن خطة دينا عن طريق ابن أخته الطالب المتفوق، وأفشلت ماجدة بابتسامتها العميقة ذات الوجه الطفولي خطة الرئيسة دينا ذات شباك العيون القتالة، التقت ماجدة بمايكل وشرحت له حكاية المفتاح وشقة دينا وقالت أعرف أن دينا تتعاطى أدوية عليك معرفتها، وذهب على الفور ودون نقاش ودخل شقة دينا وفي المكان المعهود وجد ثلاث علب لأدوية صورها بتليفونه وأرسلها لماجدة التي بحثت في الأمر، ووجدت الدواء الذي تبحث عنه وقيل لها إنه مهدئ لبعض الحالات واستبدلته بآخر مخدر يؤدي إلى هلوسة لمن يتعاطاه وسلمته لمايكل وأبدله مع دواء دينا.

السفيرة سوزان وفريقها كاملا في مطار إسلام آباد لاستقبال السيد مايك رئيس الـ سي آي أيه قادمًا من واشنطن للوقوف على أخبار الفريق طبقًا لتعليمات السيد رئيس الولايات المتحدة وخاصة توم الذي بالرغم من خروجه من التنظيم وعمله في شركة أمن خاصة إلا أنه يحمل الكثير من أسرار الدولة التي ممكن أن تسبب مشاكل بين الدول، ونحن نعرف جيدًا مدى قوة واحتمال السيد توم في المآزق.

وكان استقبال بروتوكوني وقدمت له رجلين كتابعين له في تحركاته

ومنهم كون أقرب الأشخاص إلى دينا، وكان لقاء الطاولة البيضاوية الكبيرة في قاعة الاجتماعات بالسفارة وتوسطت السفيرة جانب وعلى يمينها ويسارها وخلفها الفريق الدبلوماسي كاملا وفي الجهة الأخرى رئيس مخابرات أمن الدولة الباكستاني ولفيف من الضباط ومن يعمل في دائرته وبدأ الاجتماع بكلمة ترحيب من السيدة سوزان وتابعها رئيس الوفد الباكستاني إلى أن تدخل السيد كريس رئيس الـ سي آي أيه بغشوميته وصلفه ممّا أوقع السفيرة في حيرة من أمره.

لاحظت دينا أن ماجدة تشاغب تليفونها ممّا شكت في نيتها السوداء ولاحظت السفيرة هذا أيضًا ممّا عجل بها أن تفض اللقاء سريعًا، وخاصة بعد أن هدد السيد كريس الباكستانيين بأن لم تبحثوا عن توم ويأتي سالمًا وإلا ستقطع أمريكا مساعدتها لكم، ممّا أشاط غضب الوفد الباكستاني وقام رئيسهم وتبعه فريقه للخارج وانفض الاجتماع الفاشل.

دخل على كريس في غرفته مرسال من قبل السفيرة بصورة بروتوكولية لزيارة سوزان لغرفته وتزحزح من مكانه ودخلت سوزان غاضبة وقالت:

علينا معاملتهم بدبلوماسية ومن تكون أنت لتقطع المعونة الأمريكية عن باكستان وهذا عمل الرئيس الأمريكي فقط.

قال كريس: إن الرئيس أعطاني التفويض بذلك.

فقالت وهي تغادر الغرفة: وإن أعطاك هذا التفويض، فهناك طريقة أحسن من هذا لتبليغهم بذلك، وخرجت مشمئزة.

بدا على دينا الهياج وعدم التركيز والهلوسة والعصبية وهي تتعاطى هذا المخدر شديد الفعالية، ظهر هذا في لقاء كريس مع أعضاء الـ سي آي

أيه وحاول كون أن يهدئ من روعها، ولم يفلح وهربت للمستشفى العام لتلتقي بصديقة المرحوم وليد وتطلب منها المساعدة في الحصول على دوائها، لكنها رفضت وتحت هياجها وتعديها على صديقة وليد ممّا أدى إلى حملها إلى غرفة منفردة وقبض عليها البوليس وقيدت إلى المحبس.

علم الكولونيل عاطف الرئيس العسكري لجهاز أمن الدولة بأن دينا في المعتقل، وطبقًا لتوصية القيادة ونظراتها إليه واتساع حدقتاهما له ذهب فورًا وأخرجها وأخذها عنده في البيت، وكان شابًا وسيمًا وعلى خلق، هدأ من روعها وهي تهلوس ووجدت فيه سال هابطًا سلم المنزل إليها ممّا أفزعها أكثر وصرخت غير مصدقة وقالت: أنت لست سال. إنه مات شاهدته مُعلقًا من رقبته في الرافعة، قال لها وهو يضع يده بحنية على رأسها واحتضن رأسها بيديه قائلا: انظري يا دينا أنا سال.

وقبَّل جبينها وتصبب العرق منها بغزارة وهي تصرخ وتنتفض وكأنها مست بالجن، جلس بجانبها على الأرض وأخذها بين ذراعيه وهدهدها بين فخذيه مُلملمًا ساقيها بداخله، وكأنها مولود في بطن أمه.

وبدأت تهدئ وتنام في عيون سال أبو بنتها وحبيبها الذي ضمها إلى صدره في حنية وحب وهمدت وبان لها عاطف بشحمه ولحمه.

وصلت قافلة الشيخ حسن كاندار لقريته مكللا بالنصر مُطمئنًا لهم:

لا الدرون ولا صواريخ أمريكا ستصل إليه والسيد توم في حوزته.

واستقبلته العائلة بالفرح وزوجاته الأربع وأولاده الثلاث عشر.

وحبس توم في حظيرة وقيد للحائط بسلاسل ودخلت زوج حسن بسروالها من أعلى رأسها إلى خصرها وشبكت ساقيها بساقي الشيخ وبدأت في

تأوهات الحرمان والشوق إلى بعلها التي حرمت منه ثلاث سنوات ماعدا ما ندر خلف فرن الخبيز أو فوق السطوح مع راعي الغنم مرة، وحمال الحطب مرة والسقا مرات، والليلة مع بعلها الشريفة المحرومة وأكدت أنها لم تمس من أحد منذ رحيله وصدقها الشيخ لأنه المحروم وليست هي، وزادت في التأوه والصراخ بإذن القابع في ركن الحائط المقيد، وهو في غاية الغثيان من فعلهم الفاضح غير السليم بالمرة، حيث أنه خبير بالمرأة أكثر منها، ويعرف الصدق من الهجص والغث من الحسن والجمال من القبح، أفرغ الشيخ حسن بحمولة ثلاث سنوات في المرأة الولهانة الكاذبة التي لا تبوح بحبها لرجلها بل لعشاقها دائمًا.

يكن عاطف لدينا الكثير من الاحترام والتقدير لعلمها وشخصيتها وليس لجمالها وفخذيها، أقنعها أن تذهب معه للمستشفى لمعالجتها أو الوقوف على حالها وشرحت دينا للطبيب أنها تتعاطى دواء للتهدئة، لكن الدواء فشل أو أعطى نتيجة مغايرة لما تعودت عليه، ولمكانة عاطف ورتبته أشار الطبيب بأن يحلل هذا الدواء؛ ليرى ما هو على وجه التحديد وكانت في حقيبتها اثنين منه، وتم التحليل في نفس اليوم، وظهر أنه ليس للتهدئة، بل هو نوع من المخدرات القوية التي تصيب الإنسان بالهلوسة، وهدأ الطبيب روعها وأصبحت تكن لعاطف كل تقدير دون أن تبوح بسرها، وجاء كون للاطمئنان عليها، ثم ذهبت معه إلى مقر السفارة الأمريكية حيث عملهما، واستطلاع حال السيد توم، وهناك كان موعد تناول شاي الساعة الخامسة، وحاولت السيدة سوزان السفيرة تهدئة الجو الذي كهربه كريس بأسلوبه الجاف غير الدبلوماسي، وقف عاطف

بهيئته العسكرية يتحادث مع السيدة السفيرة والسيد كريس لكن عينيه كانت في مكان آخر يحوم حول زميلته ذات الوجه الطفولي التي تحادث البروفسير مايكل زوج السفيرة بطريقة سرية، وتبادل ملاحظة خطها لها على منديل الخدمة دون أن يلتفت أحدهما للآخر ممّا أثار شك عاطف حول مايكل فيما ذهبت إليه دينا من أن الذي غير الدواء لابد وأن يكون من داخل السفارة.

استطاع السيد توم أن يهرب من سجن طالبان حاملا تليفون اتصل بدينا التي دلته عبر الأقمار الصناعية أن أول نقطة أمامه ستكون على بعد عشرين ميلا، وفي الظلام الرهيب اخترق الجبال والسهول مُتجهًا للنور الساطع هناك، وهو ينتفض من برد المكان القاحل إلى أن وصل لأول شعاع واتجه إلى محل البقالة الذي وصفته له دينا، قدم نفسه وعندما اطمأن صاحب المتجر أجلسه وقدم له ما يأكله ويشربه وأعطاه سلاحًا وواصل طريقه تحت إرشادات دينا عبر أجهزتها فوجد أمامه العديد من رجال طالبان، وكان الشيخ حسن كاندار يطلبونه ممّا فقد بوجودهم فقد الأمل في النجاة، وأراد أن يتخلص من نفسه، وأخرج مسدسه وصوبه لذقنه، وصرخت دينا فيه أن يكف عن ذلك، لأنه على وشك الخلاص منهم، وهو الذي يفضل الموت عن الوقوع مرة أخرى أسير طالبان، لكن لسوء طالعه وقع في يد طالبان.

نعود لحكايتنا ومخرج السيد توم من سجنه وهروبه بإشعارات دينا إلى جبال أفغانستان ثم القبض عليه من طالبان وحبسه مرة أخرى ويبدي التطلع لتبديله مع خمسة أسرى أفغان وتولت دينا مهمة التبادل بين

الطرفين ووضعت الخطة مع القيادة العسكرية من المارينز الأمريكي المعسكر في إسلام آباد، أما السيد البروفيسير مايكل زوج السفيرة وجد نفسه في مأزق شديد الغباء وعليه الهروب فورا قبل إلقاء القبض عليه وتوجيه تهمة الخيانة له، وفعلا لملم بعض حوائجه وكثير من المال وخرج من الباب الخلفي ومنعه حارس الباب من أن يأخذ سيارته أو يترك السفارة إلى أن جاءت زوجته بمجموعة من الحرس.

وسألت زوجها: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: إلى الجامعة.

طلبت من جندي الحراسة تفتيش الحقيبة فوجدت بعض الأغراض البسيطة وحزمة من الدولارات، فسألته أتذهب إلى الجامعة بكل هذه الأموال أم أنت تحاول الهروب؟! وطلبت من جنودها إلقاء القبض عليه ووضعه في زنزانة الحجز وقد وصل إلى أذنيها أن زوجها يتلاعب في أوراقها ويرسلها إلى البنت الإيرانية ماجدة من أمن الدولة الباكستانية، وهنا اتضح أن الفاعل من داخل السفارة كما أوضحت دينا بحاستها المخابراتية وعيونها التي تثقب الصخر والجبال، هذا وصدق حدثها بأن الشيخ حسن كاندار لن يتوقف عن هذه العملية، بل سيتبعها بعمليات أخرى، فلا نصدق أقوالهم على الإطلاق، ونكون حذرين إلى أبعد الحدود وطلبت من كون أن يجلس في المكتب لمراقبة حركة التبادل وإن لاحظ أية إشارة خداع تبلغني بها فورًا وخرجت إلى ساحة تبادل الأسرى الباكستانيين الخمس مع السيد توم، وفي لحظة وجود المعتقلين ووقوفهم صفًا أمام موقع التبادل لاحظت دينا أن السيد توم ليس موجودًا فزعقت أن يتوقف التقدم وأشهر المارينز سلاحه في وجه القوات الأخرى

والمحتجزين أيضا حتى أصدرت ماجدة أمرًا بحضور توم وكان في منتهى الإعياء والكدمات والدماء تسيل من وجهه، نظرت إليه دينا في حب وعطف ووضعت سلاحها خلف ظهرها وتقدمت منه تحت وابل من الطلقات وأصدرت ماجدة أمرها بذلك، لكنها لم تفعل وخرَّ توم راكعًا من الإعياء وتقوقعت دينا حاطته بيديها قائلة:

خلاص.. خلاص.. ستعود إلى المنزل.

فقال لها كيف تساومين بالإفراج عن هؤلاء المجرمين مقابل فردًا واحدًا؟ قالت دينا وهي راكعة على أسفلت الطريق: أنت عندي بالدنيا كلها يا صديقي، أنت أهم من هؤلاء الخمس، هيا بنا لتعود لوطنك، نحن نعمل من أجل السلام يا توم، فقال كيف نعمل من أجل السلام وفي يميننا سلاح، فقالت: وفي يسرانا السلام أيضًا الذي لن يأتي إلا كذلك.

حاول النهوض من على الإسفلت وساندته للجهة الأخرى ومرَّ الخمسة الآخرون إلى جهتهم وسعد السيد كيرس مدير الـ سي آي أيه ومبعوث الرئيس الأمريكي، إلا أن دينا لم تقتنع بذلك لأنها تنتظر ما هو أسوء.

ولم تنتظر كثيرًا بل جاء الانفجار سريعًا بعد تبادل الأسرى وانفجرت معظم سيارات الوفد الأمريكي وسالت دماء السلام على أسفلت الطريق هناك في أفغانستان المسلمة لأن الآخرين كلهم كفرة المسيحيين واليهود ولن يعرضوا على جنة لأن الجنة للمسلمين فقط بما فيها من حور وعنب وبرتقال وخمور وجواري وغلمان وكأن الجنة بيت دعارة المسلمين فقط، وعندما أتت السفارة أخبار الانفجاريات أصدر السيد كري والسيدة السفيرة أمرًا بخروج المارينز الحامي للسفارة سريعًا لإنقاذ

ما يكن إنقاذه من هذا الانفجار المروع وقد كان وتركت السفارة دون حماية وهنا تسللت فرق طالبان بقيادة الشيخ حسن كاندار من دخول مبنى السفارة عن طريق الممر السري تحت الأرض والذي أشار إليه السيد البروفسير مايكل في حديث ودي مع ماجدة، ونهبت السفارة ودمرت وسرق ما يمكن سرقته، وقتل على أرضها كل من ظهر إلى أن استتب الأمر للشيخ حسن كاندار زعيمًا مُسلمًا ومُوحدًا بالله على بركة دماء الكفرة، تنبه إلى أن هناك من هم في الداخل وعليهم فتح الباب الالكتروني المؤدي إلى حجرتهم المصفحة وكان تحت يده عشرون موظفًا من السفارة، وضعهم على ركابهم ينتفضون من الخوف والذعر.

وقال بصوته الذي كان يعتقد أنه صوت ملائكي "افتح الباب "ولم يتحرك أحد من الداخل فأطلق رصاصة صماء في رأس الأول بجواره وقال "افتح الباب" ولم يفتح فأطلق رصاصة أخرى ليسقط آخر وثالث ورابع وخامس إلى أن انتفض السيد كريس وقال سأخرج اعطني خمس ثواني لفتح الباب الالكتروني ورفضت السفيرة الإذعان وأصرت على موقفها الرافض إلا أن كريس حمل حقيبة الأسماء وحاول الخروج وفك شفرة الباب واستعد للخروج تحت تهديد الشيخ للآنسة آمنة المحللة الاقتصادية التي هرب دمها وعندما فتح الباب رفع السكين من على رقبتها ونغزها في ظهرها فخرت مدرجة في بحر الدماء على الرخام الأبيض، وحمل الحقيبة التي بها أسماء الأفغان المطلوبين للسفارة لتصفيتهم وحاولت مجموعته من الهرب من نفس الطريق من سرداب السفارة السري، ولسوء حظهم أن كون وإحدى شباب المارينز تتبعوهم

متلصصين إلى أن شنوا على ثلاثة منهم أردوهم قتلي وبدأ وابل النار رايح جاي ملأ سماء السفارة وقتل منهم ما قتل وأصيب الشيخ حسن في جنبه ممّا أعياه كثيرا وكان انتقام كون وضابط المرينز ليس بشافي لهم بل أصر الاثنان أن يتبعا الشيخ حتى قتله، وصدرت أوامر واشنطون بإغلاق السفارة في الأربع وعشرون ساعة من الآن وإخلائها والرحيل إلى البلاد فورًا، وبدأ العد التنازلي بالرحيل بعد أن شوهد إعلان بالحجم الكبير على واجه السفارة الأمريكية بالأسود "جهاد الإسلام" سارت قافلة السيارات الرباعية من أمام باب السفارة إلا السفيرة التي حاولت الاطمئنان على سلامة من تبقي منهم وكانت دينا على الرصيف تنظر لهذا الأسطول الرهيب الذي لم يستطع الصمود أما هذا الشيخ الراعي للغنم وقالت لسوزان لن أرحل، اعطني خمسة أيام لأبحث عن كون لن أرحل بدونه ووافقتها على مسؤوليتها وتعجب كيرس لشجاعة هذه السيدة عادت دينا إلى مأواها لتدبر أمر زميلها، بعد رحيل كوين من السفارة للبحث عن الشيخ كاندار ويجد حتى رقم تليفونه في سروال من قتل منهم، ذهب كوين للسوق القريب والذي يعتقد أن الشيخ يختبئ هناك.

وتدبر بافتعال حريق وتجمع الناس وزاط السوق والباعة وزاط المشترون ولمح وسطهم من حاول قتله وتسلل داخل سيارته واضعًا سلاحه على رقبته سائلا أين الشيخ؟!

اتصلت آن شقيقة دينا بها عبر شاشة الكمبيوتر ووجهها كله حزن وكآبة ولم تعرف من أين تبدأ؟ ونظر الشقيقتين لبعضهما في توجس وخيفة من النبأ الذي ستعلنه آن فسألت دينا هل ابنتي بخير؟!

نظرت إليها دامعة نعم بخير أبلغك بأن أبانا توفي أمس وانتفض ذقن دينا في رعشة الأسى والحزن وتجمد الدمع في عينيها.

وطلبت من شقيقتها أن تتصل بها لاحقًا وانتظرت آن بجوار الكمبيوتر حاملة سلام ابنة سال ودينا التي هي عظيمة الشبه بأبيها بشعرها الأحمر وعيونها الخضراء وبشرتها الحمراء ووضعت وجهها على شاشة الكمبيوتر لتفاجئ شقيقتها وفعلا رن الكمبيوتر وبدأ الحديث هادئًا بعد أن أفاقت دينا من هذه الصدمة ووضعت أصابعها على شاشة الكمبيوتر لتلامس يد أبنتها التي ابتسمت وأضاءت الدنيا لها، اتصل السيد كريس بدينا يعزيها بمصابها في موت أبيها وطلب منها إن أرادت العودة وقالت دينا لا شكرا لدي هنا ما أفعله وسأبلغكم الأمور كيف تسير، اتجهت دينا إلى المكتب الفني فوجدت المهندس المسؤول يغلق مكتبه ويحمل حقيبته ارتابت في أمره وقالت ماذا تحمل في الحقيبة؟ وابيض وجهه من السؤال وأشارت عليه آمرة أن يعطيها الحقيبة لترى ما بها وكانت أوراق وجواز سفر كون، اندهشت دينا لماذا يحمل جواز سفر كون؟ إلا أنه يعرف أين هو؟ وكررت عليه السؤال أين كونن؟!

وهنا لم ينكر معرفة مكانه وأباح بألمانية المكسرة أنه عند "ادا".

ولم تمهله لحظة بل اتجهت مع حارسها إلى منزل "ادا".

وصعدت إلى الدور الأول ولم يفتح كون الباب وسمع لغط من خلف الباب وكان صوت دينا "ادا" فعاد إلى الحمام وسالت دينا أين كون وأنكرت وجوده إلا أنها لمحت أقدام مياه على الباركيه وطلبت ورقة لتكتب كلمة لكون إن مر من هنا وآمنت دينا أن كون في الشقة

وانتظرت بجوار سيارته في موقف سيارات البيت ي نزل وفاجأ ته ممّا أدي إلى غضب كون وفي خناقتهما دخل حارسي دينا واتجها إلى كون للقبض عليه لكنه بادر بلكم أحدهما وإطلاق الرصاص على ساق الآخر ممّا أعجزه وقذف بالمسدس أعلى سقف المكان وخرج ودينا تسرسع بصوتها الحاد ورائه أن يقف ويكف عن هذا لأنه بذلك يتسع الخلاف أكثر بيننا وبين طالبان والشيخ ذات نفوذ جبار هنا.

عاد كون إلى صديقته الألمانية وبدأ في صناعة تفجير قوي ليفجر به موكب حسن كاندار وقبل البدء في صنع التفجير زار مكان الموكب وخروج الشيخ بسيارته الرباعية الدفع وحوله وخلفه وأمامه حراس وعالم في مظاهرة إسلامية لنصرة القائد الملهم بأسلحتهم الرشاشة وغير الرشاشة وكأنهم على أهبة غزوة أحد من تكبير ودعاء وإعلانات وصور شهداء وصورة وليد التي رفعها كون حاملها على ماسورة حديدية بداخلها المفرقعات وعند الباب فصل هذا الذراع وألقي بالصورة ودفس البار الحديد تحت بالوعة صرف المياه تحت الرصيف الذي ستمر عليه سيارة الشيخ وزاغ كون إلى مبني ليكون شاهدا الموكب تماما ومعه محرك التفجير وهو ينظر من نظارته المكبرة يلمح شعرها الأصفر الناعم الطويل على كتفيها حاسرة غطاء رأسها معلنة له أنها هنا، اتصل كون بدينا ليبعدها عن طريق التفجير ورفضت وحاول معها لي أن قالت انظر من مع الشيخ انه السيد دار رئيس اليد السوداء رهينة معه إن فجرته سيذهب أيضًا هنا توقف كون ونكس رأسه، لأن خطته في قتل الشيخ فشلت، تابعت دينا سيارة الشيخ وأخرجت سلاحها لتسدد

طلقاته في رأس الشيخ الذي قتل الشاب وليد بدم بارد.
وإذا بالضابط عاطف يظهر من خلفها، ليقبض على يدها الحاملة لطلقات الموت ومنعها عن ذلك واستجابت خوفًا على زميلها.
استمر موكب القائد وحوله الجماهير يعلو صراخها بموت أمريكا على يد جهاد الإسلام الذي رفعت أعلامهم في كل مكان.

* * *

آن ودينا شقيقتان يتشاوران في الكبيرة والصغيرة هكذا علمهم أبيهم ولقائها بآن ليس صدفة بل حبًا وتقديرًا واحتضنت أبنتها وربتت ظهرها في حنان واضح، ووجدت سيدة شقراء تشبهت عليها وفتحت عيونها وأغلقتها على شبه دمعة قائلة ماذا أنت فاعلة هنا قالت السيدة الشقراء أتيت لأراكم قالت دينا وأين كنت منذ خمسة وعشرون عامًا يوم أن تركتينا مع أمي وذهبت واليوم تعودين لتقولي أنا أمكم وأين كنت يوم أن تركتينا ليلة العيد نبكي؟ أخرجي من هنا لا أريد أن أعرفك وخرجت السيدة الشقراء وهرعت وراءها آن لتلحق بها، لكنها اختفت بسيارتها المسرعة خلف الأشجار وعادت آن تؤنب أختها قائلة:
إن هذا البيت بيتي ولا أسمح لك باتخاذ موقف كهذا!
نكست دينا رأسها وحملت ابنتها بين صدر أمها ويد خالتها وابتسمت البنت صادرة منها أنغاما وأصوات داعبت قلوب الشقيقتين.

* * *

كنيسة العذراء مريم مليئة بالمعزيين لتذكر أبيهم قبل أن يوري الثري، تذكرت آن عن أبيها حنيته وتعلمه لهم وكان معهن الأب والأم والمعلم

والطبيب والصديق وترقرقت عينيها بدمعة سالت على خديها الشفاف مسحتها بطرف أصبعها ونظرت إلى شقيقتها التي شاركتها دمعها وتحول المعزيين إلى منزل آن ونصبت المائدة وأتي الجمع كل بطبق كعادة الأمريكان في هذه الملمات، تحدثت دينا مع المعزيين من الأقارب وكانت آن أميرة المنزل تحادث هذا وتجامل هذه في حبور واصطحبت دينا زميلها المقرب كون إلى البلكونه وجلسا سويًا وأخرج من سترته زجاجة ويسكي ايرلندية معتقة ورحبت بها آن وشاورت إلى السيد توم بأن يأتي لمشاركتهم وبعد برهة ظهر مدير الـ سي آي ايه حاملا صينية مغطاة بورق عازل قائلا هذه مسقعة عملتها زوجي فقامت دينا وتناولتها وأوسعت له كرسي ليجالسهم وكان أول لقاء للفريق بعد عملية باكستان وقالت دينا ملوحة عيونها إلى ثلاثتهم قائلة:

لعل العملية القادمة تكون أفضل.

قهقه الجميع في صوت واحد وعم الصمت.

انتظر كوين مع آن ودينا ليساعدهم في جمع الأشياء وتنظيف المنزل إلى أن أصبح المنزل في غاية النظافة بفضل نشاط كوين في النظافة على غير عادته وودعهم وخرج ونظرت آن إلى دينا في نظرات لايفهمها إلا شقيقتين أو امرأتين وهرعت دينا خلفه لتودعه وتجاوره بالسيارة وتناجيا بأجمل النظرات وبرقت عينا المشتاقة وهجمت شفتا الولهان في تصادم قبلة التعارف الجنسي وكانت فاتحة خجل منها من هم في جبروتهم وقوتهم وعادت دينا متبخترة إلى المنزل ملقية بجسدها على المخدع الوثير ولم تنم ولم تغفل لها عين.

التقى السيد توم بإحدى أعضاء البرلمان على أن يجد له وظيفة في الـ سي آي أيه التي استقال منها قبل رحيله إلى باكستان وكان هذا صعب لأنه إن ظهرت تسجيلات مصورة له وهو في سجنه عند طالبان.

سيفصل أيضًا وهذا مستبعد فعليك البحث عن عمل آخر بعيدًا عن الـ سي آي أيه التي ولد ونشأ وشاب فيها، بعد لقاء السيد توم بدينا ورئيس المخابرات وكوين ونشط قله بأنه فعلا يمسك أشياء كثيرة عليهم وخاصة مع دينا التي نبهته إن ظهر هذا الفيلم وأنت في حبس طالبان سأظهر ما معي من مستندات على السيناتور ورئيس المخابرات وي وزير العدل أنا معك يا سيدي أنا أحبك. ولم يستسلم السيد توم بل ذهب أبعد من ذلك ليكون هو مدير الـ سي آي أيه، اتصلت دينا بكوين لتبلغه عن حبها له وأنها تريد الارتباط به ولم تجده فذهبت إلى السيد دار، لأنه أكثر خبثا في معرفة أصول الأشياء وطلبت منه أين كون؟!

وقال بكل برود لا أعرف!

وبدا صوتها يرتفع فأسكتها السيد دار بأن فتح باب البلكونه.

وقال لها تعال وتأكدي. وخرجت وألقت نظرة أذهلتها قائلة:

أنت هنا يا توم، بهت وجهه لأنها لم تتوقع أن تجده عند دار ولم تتوقع أن تجد دار مع توم وألقت عليهم نظراتها القاتلة وخرجت للبحث عن كون، وعندما لم يجد إجابة قبلته على شفاه دينا المرخية الآثرة التي تمناها منذ أول يوم قرر أن يستمع إلى كلام زائره الذي أعلن له أنهم على وشك الرحيل إلى سوريا في مهمة هامة.

ووقع الاختيار عليك معنا، وافق كون على الرحيل وذهب إلى المطار

السري وحاولت دينا الاتصال به فوجدت أنه غير الرقم ولا أحد في الفندق المتواضع الذي كان يؤويه.

لا سوريا ولا لبنان ولا إسطنبول بل ألمانيا التي وجدت فيها ضالتها في أن تكون مديرة أمن مؤسسة الغذاء العالمية، حملت ابنتها خلفها على الدراجة وتصطحبها إلى دار الأطفال وذهبت لتجتمع مع مدير المؤسسة لتنشر أفكارها عن الأمن أما داخل ألمانيا أو أمريكا لكن المفاجئة جاءت من بيتر مدير المؤسسة والذي أشار إليها بأنه يريد أن يتجه إلى بيروت ليري بنفسه معسكرات اللاجئين السوريين هناك لمساعدتهم وعليك تأمين زيارتي إلى بيروت.

قالت دينا بفزع: بيروت إنها أخطر بلاد العالم كيف نؤمن وجودك هناك قال بهدوء رجل الأعمال الوسيم أنها مهمتك وأنهي الحديث معها وانصرفت تضرب أخمسا في أسداسا وأين المفر من كل هذا العدد من المليشيات المختلفة أنها مدينة مشتعلة لا يؤمن عليها.

حملت ابنتها وعادت لسكنها قائلة:

لا بد من وجود كوين معي في هذه المهمة المستحيلة.

ذهبت إلى الكنيسة تستجدي المعرفة والإلهام وخرجت ولم تعثر لا على الإلهام ولا المعرفة وتوجهت إلى جامع بيروت ووضعت نفس غطاء الرأس على شعرها الأصفر الفاقع وطلبت مقابلة الإمام وخلعت حذائها واستعدت إلى أن تقدمت إليه خاشعة وكأنها في حضر إله مبين ممّا أجبره إلى الاستماع إليها بوجه عابس وبدون ذوق في فن التعامل ليس لأنها شقراء فقط بل كافرة وتنجس بيت الله ولا أحد يعلم إن كان عليها

العادة النجسة أم لا؟! وقال الإمام ما طلبك قالت بشجاعتها وقوتها المعهودة أريدك مساعدتي، ليس مساعدتي شخصيا بل مساعدة مؤسسة الغذاء لمساعدة اللاجئين في بيروت وأنا مسؤولة الأمن عن المؤسسة فهل ممكن تأتي لتساعدنا في هذه المهمة؟!

توجس خيفة وارتعش وضم حاجبيه وبانت زبيبته أكثر سوادًا.

وقال لا أعرف أحدًا في بيروت، قالت أنا أعرف أن مسؤول حزب الله هنا في ألمانيا المسؤول عن التموين للحزب فهل ممكن أن تقدمني له؟

قال الإمام هذا ليس من شأني وانتفض وتركها وخرج.

قادت دراجتها لتقضي بعض الحوائج من المدينة العامرة ويأتي ميعاد خروج ابنتها من الحضانة وجدت سيدة محجبة تعبر الطريق بعد أن وضعت دراجتها بجوار دراجة دينا ووجدت الأخيرة أن السيدة شبكت الدراجتين مع بعضهما وحاولت أن تستوقفها مشيرة أنها أخطأت وشبكت الدارجتين مع بعضهما، ولم تلتفت إليها السيدة، بل أشاحت وجهها، وأكملت الطريق في اندهاش دينا وهي تنظر إليها وإذا تظلم الدنيا أمام عيون دينا، وتحمل داخل سيارة وتنطلق بها إلى مكان غير معلوم أخرجوها من السيارة مرهقة من صراخها ومعافرتها لهم دون جدوى أجلسوها على كرسي خشبي ورفعوا عن رأسها الغطاء فإذا بها في مكان متسع كموقف سيارات تحت الأرض رطب ليس به شيء والحوائط متآكلة والسقف يكاد يسقط على نفوخها وظهر رجل في عتمة المكان يسأل ويسأل ولا من مجيب ممّا أشاط بغضب السائل فتقدم منها عديد من الحرس وقال أحدهم تريدين تتحدثين مع حزب الله ها نحن

أمامك ماذا تطلبين وقبل أن تكمل ماذا تريد غطت رأسها مرة أخرى وحملت داخل السيارة وقذف بها أمام بيت صديق لها أمريكي شاهد ذلك فخرج وحاول أن ينقذها من ذهولها وحالها ودخلت معه شقته الأرضية تستريح، سألت نفسها إن أرادت العمل في هذه المؤسسة وحماية بيتر عليها معرفة من تحميه، إن كان حزب الله فعليها معرفته قبل الرحيل إلى بيروت وذهبت كعادتها للعلم بالشيء إلى مكتبة المدينة لتطلع على آخر إصدارات عن الحزب الذي لم تقتنع بأنه من صنع الله وهو رئيسه وكيف تتعامل الولايات المتحدة معه إذ أن حزب الله" هو حزب سياسي إسلامي شيعي وجماعة مسلحة، مقره لبنان، حيث رسّخت أجهزته الأمنية الواسعة، وتنظيمه السياسي.

وشبكة الخدمات الاجتماعية، سمعَته على أنه "دولة داخل دولة".

تأسست الجماعة المدعومة من إيران في خضم فوضي الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت خمسة عشر عامًا، مدفوعة بمعارضتها لإسرائيل ومقاومتها للنفوذ الغربي في الشرق الأوسط.

نتيجة لتاريخه في تنفيذ هجمات إرهابية عالمية، صنفت الولايات المتحدة، ومعها كثير من الدول الأخرى، أقسامًا من منظمة حزب الله، وفي بعض الحالات المنظمة بأكملها على أنه مجموعة إرهابية، في الأعوام الأخيرة، أوقعت التحالفات طويلة الأمد، مع إيران وسورية، الجماعةَ في شرك الحرب الأهلية في سورية، حيث تحوّل حزب الله، بدعمه لنظام بشار الأسد، إلى قوة عسكرية متزايدة الفعالية، ولكن نتيجة الاضطرابات السياسية اللبنانية بسبب السخط الجماهيري من الطبقة

الحاكمة، ونتيجة تصاعد التوترات بين الولايات المتحدة وإيران، قد يتغيّر دور حزب الله في المجتمع اللبناني.

ساءت العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران أكثر بعد الضربة الجوية الأميركية، في كانون الثاني/ يناير 2020 التي قتلت قاسم سليماني، قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، المسؤول عن العمليات الخارجية للفيلق، وردًا على ذلك، توعد نصر الله بأن حزب الله سيهاجم القوات الأميركية، لكنه لن يستهدف المدنيين الأميركيين.

في غضون ذلك، قد يري حزب الله تهديدًا أكثر إلحاحًا في فنائه الخلفي؛ حيث فشل تشكيل الحكومة اللبنانية، برئاسة حسان دياب، المدعومة من حزب الله في كانون الثاني/ يناير 2020، في استرضاء المتظاهرين المناهضين للعهد (المؤسسات اللبنانية)، الذين رأوا في هذه الحكومة انتصارًا للنخب الراسخة في البلاد، فمعدلات البطالة والفقر والديون استمرت في الارتفاع في ظل الحكومة الجديدة، واستمرت التظاهرات أشهرًا على الرغم من الإغلاق بسبب جائحة فيروس كورونا الجديد (كوفيد 19)، لكن الخبراء يشتبهون في أن حزب الله لن يرضخ لمطالب المحتجين بتشكيل حكومة جديدة مستقلة سياسيًا، خوفًا من أن تؤدي مثل هذه النتيجة إلى إضعاف قوة الحزب وإجباره على نزع سلاحه. ومع ذلك، يجادل البعض بأن حركة الاحتجاج يمكن أن تقوّض نفوذ حزب الله بشكل أكثر فاعلية من أي سياسة أميركية على الإطلاق، من خلال فتح أبواب كبيرة لانتقاد الجماعة، وربما إعادة

تأسيس نظام الحكم الذي أصبح خبيرًا في الاستغلال والظلم، في الوقت الحالي يواصل حزب الله تأكيد نفوذه عبر جميع فروع الحكومة.

على سبيل المثال، منع أمرٌ من قاضٍ لبناني صدر في حزيران/ يونيو 2020 وسائل الإعلام اللبنانية من إجراء مقابلة مع السفيرة الأميركية في لبنان، بعد أن انتقدت حزب الله في مقابلة تلفزيونية.

هذه معلومات تجعل منها متحدثة لبقة مع من يهمه الأمر سواء من حزب الله أو الـ سي آي أيه في فرجينيا حيث المقر الرسمي أو ي في برلين حيث السيدة إليسون ذات الشعر الأحمر والقلب الثلج وسألتها دينا مبتسمة عن مساعدتها في التعرف على حزب الله في لبنان وقالت لها ببرود السيدة الجميلة أن أردتي هذا عليك بمساعدتي عن إجابة بعض الأسئلة عن مؤسسة الغذاء وعن بيتر رئيسها ونظرت إليها دينا بذكاء وقالت هذه أسرار من أعمل لديهم ولا أبوح بها لك ولا لغيرك، انتفضت السيدة الجميلة بشعرها الأحمر المشتعل دائما على رأسها وحواف وجهها وفتحت الباب لدينا لتتصرف قائلة أرجو أن تخرجين من هذا الباب لأن عندي ضيف قادمًا الآن لا أريد أن يراك هنا وفعلا خرجت دينا من باب خلفي ولم تعدم الوسيلة وعادت إلى فناء البناية ووجدت سيارة سوداء تقف عند باب الدخول وأخفت نفسها ي وقفت بكل جسدها لتعلن وجودها للسيد توم رئيسها سابقًا أنها هنا وكانت في لقاء مع إليسون، نظر إليها السيد توم ولم ينطق بكلمة إلا عتاب عليها بأنها باحت بكلمات عنه عندما كانا في باكستان.

حاولت أن تتأسف عن ذلك إلا أنه تركها وصعد بالمصعد.

لاح من إحدى محطات المترو شاب ربعة ذات شارب أسود وعينان مكحلتان بالسواد مجهم القسمات شرق أوسطي السمات هرع مزاحم كل الناس وكأنه فقد عقله أو ميعاده، لوح بعيونه المتسعة يسارا في اتجاه مقهى وبار المترو وإلى الجهة الأخيرة ووجد ما يبحث عنه وتذكر أن عليه الذهاب إلى المقهى، شيء غريب هكذا الشرق أوسطي لا يعرف إلى أين هو ذاهب بل هو ذاهب إلى أين؟! بل يعرف أنه ذاهب فقط إلى أين هذا سؤال آخر، دخل المقهى مُزاحمًا بجسده وجلس أو هكذا صور له وتحدث مع شاب ألماني الطلعة غير منسق الهندام وتحادثا وسمع من حديثهم أنهم في اهتمام واحد حول الجنس وخرجي بعد أن شربا البيرة الألمانية الغامقة ومن سرداب إلى آخر كان هدفهما مكان عملهم في متابعة شاشات عرض الفتيات والرجال المخنثين في أوضاع عيب لما نتحدث فيها ويشاهد ذلك كل محروم جنسيا، غرفة التحكم عن بعد هذا هو عملهم أما هوايتهم التصنت على الآخرين وسجل إحدى أجهزتهم لقطات مرعبة عن أحاديث لا يمكن أن تصدر للعامة من أجهزة المخابرات الألمانية وإلى عملائها في كل مكان وسجلوا كل هذا عفويا ودون قصد لأن عملهم متابعة الزبائن فقط لكن جاءت على شاشاتهم كلمات المخابرات الألمانية والسي آي أيه الأمريكية فتوقفي عن المهاترات الصبيانية ونظر كل من هما للآخر وصرخ رئيس المخابرات الألمانية أن يغلق الكمبيوتر ويتوقف العمل فورا هناك من استطاع الانقضاض علينا ويستمع إليكم وأغلقت الماكينات الأمريكية وانتفضت إليسون من مكانها ترمح يمينا ويسار حاملة تليفونها الذي

لزق بأذنها تطلب من الجميع التوقف حتى عن المكالمات الشخصية، وانكشف أمر الجميع وبدأت الاستشارات حول من الذي اقتحم سرهم علينا البحث عنهم فورا، واستعدت فرق البحث عن من وراء هذا.

التلفزيون الألماني القناة الأولي تعرض برنامج على الهواء مع صحفية ألمانية تتبع أحداث الشرق الأوسط وأذاعت أن المخابرات الأمريكية تتلاعب على القوانين الألمانية وتتتبع أشخاص ذات مكانة اجتماعية وسياسية وهذا غير معمول به طبقًا للقوانين الألمانية وكان هذا النبأ بمثابة فضيحة كبرى للمخابرات الأمريكية وعلى رأسها الـ سي آي ايه ورئيستها إليسون ممّا أشاط بغضب السيد توم وأبلغ إليسون بأنه صدر قرار فصلها من الـ سي يي ايه.

* * *

عملت دينا مع بيتر وعمل كون مع السيد توم وأصدر الأخير أوامره بقتل السيدة التي تجمع الفتيات وترحلهم إلى سوريا تتبعها وصورها وهي تتحادث مع فتاة وفي مكان آخر مع فتاتين ثم التقي الجميع في سيارتها وتابعهم كون إلى أن عادت وتركت سيارتها وأخذت أخرى بعد أن حجبت جسدها وهنا تقدم إليها كون بهدوء يحسد عليه ممّا طمأن السيدة ورفع يده لتجذب خمار رأسها إلى أسفل ولم تقاوم ونظر كل إلى الآخر وفي هدوء الموت صوب ما سورة كاتم الصوت إلى جبهتها وخرت بجانب السيارة، عبر كون ميدان البريد في وسط المدينة إلى مقر البريد وأخرج مفتاح صندوق بريده وسحب ظرف وذهب إلى مقهى في الجانب الآخر للميدان وفض المظروف وأخرج ورقة بها أرقام وجريدة يومية

ألمانية، ارتشف البيرة المثلجة ي أفرغ نصف الكوب تقريبا وفتح الجريدة على صفحة الإعلانات المبوبة وبدأ يحل لغز الأرقام التي كتبها له السيد توم وإذ بالأرقام تتحول إلى كلمات والكلمات إلى أسماء وظهر أمام عينية التي لم تصدق من هو الذي سيقتله ووضع يده على جبهته وأكمل ما بقي في كوب البيرة وقال دينا فلنبحث عنها وأنهي حياتها.

وقف بيتر على منصة ليخطب في جموع اللاجئين لماذا هو هنا ومن من المساعدات ولماذا هذا المعسكر؟! وبعد أن أسهب وصفقت الجموع له تحت أنظار شرطة الأمم المتحدة ذات البيريه الأزرق وعيون دينا الغزلانية تتسع حدقتاهما وتغلقهما لمحت من شكت فيه وهو يحاول إخراج سلاحه من تحت عباءته فلم تتردد بل أشهرت سلاحها ضده وكان زميلها أسرع منها وأطلق النار عليه فرده قتيلا وهاجت الجموع وهرب بيتر تحت حماية دينا ومن معها وترك لبنان في حربها التي لم تهدأ والتي أزاحت دينا عنها الستار لنشاهد حرب الشرق الأوسط لم تبدأ الحرب الأهلية اللبنانية في 1975/4/13 كما اصطُلح اتفاقًا؛ ففي ذلك اليوم المشؤوم اندلع القتال في بيروت، ولم يتوقف نهائيًا إلا في أواخر سنة 1990 بعدما امتد، على مراحل متنقلة، إلى معظم المناطق اللبنانية، أما مقدّمات الحرب فتعود جذورها إلى سنة 1968 أي إلى ما بعد هزيمة مصر وسورية في حرب 1967/6/5.

دينا غضبت غضبًا هستيريًا ممّا دعا صديقها محامي المؤسسة التي تعمل فيها أن يطلب لها الإسعاف لتهدئتها في مستشفى المدينة وهنا تناولت دواءً مُهدئًا كانت ترفضه وتناولته ونامت أفاقت مع ابتسامة

ستيف الشاب الوسيم والتي قبلته أن يكون صديق لها، وقررت أن ترحل ابنتها إلى آن شقيقتها خوفا عليها وعادت لتعمل على تهديداتها بالتصفية الجسدية لكن من هذه هي مهمتها بما تشكله من خطورة على الأمن القومي الأمريكي هل المخابرات الأمريكية أم الألمانية أم عصابات اليد السوداء أعدائها اليوم كثيرون، استبعدت أن يكون أحدًا من المخابرات الأمريكية وعلاقتها بالسيد دار رئيس اليد السوداء على ما يرام ولا يمكن أن يكون السيد توم أيضًا، حاول ستيف أن يمنعها من الخروج خارج المنزل، لكنها انتظرت أن يخرج هو، وتحمل سلاحها وتدور حول البيت لعل من يريد تصفيتها يندس بين الأشجار، وباتت ليلتها في الغابة تتصنت وتراقب إلى أن سمعت وشوشات ليست من النباتات بل وقع أقدام ووجهت سلاحها نحو الهدف وعملت عينها اليسرى في المكبر وكان رجلًا مُلثمًا ووضعت إصبعًا على الزناد بكل هدوء وضغطت وانطلقت الرصاصة في صدر الهدف فخرَّ ساقطًا واعتدلت وتنفست الصعداء ونظرت إلى مكان سقوط الشخص الذي لم تجد له وجود، ممّا أصابها بالذعر وإذ يد من خلفها تحوط رقبتها وتحقنها بحقنة مخدرة وجلس بجوارها يخلع سترته وحامية الرصاص وكانت كون اليد المنفذة لأوامر السلطات العليا.

عادت إليسون إلى عملها بعد اتصالها بالسيد دار وغضب السيد توم من أنها تخطت حدودها باتصالها بدار وطلبت منه أن كان ولابد فعليكم بنقل السيد توم وليس أنا الخبيرة بالشؤون الألمانية، حاولت أن تهدئ من روع توم بأنوثة لا يعلو عليها أنوثة دينا، وفرشت له سريرها

ولبست له ملابس كاشفة عن جمال لا يضارع أنوثة أفروديت وكانت ليلة سعيدة للسيد توم والتي جردته من لقب السيد واكتفت بتوم.
كثيرة هي أعمال الجنس وتجارته الراجحة في ألمانيا ومنها عرض الفتيات أمام كاميرات لتظهر أمام المشتاق هذه أماكن أستوديو على درجة عالية من التقنية والحرفية يعمل في أحد هذه النوادي المعلنة على بابها الملك جورج هذا هو اسم المكان يعمل في وردية الليل شاب تركي يدعي مميت وهو مهندس كمبيوتر غير معترف به في الجامعات الألمانية وزميل ألماني يدعي أكسل لم يوافق مميت على بيع ما حصل عليه من تنصت على المخابرات الأمريكية ولا الألمانية لأنه ممنوع، وقرر أن يفضح هذه العمالة التي جردته في تركيا من شهاداته أما أكسل فقرر أن يبيعها لمن يدفع أكثر وكان الروس على علم بذلك رغم سريتهم المطلقة وقابل مميت "أدا" الصحفية وأعطاها نسخة من التسجيل، أما أكسل فقد اتصل بعميل السفارة الروسية وأعطاه التسجيل مقابل مبلغًا كبيرًا من المال أعطاه له بابتسامة ماكرة وطلب منه الجلوس واعترض رحيله، لحين ذهاب اثنين من الرجال الروس إلى منزله للاطمئنان على أنه لم يحتفظ بنسخة أخرى ووجد الروس فتاة أكسل متكاسلة من تعاطى المخدرات ولم يتورع أحدهما بتصفيتها خوفًا أن تتحدث عن الصفقة وممكن أن تؤدي لاصطدام سياسي بين البلدين وتم تصفية أكسل لنفس السبب.
طال الحديث بين دينا وكوين محاولا كلا منهما شرح وجهة نظر الآخر حول من يريد قتلها وذهبا سويًا إلى مركز البريد كعادته

لاستلام الأوامر من هناك ووضع تليفونه في الخزانة وعند انصرافه لاحظت دينا وهي في السيارة أن هناك سيارة تحوم حول الميدان وبدأ منها إطلاق نيران سريعة في اتجاه كوين فأخرجت سلاحها وصوبته على السيارة المقتحمة الميدان وأردت سائقها قتيلا وعثرت بسترته على تليفونه الذي احتجزته معها بعد أن التقطت صورة للقتيل وهرعت لإنفاذ كون الذي أصيب بطلق في بطنه، أخذته إلى مكان لتشفيه وسهرت عليه وبدأ في انتظام تنفسه وهنا عرف أن المقتحم يريد قتل دينا وكون لنفس السبب الذي يجهلونه، عادت دينا إلى تليفون القتيل وبحثت إلى أن رد عليها أحد الرجال الألمان واعتقدت أنه من المخابرات الألمانية وليس الأمريكان من يريد تصفيتهم.

بعد ليلة بلون الورد البمبي قبلت إليسون عشيقها الجديد رئيسها السيد توم وعدلت من هندامها واستعد الاثنان لمهام جديدة قدم لها السيد دار بالتقرب من الموساد الإسرائيلي وكان يوم "الباس أوفر" الذي تجتمع فيه العائلة ويتناولون غذاء من الخبز والنشويات وتحدث الرهبان حول أن يساعده توم التقرب من الـ سي آي أيه وبعد السهرة المفبركة والتي لم تعجب توم ومدحتها إليسون من باب الأدب والذوق، وكان الاثنان على موعد الرحيل إلى سويسري للقاء مع القيادة السورية التي أشار بها الرهبان بأن من مصلحة دولته أن يستمر الأسد في الحكم وهذه هي طلبه في مساعدة الـ سي آي أيه لدولة إسرائيل، ذهب السيد توم إلى الفندق وذهبت إليسون إلى المطار لاستقبال السيد الجنرال رامي وزوجته وابنته في طائرة خاصة

وكانت عربة الإسعاف في انتظارهم لنقل ابنته إلى المستشفى لعملية جراحة نقل كلي سليمة إليها، وكانت إليسون أعدت كل شيء لهم وطلبت أن تحدثه سرًا بعيدًا عن حراسته موضحة له أن كل من في المستشفى من الـ سي آي أيه ما عدا الجراح فهو طبيب حاول رامي التعرف منها عما يكن له الـ سي آي أيه لكنها قالت سيقابلك المدير في حديقة المستشفى وسيشرح لك كل شيء على شرط أن لا يكون الحرس حولك، ووافق عدنان وذهب ليدخن سيجار وطلب من حراسة أن يتمتعون بالأكل والشراب لحين الانتهاء من التدخين وذهب فوجد من ينتظره دون كلفة وهو جالس على مصطبة حجرية في الحديقة وطلب منه أن يجلس بجواره وقدم نفسه أنه توم رئيس المخابرات الأمريكية، وحاول عدنان أن يقدم نفسه بهالة التفخيم السورية إلا أن توم أوقفه وقال أنا أعرف، والمطلوب منك أن تزيح الأسد وتأخذ مكانه ونحن سنكون في ظهرك نساندك حتى تجلس على كرسي القصر وتكون الرئيس الفعلى لسورية، هذا ومعك في الطائرة الآن مبلغ من المال يكفي لشراء كل من في القصر والحكومة ليكونوا معك، لم يظهر على وجه رامي أية علامة من علامات لا النصر ولا الهزيمة وكأنه جثة هامدة ونقل هذا الشعور إلى إليسون المنتظرة في المطار لوداعه وحلقت الطائرة في سماء سويسري وانفجرت بمن فيها، حامت الشبهات حول الرهبان الإسرائيلي في تفجير الطائرة كما أشارت إليسون أنه كان في المطار قبل إقلاع الطائرة وتحقق السيد توم من ذلك في لقاء خاص مع صديقه الرهبان وفاتحه في الأمر

كعادة توم في التحقيقات ولم يكن هناك إنكار ولا تصديق ولا علم له بهذا التفجير وإن كان داخل المطار وقال أنا لا أقدم على هذه الفعلة لأن عندنا المتخصصين في هذا وأنا آخر من يوكل له عملية مثل هذه، أقنع الرهبان السيد توم أما الجميلة إليسون لم تصدقه وأصرت على موقفها اعتمادًا على أن إسرائيل لها مصلحة في وجود الأسد.

استدعت دينا ستيف المقرب منها لاستشارته في علاج كوين الذي بدأت تسوء حالته وينزف دمًا رغم خروج طلقة النار، وحضر ستيف بعد أن مرَّ على شقيقته الطبيبة وبواسطتها حصل على حقنة أنيبيوتيك وفوجئ ستيف بأن المريض ليس كما قالت دينا إنها هي المصابة وقالت له إنه أعز أصدقائي وأعمل معه أرجو أن تساعدنا ورضخ ليس لعيون دينا بل لعين الجرح العميق وحقنه وغير على الجرح وذهبت دينا وبقي الرجلان سويًا، لكن شك كون فيه كان أقوي وغافله وخرج أيضًا ولم يعثر ستيف عليه، ذهبت دينا إلى الصحفية لسؤالها عن باقي التسجيل لكنها أشارت أن تذهب إلى من أعطاه لها وهو الشاب مميت التركي وبعد التدقيق اكتشفت موت صديقه وعليها البحث عن مميت واستكنت الصحافية خوفا على حياتها.

* * *

الفصل الخامس

إن عاش كوين ستقتل دينا وعليه قرر أن ينتحر وترك المحامي وزاغ في الطرقات يطلب الموت وإذ به أمام النهر وإذا ألقى بنفسه فيه سيطفو بصورة أو بأخرى وحمل قالب طوب وحاول ربطه في ذراعه ليحمله إلى قاع النهر وبعد عناء وصب العرق من جبينه أوقفه رجل على رأسه قائلا ماذا تفعل يا أخي؟ قال اتركني وشأني قال أتريد أن تلقي بنفسك في اليم قال اتركني وشأني من أين أتيت؟ قال أرسلني لك الله لإنقاذك.

قال كوين لا أريد مساعدة أحد، أنتم هكذا يا مسلمين تتدخلون فيما لا يعنيكم، وسار كوين وسار خلفه الملاك ليمنعه من الموت ويحقق كلمة الله على الأرض أنه خالق السماوات والأرض يأخذ الروح ويعطيها بأمره.

أشار أدار إلى مارجريت بمراقبة توم لأنه شك فيه في حادث الطائرة السورية طالما أنه لا يد من إسرائيل فيها وكل الدلائل توجه الشبهات إلى توم بتوجيهات مارجو لتبعد الشبهات عنها.

أفرجت السلطات الألمانية عن خمسة وعشرون سجينًا سوريًا لمخالفات قضائية من المخابرات الألمانية في حقهم وتجمع فريق منهم في بيت الشاب المسلم الذي أنقذ كوين من الغرق، ودب الخلاف بين قائد هذه المجموعة وشكه في أمر كوين وطلب أن يرحل

من هنا وقال آخر ولماذا يرحل نقتله وانتهي الأمر؟ وقال الطبيب لا للقتل ولا لترحيله أنه مريض ومحتاج لنقل دم وراحة واشتعل الخلاف بينهم ونام كوين إلى الغد وطلب أن يرحل وفعلا أخذ بعض أغراضه وتخطي الباب والسلم وإذ بنفس الجمع السوري ينتظره خارج المنزل ليسوي الأمر معه، حاول كوين أن يبدي أسفه وليس له دخل فيما أنتم فيه لكن رئيسهم لم يبد أي استعداد لاحتواء هذا الموقف ولكم كوين في وجهه فرده إلى الخلف على الأرض وانتظر أن ينهض ليخلص عليه ونهض كوين واستجمع غضبه وغز هذا الرجل العنيف بأصبعه في رقبته ممّا أرداه قتيلا ولم يتحرك ساعد السوريين ولملم كوين حوائجه وغرب عن وجوههم.

كلف السيد توم خبراء التصنت أن يبحثوا داخل مبني السفارة عن أي مؤشر للتصنت عليهم لأنه ليس من المعقول يعرف الجميع خطواتهم لكن السيد دار اعترض على هذا المنطق في العمل وغضب السيد توم وقال دار على ذلك تقدم غدا للكشف عنك بجهاز الكذب لأني أشك فيك أنت، ابتسم السيد توم من هذه الدعابة المرة الموجهة له من صديق وزميل وقال نعم أنا موافق وميعادنا غدًا للاختبار، خرج السيد دار غاضبًا ورزع الباب خلفه تعبيرًا عن غضبه من السيد توم ورحل.

إليسون، فشل كل من حاولت سحبه إلى فراشها في مضاجعتها حتى السيد توم الذي قضي ليلة كاملة بجوارها على سريرها إلا أن الليلة مرت بسلام من جهتها لمدى إخلاصها لرئيس المخابرات الألمانية التي تكن له كل الحب وكان حبه لها غريبًا فبالرغم من جمالها

وعظيم رقتها ومدى أنوثتها إلا أنها تريد الرجل العنيف الذي تدمع عيونها أمام نظراته المتسلطة الحادة والنوم معه ليس درسًا في الحب والغرام بل ماتش في العنف والمصارعة أي أن أصابعه تعلم على كل جزء من جسدها الوردي الهايف كغصن بان وكان جماعها مع هذا العشيق بمثابة دواء لروحها وجسدها وتستعيد نشاطها وتأمر مرة وتخضع مرات.

تفرغت دينا لعملها تمامًا بعد رحيل ابنتها، ما زالت التهديدات تطاردها وأعلن موتها وصورة لها وهي غارقة في دمائها في حجرة مظلمة ليس بها أثاث ولا لون ولا نافذة كان هذا من إخراج كوين ليثبت موتها وبالتالي يقف التهديد لأنها قتلت وهذه صورتها التي اشمأزت منها إليسون عندما شاهدتها وغضب بيتر وأراد التحقيق فيمن قتل من تعمل لديه كمديرة أمن، ولم يهتدي إلى القاتل رغم جمعه كثير من المعلومات عنها وعن نشاطها ولم يفلح، نزل إلى الجراج ليستقل سيارته ورن تليفونه عن مساج وقرأ فيه أنا موجودة خلفك التفت دون قصد فوجد دينا في ركن الجراج بشعر أسود قصير، تقدم إليها مستوحشا مندهشا من أنها هي بعينها دينا لم تقتل ولم تمت، احتضنها بشوق وسألها عن أخبارها وهل وجدت ما تبحث عنه من مستندات تثبت إدانة الألمان في تحطيم الطائرة وتهديدها بالموت، وكانت إجابتها بالنفي لكنها لم تعدم الوسائل وستصل إلى ما تريدل أنها لا تعرف الفشل وليس في الفشل في قاموسها من معني، ناولها أوراق،وملف كمبيوتر وقال هذه الأمانة تركها لك السيد توم

قبل اختفائه وقال إنك طلبتيها منه وهرعت لأقرب كمبيوتر وفكت الشفرة وإذا بالجزء الثاني من التهديدات الروسية التي أزعجتها وأزعجت كل الـ سي آي أيه والتهديد بقتلها كان مخطط روسي وليس أمريكي ولا ألماني وقد حصل عليه السيد توم بعد تهديد السيد دار إليه وسحب بعض مهامه كمدير الـ سي آي أيه لكنه تسحب إلى داخل غرفة العمليات واستطاع الحصول على هذه المعلومات التي منعت عنه بعد أن تسلمت إليسون مهام إدارة أقسام الـ سي آي أيه.

وعملت إليسون طبقا للسياسة الأمريكية مع الإخوان المسلمين الذين أفرج عنهم مؤخرًا صحيح أن الإدارة الأمريكية ومؤسساتها النافذة كالاستخبارات ووزارة الخزانة ومستشارة الأمن القومي تتعامل وفق خطوط واضحة ومتفق عليها، في كثير من الأحيان قد تتعارض الرؤى وربما القرارات، ناهيك بلعبة تقسيم الأدوار الشهيرة بينها.

على هذا النحو، يبدو من الأمور العادية وبشدة أن يهاجم الرئيس دونالد ترامب الإخوان ويعتبرهم إرهابيين، بينما يري السي آي إيه أنهم جماعة مهمة للمصالح الأمريكية يجب دعمها وربما استخدامها لزعزعة استقرار مصر أو غيرها، أو الضغط عليها في لحظة، وفي مواقف بعينها يهاجم الكونجرس أو البيت الأبيض الإخوان قصدًا، لأجل أن تتمكن الاستخبارات من تحقيق مرادها في ملف ما يتعلق بالجماعة.

هكذا تدور الأمور تجاه الإخوان في واشنطن، الدعم الاستخباراتي من جانب الـ سي آي إيه لا يزال على المنوال، فيما أن الهيئات الأمريكية الأخرى تتبني مواقفها حسب المصلحة، بالقطع هناك أصوات ليبرالية

في واشنطن تعي تمامًا خطورة الإخوان ودورهم في خريطة الإرهاب العالمي وعدم الاستقرار بالمنطقة، غير أنها لا تحبذه إلا حناجر مبحوحة لن تُسمع وسط ضجيج المصالح للإمبراطورية الأمريكية.

قيادي الإخوان السابق، ثروت الخرباوي، له رؤية مسجلة عن لعبة الأدوار الأمريكية تجاه الإخوان، يقول فيها: "لن يدرج الكونجرس الإخوان على قوائم الإرهاب، والهدف من المناقشات في هذا الشأن داخل الكونجرس أن تحصل المخابرات الأمريكية على صفقات بشكل أكبر من الجماعة وفروع التنظيم كحماس وغيرها في دول العالم".

"الإدارة الأمريكية ستلجأ إلى إدراج بعض الحركات التابعة للجماعة مثل حسم ولواء الثورة وغيرهما على قوائم الإرهاب، لكن لن تدرج اسم الإخوان بشكل صريح على قوائم الإرهاب".

"هناك عدد من أعضاء مجلس الكونجرس الأمريكي يري أن الجماعة إرهابية وجميع الجماعات الإرهابية تستقي فكرها من الإخوان، لكن في النهاية القرار يكون بعدم تبعية هذه الحركات للإخوان لأن هذا الملف تابع للمخابرات الأمريكية".

وينقل الخرباوي، في شهادته عن ناشطة أمريكية من أصول مصرية تدعي "سينفيا فرحات"، أنه أمدها بمستندات وكشف لها وقائع تكشف إرهاب الإخوان، وأنها بدورها نقلت هذا إلى أعضاء بالكونجرس، إلا أن المحصلة ظلت "صفرًا"، لأن "الـ سي أي أيه لا تزال في أمس الحاجة إلى الإخوان لتنفيذ مخططاتها في منطقة الشرق الأوسط".

وقبل عامين تقريبًا تم تداول وثائق وتقارير ومحاضر سرية تربط بين

الإخوان واستخبارات دول أجنبية، سواء عبر التعاون المباشر أو الرصد من جانب هذه الأجهزة المعلوماتية الحساسة.

هذه الوثائق، وبعضها رفع السرية عنها، كما هو الحال مع وريقات هامة نشرتها الاستخبارات الأمريكية، تعود إلى العام 1986، وهي تقطع بلا أدني شك بأن الجماعة كانت تجتهد بشدة للتحالف مع الأنظمة الحاكمة بالرضا أو بالابتزاز أو بالإجبار، ناهيك عن ضلوعها في تنسيقات خارجية مع أجهزة أمنية.

أما في وثائق الاستخبارات الأمريكية، الـ سي آي أيه، فكان هناك تأكيدات قاطعة على أن أمنيين من واشنطن كانوا التقوا عناصر إخوانية مصرية وأردنية وكويتية وفلسطينية وسورية بشكل منتظم خلال السنوات الأولي من الثمانينيات، مع توصية قاطعة بأن الجماعة وإن كانت غير مأمونة الجانب فيما يخص الالتزام بتحالفاتها، وإن كانت ليست ببعيدة عن أفكار الجماعات الإسلامية العنيفة في هدف إقامة دولة الشريعة الإسلامية على المدى البعيد، فإنه من الأولي احتوائها والتواصل معها لتجنب خطرها على الأمن القومي الأمريكي والمصالح الأمريكية بالمنطقة ومصر.

ذلك إنما يؤكد عددًا من الحقائق، أهمها أن الجماعة ومنذ قديم الأزل لا تسعي إلا لتقوية نفوذها بغض النظر عن تجاوز ذلك للثوابت الوطنية للدول التي تحيا وتعيش فيها، وأن فكرة الدولة الوطنية ذات الحدود والسيادة، والتي لا يجب أن يتم طعنها في ظهرها بالتواصل مع استخبارات أجنبية غير واردة كأساس في الأدبيات السياسية الإخوانية.

وعمومًا فإن عشرات الكتب والشهادات والأبحاث، تفسر سر تغلغل الإخوان في الغرب بشكل عام، غير أن لكتاب "مسجد في ميونخ"، مكانة خاصة بينها، حيث يؤصل لفداحة الخسائر الأمريكية والأوروبية جراء التواصل الاستخباراتي مع الجماعات الإسلامية السياسية.

للوهلة الأولي، قد يظن البعض أن العنوان العريض للكتاب يشير كغيره من الكتب الألمانية الصادرة في العقدين الأخيرين، إلى قصة الوجود الإسلامي اللافت بألمانيا، فيما يخص قضيتي الاندماج والإسلاموفوبيا.

غير أن العناوين الفرعية للكتاب تفصح عن مضمونه الأساسي، إذ تتحدث عن "النازيون، والاستخبارات، وصعود الإسلام السياسي في الغرب، فضلًا عما أسمته الجذور السرية لهجمات الحادي عشر من سبتمبر 2011، والتي يعود مؤلف الكتاب، الألماني شتيفان ماينينج، في تحليلها، إلى الفترة النازية، مرورًا بالحربة العالمية الثانية، والحرب الباردة، وحرب أفغانستان، بينما يركز أيضًا على علاقة أجهزة الاستخبارات كالـ"سي أي إيه" الأمريكي، والـ "كي جي بي" السوفيتي، والـ"شتازي" النازي، بالجماعات والحركات الإسلامية، سواء الدعوة أو الراديكإلية "كل حسب حقبته التاريخية"، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين وتنظيم القاعدة.

من السطر الأول في الكتاب، ينحاز المؤلف لفرضية أن جماعات الإسلام السياسي قد سُمح لها، منذ عقود بعيدة، بالانتشار في أوروبا والغرب، وتحديدًا في ألمانيا، من دون أية قيود، لتحظي في رأيه برعاية مباشرة من أجهزة الاستخبارات والأمن، من أجل استخدامهم في تحقيق

أهداف إستراتيجية أو مرحلية، تخص البلاد التي تواجدت فيها. لكن وفي المقابل، لم يهتم أحد بأهداف هذه الجماعات، وتحولاتها الفكرية، حتى غدت فجأة وحشًا، انتفض على ربيبه، وأشعل حربًا شاملة ضده.

اتصل كوين بالدار لتبليغه عن سفره مع السوريين المفرج عنهم مُؤخرًا وهم لا يعرفون أني أعمل مع الـ سي آي أيه وقلت لهم عملت في العراق مع المختار قائد التنظيم في سوريا وهو الآن موجود في سوريا وطلبت منهم أن نقابله فوافق الدار على أن يستمر الاتصال به دائمًا، اتصلت أدا الصحفية في سفارة أمريكا بدينا وطلبت مقابلتها وتم اللقاء في بيت بيتر حيث تقيم دينا وجاءت مع مميت التركي وطلبت مساعدة دينا في العثور على أكسل صديق مميت فأكدت لها أنها لا تعرفه ولا تعرفه ولا تعرف مكانه لكن ستحاول وستتصل بها وأظهر لها مميت صورة صديقه أكسل وطلبت دينا في المقابل أن تدلها عن أحمد السوري فقالت أعرف أنه مع زوجته في أمستردام ويعملون في الجامعة هناك، عادت دينا إلى مكتبها واتصلت بدار وقالت أحمد وزوجته في أمستردام قال لها دار عليك بالذهاب إليهم هناك واتصلت بصديق سوري كان يعمل معها في العراق وتواعدي في أمستردام، توجهت فورًا إلى موقفه في العاصمة الهولندية وبعد حديث اللقاء قال لها إن زوجة أحمد خرجت التو من منزلها، طلبت دينا من صديقها أن يذهب ويتأكد من أنه هو من نبحث عنه وذهب السائق وطرق الباب سائلا إن كان منكم من سأل عن تاكسي وتأكد أنه الشاب الذي يبحثون عنه وعاد إلى دينا وبعد برهة خرج أحمد مع كلبه الصغير ليمشي معه حول البيت برهة

وأوقفه شابان وقادوه إلى سيارة وذهبوا لكن دينا دخلت بيت أحمد من الخلف كاسرة مربع زجاجي من الباب بمسدسها ودخلت تبحث وجدت الكمبيوتر المحمول فحملته مع بعض الأوراق لكنها فشلت في فتح الخزانة الحديدية تحت مكتبه، وسمعت صوتًا قادمًا اعتقدت أنه أحمد ودخل رجلين على الخزانة الحديدية وكأنهم يعرفون البيت وحوائجه وفتحه أحدهم وحمل ما يكن حمله من مستندات وعند خروجهم لاحظ أن الزجاج مكسور إلى الداخل أي أن الذي كسر الزجاج موجود في البيت الآن ورفع أسلحتهم وبدأ العد لقتل من سيجدونه ولاحظ أحدهم أنها سيدة تقفز من شباك المطبخ وتابعتها طلقاتهم النارية ولم يصيبها أحد وزاغت البنت وخلعت شعرها المستعار فبدت شقراء لامعة واختفت بين جمهور الباعة والمشترين هرعت إلى صديقها العامل على التاكسي وطلبت منه أن يسرع من هذا المكان ولم يجيبها فزغدته في كتفه لكن رأسه سقطت إلى الخلف وظهر لها واضحا أن الرجلين هم من ذبح صديقها وخرجت من التاكسي لا تلو على شيء بل تهرب من هنا. وكانت هذه اللحظة أن تختط لمستقبلها مع المحامي ستيف وتعود إلى أمريكا لتربي ابنتها وتترك ما شبت عليه.

* * *

وقفت السيارة التي بها كوين في منتصف الطريق عند أحد أقارب شاب سوري وكانوا في بلاد الصرب ونزل الجميع ما عدا كوين الذي حاول استكشاف المكان وعاد الجميع حاملين عدة صناديق وضعوها في سيارة أخرى وطلب من كوين أن يترجل ويركب السيارة معهم فتح كوين

أحد الصناديق التي اعتقد أن بها سلاح وقال لهم لن تستطيعون العبور إلى سوريا بالسلاح فقال أحدهم لا نحمل سلاح وشاهد كوين ففي إحدى الصناديق كمامات حرب زجاجات مليئة بسوائل ممكن أن تكون كيمائية وأخذ لكمة على مؤخرة رأسه فخر ساجدًا وربط وكمم بالشرائط اللاصقة وترك في ركن السيارة وقال أحدهم لن نذهب إلى سوريا سنعود من حيث أتينا، لم يقاوم كوين ولم يبدِ أي امتعاض عن وضعه القرفصاء مكتف الأيدي والأرجل والفم.

يزداد وضع دينا سوءًا كل يوم اتصلت بإليسون تطلب منها المساعدة، إليسون التي عملت معها في العراق ممكن أن تفهم وضعها وأبلغتها عن مقابلة فوافقت إليسون على الفور وأبلغت عميلها الروسي أو عشيقها وقال لها اذهبي إليها وتحدثي معها وان فاتحتك في أن لنا علاقة بأحمد السوري أشعلى سيجارة وستجدين طلقة مسددة في رأسها ونرتاح منها أما إن لم تتحدث معك عن أحمد وعلاقته بنا اتركيها وشأنها، أما دينا كان لها وضع معاكس تمامًا بعد أن شاهدت صورة أحمد في إحدى بارات برمودا على المحيط الهندي وعملت فكرها بين هذه الصورة السياحية وأقوال إليسون حول أمنيتها أن تذهب لتعيش على هذه الجزيرة إذا هناك علاقة بين أحمد وبين إليسون العميل الروسي الذي سجل لها حديث ممتع مع أحمد وهددها بأن يفضح سرها إن لم تتعاون معه وتحت تهديده رضخت إليسون وأصبحت تعمل لحساب الروس تارة وأخرى لحساب الولايات المتحدة وتزداد خزينتها بالمال من كل جانب وحملت كتالوجات من الملابس والإكسسوارات النسائية الكثيرة

التي نوهت لدينا بأنها ستنهي حياتها في رحاب الجزيرة التي لا يقطنها إلا أغنياء العالم المتحضر، هنا وضح لدينا أن ما هي فيه من هواجس انتقامية سببه إليسون وليس توم ولا الروس أنها إليسون ذات الوجهين.

يجلس السيد توم في ضيافة السيد بيتر في صالون المؤسسة وإذ بمجموعة من البوليس السري تحوطه باحثة عن الشيبس الذي سجل عليه الجزء الثاني من المستندات لكنهم لم يعثرون على شيء معه لأنه قد زحلقها في جيب سترة بيتر دون أن يشعر وسلمها الأخير إلى دينا والتي اتخذت اللازم في تبرئة توم ممّا نسب إليه، وغادر المكان مع بيتر وفي هبوطهم بالأسانسير هجم عليهم مجموعة مسلحة ترتدي السواد على الوجوه وجذبوا توم إلى الخارج مقيدا داخل سيارة وهرعت بهم إلى مكان معلوم وفتح الباب الالكتروني وإذ بالرهبان اليهودي في انتظاره مبتسما، وقال له انها الطريقة الوحيدة لكي لا تذهب إلى أمريكا لتدخل السجن هناك والآن عليك الاختيار: إما أن تذهب إلى السجن وإما أن تلجأ إلى دولة إسرائيل، ابتسم توم عن شارب كث وذقن مهذبة ولم يحرك عينيه، تركه الرهبان اليهودي وخرج بناء على أمر من سيدة مستقيمة الظهر عليها ملابس حيادية جلست أمام توم وقالت بلهجة جافة هل تريد اللجوء إلى دولة إسرائيل قال دون تفكير لا لا أريد أن ألجأ إليها أو ألجأ إلى أي بلد آخر، قالت وفي هذه الحالة علينا أن نسلمك إلى السيد دار لتحاكم في الولايات المتحدة نظر إليها توم بعيون الثقة والتحدي وتركته السيدة وخرجت وأغلق الباب عليه مرة أخرى.

العمل بوجهين أو القتل وفي أحسن الأحوال المعتقل هكذا قضي على

سالفاتور دي فرانكو واليوم السيد توم، السؤال هو إذن من هو عميل الـ "سي آي إيه"؟

يقوم ضباط العمليات في "سي آي إيه" بتجنيد أناس لهم قدرة على الوصول للمعلومة، والتعامل معهم، هؤلاء الجواسيس عملاء يوفرون معلومات مهمة عن بلدهم لمساعدة أميركا، وهم يتعرضون لمخاطر جمة في حال كشف أمرهم، من بينها الإعدام.

جميع ضباط وكالة المخابرات المركزية يجندون العملاء ويتعاملون مع بعض الأشخاص الذين يعملون لدي "سي آي إيه" يجندون عملاء ويتعاملون معهم، وهذا عمل ضباط العمليات.

عدد الموظفين في الوكالة سري، لكن مجموعة متنوعة من الوظائف المتوفرة بها تشبه تمامًا هذه الخاصة بالشركات الكبرى، كمحللين وعلماء ومهندسين وخبراء اقتصاد ولغات وغيرها.

جميع ضباط "سي آي إيه" هادئون وغامضون ويعيشون متخفين ويكذبون بشأن عملهم بعض الضباط يعيشون حياة سرية، لكن كثيرًا من موظفي الوكالة ليسوا كذلك. البعض يفصح عن عمله مع "سي آي إيه" لكنه يرفض الخوض في التفاصيل، موظفو "سي آي إيه" أناس عاديون يعيشون حياتهم مثل بقية البشر، لكنهم يتحملون مسؤولية غير عادية.

لدي "سي آي إيه" سلطة إنفاذ القانون وجميع ضباطها يحملون السلاح غالبًا ما يخلط الأميركيون بين مسؤوليات مكتب التحقيقات الفيدرالي "إف بي آي" ومسؤوليات "سي آي إيه"، لا تملك الوكالة سلطة إنفاذ القانون ولا تجمع المعلومات عن المواطنين الأميركيين، المسؤولية

الوحيدة لوكالة المخابرات المركزية هي جمع المعلومات الاستخبارية والمعلومات في الخارج، مكتب التحقيقات الفيدرالي هو الوكالة الحكومية التي تحقق في الجرائم داخل أميركا.

الغالبية العظمي من ضباط وكالة المخابرات المركزية لا يحملون أسلحة، وتعمل الوكالة بشكل مستقل ولا تخضع للمحاسبة، ووكالة الاستخبارات المركزية مسؤولة أمام الشعب الأميركي، وتخضع للرقابة من الممثلين المنتخبين بالولايات المتحدة، بما في ذلك الفرعان التنفيذي والتشريعي، وفي الداخل يقوم مكتب المفتش العام التابع لـ "سي آي إيه" بإجراء عمليات تدقيق ومراجعة وتحقيقات مستقلة لبرامج الوكالة، بهدف كشف وردع الإسراف والتبذير وإساءة الاستخدام وسوء الإدارة.

العمل في وكالة المخابرات المركزية سيحقق لك الشهرة والتقدير، لايعمل الرجال والنساء الذين يخدمون بلدهم بإخلاص من أجل الشهرة أو التقدير. إنهم يفعلون ذلك بدافع حبهم العميق والتزامهم تجاه بلدهم، وإيمانا منهم بأن أميركا أولا. عند التمسك بهذه المبادئ لا يوجد مجال للشهرة أو التقدير، وكالة الاستخبارات المركزية لا تصنع السياسة، تتمثل مهمتها الرئيسية في جمع وتقييم ونشر المعلومات الاستخبارية الأجنبية للرئيس وكبار صناع السياسة في الحكومة الأميركية، كي يتمكنوا من اتخاذ قرارات أمنية وطنية مستنيرة، جميع ضباط سي آي إيه يجيدون لغات متعددة، إن التحدث بلغة أجنبية ليس شرطًا مُسبقًا للعمل في وكالة المخابرات المركزية الأميركية، وليس جميع موظفي الوكالة مزدوجي اللغة. ومع ذلك، فإن القدرة على التحدث

والترجمة وتفسير اللغات الأجنبية أمر حيوي لمهمة الوكالة، ضباط سي آي إيه هم حراس أسرار الحكومة الأميركية، والعمل في "سي آي إيه" لا يمنحك وصولا غير محدود إلى الأسرار الحكومية، والوكالة تلتزم بسياسة صارمة فيما يتعلق بالمعلومات السرية.

* * *

دينا بيري على حق ودائمًا لا يصدقها أحد ودائمًا تظهر المشاهدات أو الملابسات صحة حدثها وصدق نواياها دون دليل لأن دليلها الوحيد هو قلبها الهادئ الجميل الذي يتسع الناس كلها، شكت في إليسون بأنها صاحبة من يزيع أسرار الـ سي آي ايه وليس لديها من دليل وقالت ذلك للسيد توم الذي رفع حاجبيه ومسح على شاربه وشد على ذقنه وقال ليس لديك الدليل يا دينا قالت بل أشعر وأحس وجمعت الأقوال والحركات والهمسات قال كل هذا ليس دليل على إدانتها أنا لا أقول إنها ملاك ونحن شياطين إلى أن يثبت بالدليل القاطع لأن عقوبة هذا هو الإعدام ليس إلا، احمرت عيون دينا الغزلانية ولكنها لم تدمع وقالت علينا بأدا ورئيسها الألمان لمتابعة هذا التحقيق لندري كيف ندين إليسون ويظهر أني على حق وفعلا استدعي توم كل من اميلينا العاملة النشطة في المخابرات الألمانية وأندرياس مديرها، اجتمع الأربعة في مكتب توم وعرضا موضوع الشك في إليسون وطلب الجميع وضع ميكروفون على إليسون لمتابعة تحركاتها وكان السيد توم الوحيد الذي لديه القدرة لعلاقته بألسون وفعلا ذهب إليها ليلا في منزلها وهو قلقا وسألته ماذا بك فقال بعد أن أسدل ستائر المكان وقال سأرحل غدا،

اندهشت إليسون قائلة إلى أين قال إسرائيل وأتيت لوداعك ولا أحد يعرف ذلك إلا أنت فأطبقت عليه وحوطت بذراعيها عنقه وألقت بصدرها على صدره وقدمت له نخب سعادتهما وذهبا إلى السرير ليحملهما إلى السحب العليا وسبحت في أحضانه وأغمضت مقلتاها وفتح هو مقلتيه وذهب لحقيبتها ليضع فيها شريحة الكمبيوتر التي ستكشف سرها وعاد إلى الأحضان تتلقفه وهو يتمني أن تكون دينا ليست على حق ولو مرة في حياتها. استودعها وذهب إلى عمله ليعلن أنه نجح في مهمته وبدأ دينا بيري تتابع تحركات إليسون على شاشات الرادار، لم تبدِ إليسون أي إزعاج بل خرجت من منزلها واستقلت سيارتها ووضعتها أمام مترو الأنفاق واستقلت قطار الشرق وهبطت خارج برلين لتستقل سيارة سوداء من موقف السيارات عليها مفتاح تحت صاج العربة واخترقت بها الغابة تلو الأخرى وغابت عن الأعين والرادارات لأنها أزاحت شريحة التليفون التي ترشدهم عن موقعها لكن ما وضعه توم في حقيبتها ما زال يعمل وهبت طائرة على شاكلة الدرون لتحلق فوقها إلى أن وصلت إلى منزل شبه مهجور ويطلق عليه بيت الاستراحة تمهذهه المخابرات الروسية ووقف رئيسهم في استقبال عشيقته الأمريكية متخشبا مندهشا من وصولها إلى هذا البيت السري جدا واشتد الخلاف بينهما وإذ بالشرطة الألمانية تحاصر المكان وركعت إليسون وركع القائد الروسي فلاديمير تحت تهديد سلاح الشرطة التي قادت الاثنين إلى التحقيق، وكانت المفاجئة أن السيد دار هو المحقق في جريمة إليسون، أنكرت كل ما نسب إليها وقلبت الحكاية من أنها

ذهبت إلى فلاديمير لكي تقنعه بالعمل معها وقد كان منذ اثني عشر عاما وهو يسلمها ما تريد عن روسيا وهي تسلمه جسدها في المقابل، أبرقت عينين دار وانفرجت شفتيه كالجرح وتركها وخرج.

* * *

دخل نزار حارس كوين عليه بطبق من الفاصوليا واللحم والأرز ولقمة جافة، حاول نزار أن يعطيه جرعة ماء فرفض خوفًا من تسممه حاول كوين الحديث إليه والتودد له لأنه كان أقل عنفا من الآخرين بحكم مولده في ألمانيا ومستوي تعلمه قال كوين ما المادة التي في البرميلين قال هذه ماده كيماوية تخلط مع مواد أخرى لصناعة غاز السارين قال كوين هل هي مادة سامة، اعتدل نزار وبدأ في شرح السارين الشديد الخطورة واستعمله جيش بشار في سوريا وقتل عديد من الأطفال والكبار وكل من يستنشقه أو يلامسه، أعتقد أن هناك تجربة إما على يهودي أو جندي أمريكي لكن قال الحارس الحمد لله وجدنا أمريكي مشيرا إلى كوين فقال كوين وهل يذكر اسم الله عندما تقتلون الناس قال نحن نذكر الله على كل حال في الأخبار السعيدة والأخبار السيئة، قال كوين وإذا أحدًا منكم استنشقه أو لامسه، هل لديكم من علاج قبل أن يموت؟! قال نزار أكيد في هذه الحقيبة عدد من السرنجات بها مادة ستوزع علينا لحقنها لنا على كل حال، كن مطمئن لأني ضد كل هذا ولا أعترف بهذه الصيغة الهمجية فسنلعب لعبة سويًا لأتمكن من حقنك إياها دون أن يشعر أحدًا وبالتالي لن يؤثر في جسدك السرين أو لن تصل إلى الموت، وفي قدوم الشباب لبدأ تجربة المخترع السوري قادوا

كوين بأغلاله إلى معمل التجارب الذي أنشأ خصيصا لهذا الغرض من الزجاج القوي، وبكلتا يديه أنقض كوين على حراسه لكما وسبا وأوقعوه على الأرض وارتمي عليه نزار ليقيد من حركته وإذ به يخرج سرنجة ويحقن بها كوين دون أن يشعر أحد، حملوه مُقيدًا إلى الغرفة الزجاجية وبدأ خبيرهم بتسريب الغاز داخل الغرفة دون لون أو رائحة وإذ بكوين يبدأ في تلويح حدقات عينيه يمينًا ويسارًا وبدأ فمه في إلقاء رغاوي بيضاء ممّا يشهد أن العملية تسير على ما يرام وخرج الجميع وتركوه يواجه مصيره وهو ملقى على الأرض ووجهه إلى الزجاج ولم يغمض عينيه، كشفت سرقة السرنجة والتي أبدل نزار حقيبته بآخر واعدم الآخر بطلقة نار سددت في رأسه من قائد الفريق.

ايميلينا اتصلت بدينا وطلبت منها أن تبحث عن تليفزيون لتشاهد الخبر العاجل وزاحمت دينا بار في الطريق ورأت على الشاشة كوين يرغى ويزبد من فمه وهو مقيد على بلاط الغرفة الزجاجية وأغمي عليها من هول المفاجأة واتصلت بإيميلينا وطلبت أن تشاهد الفيلم من أوله وذهبت إليها دينا على عجل وعرضت الفيلم مرات أمام دينا وعليهما معرفة المكان، تنبهت دينا إلى شكل وماركة أرضية الصندوق الزجاجي وطلبت من الشرطة معرفة من اشتري هذا البلاط الأرضي وحدد البحث ألف وخمسمائة مشتري ومنهم ثلاثون مشتري حول المكان قررت دينا وإيميليا زيارة الأماكن وفعلا زارت إلى أن وجدت مكان مهجور اشتري حديثا هذا البلاط غالي الثمن ودخلت مع رفيقتها تبحث وتبحث إلى أن وجدت الصندوق الزجاجي وكوين ملقي على الأرض دامعا يخرج

الرغاوي من فمه وشاهدت أصبعه يتحرك بصعوبة فصرخت لإيميلينا أن تشاهد معها وقد رمش كوين بعينه وفهمت دينا أنه ما يزال على قيد الحياة وطلبت الشرطة ونقلوه إلى مستشفى وجلست دينا بجواره أمام السرير وحضر السيد توم بجوارها محملقين في وجه كوين.

طلب السيد توم من السيد دار أن يستجوب إليسون لآخر مرة لعلها تعترف وفعلا وافق ودخل عليها في الغرفة وطلب منها الجلوس ورفضت وأصرت على الإنكار ممّا أغضب توم وكان في غاية الغضب منها لأنه كان متأكد من أنها كاذبة دون دليل هنا كانت كفتها أثقل ومع ما وصل إليه السيد دار وقالت إليسون لهم إنها ستكون مساعدة لهم أكثر من حبسها هنا ولابد من مقابلة فلاديمير ومواجهته بكل شيء وسترون كيف كان يعمل معي منذ اثني عشر عاما وكنت أحصل منه على كل المعلومات التي كنت في حاجة إليها وأنتم تعرفون كيف بعت جسدي له في صالح بلادنا ونجحت، وقف قيد فلادمير أمام إليسون وتحدث الاثنان بعيونهم وأتهم فلادمير بالتجسس، أما إليسون فلم تكن حرة طليقة بل رافقها حارس في ذهابها وايابها أربعة وعشرون ساعة في اليوم ولم تحمل سلاح ووضع كل اتصالاتها تحت المراقبة.

عزيز أستاذ الكيمياء في جامعة برلين من حلب بسوريا وهو الذي ساعد في عمل السرين ووضع ساعة الانفجار وتفرق الشباب في المترو ووضعت العبوات وانضبطت ساعة الانفجار في محطة مترو "هاوبتبانهوف" وانتظر الجميع ساعة الانفجار وهرعت إليسون مع حارسها إلى مكتب عزيز في الجامعة وكان عنده زائر سوري يسترشده

في عمل ساعة الانفجار التي لم تتحرك بعد وعندما دق باب مكتبه اختفي الزائر على أن يتم تفجير العبوات باليد ودخلت إليسون وحارسها وقالت له دون مواربة أنك من أنتجت سائل السارين وأعرف أنك عملت في العراق فلا داع للإنكار اليوم سيحدث انفجار في إحدى المدن الأوربية وأنت تعرف أي مدينة فقل وإلا أتهمتك بالتخابر وزعامة مجموعة من الإرهابيين لم يجب وأصر على الإنكار فطلبت من حارسها سلاحه فنظر إليها مستغربا فقالت بعينيها لتهديده فقط، وأعطاها مسدسه ورفعته إلى جبهة عزيز وقالت لديك خمس ثوان لتجيب 1..2..3..4.. وفي الخامسة لوحت ذراعها إلى حارسها وألقت في رأسه برصاصة قاتلة وصرخ عزيز وقال مترو الأنفاق محطة "هاوبتبانهوف" وأطلقت رصاصة على صدر عزيز لاحقتها باثنين مات على الفور وقفت إليسون بين الجثتين تحضر لسيناريو تحكيه وصوبت المسدس إلى كتفها ووضعت طلقة تعرف هي مداها ووضعت المسدس في يد عزيز وألقت بجسدها بجوار حارسها، أبلغت إليسون عن الحادث وأن مكان الانفجار هو المطار وليس المترو وتوجه البوليس إلى المطار لأخلائه وهرعت دينا إلى مترو الأنفاق تبحث عن نزار السوري الذي حقن كوين وبصورته التي أخذتها من عند كوين تبحث وتتطلع في وجوه المسافرين لعلها تلمحه وبعد جري ورمح في الأنفاق وتعطل المترو وسألت قيل لها هناك حادث على ما نعتقد فقفزت بين قضبان العربات ورمحت لعل هذا هو ما تبحث عنه، إن حاسة شمها للأحداث فظيعة، دخلت إليسون التواليت وأخرجت الورقة التي وجدتها على

سيارتها واستمعت بتليفونها الشريحة التي اندست في هذه الورقة وأغلقت تليفونها وأخرجت الشريحة وألقت بها في عين المرحاض وخرجت لتغسل يديها وكانت أمام المرآة سيدة خمسينية رشيقة قالت لإليسون دون سابق معرفة هل فهمت ما استمعت إليه؟ وكان سؤالًا عجيبًا من سيدة لا تعرفها، قالت إليسون لن أفعل قالت السيدة ستخسرين كل ما جمعتيه من أموال ولن يكون لك حماية روسية وليس أمامك إلا محاكمة أمريكية والآن عليك الاختيار أما أن تقتلي عزيز وإما أن تقتلي وكانت خطتها في قتل عزيز في مكتبه هو وحارسها.

ما زالت دينا ترمح ركضا بين قضبان المترو وفاجئها نزار بضربة من ماسورة حديدية لوحت يدها وكان ممكن أن يقتلها لكن استلطافها له جعلته يضرب على يدها لعلها تساعده في هذه المصيبة التي وضع فيها عنوة، رجحت كفه في صفها وعدم انفجار العبوة، وافقها وجري ليتأكد من أن زميله لم يشغل لحظة الانفجار وجاء القطار الموعود وأفرغت دينا طلقات رصاصها على القطار الذي لم يتوقف وكان مُسرعًا لكن رصاصها أصاب زميل نزار وقتل ولم تنفذ العملية الداعشية التي كان ممكن أن يضيع فيها مئات من الألمان، وحملت دينا رأس القتيل وضمتها إلى صدرها ماسحة على وجهه بيدها مرددة عليه فاتحة الكتاب المبين عن حب واقتناع منذ أن كانت في إسلام آباد ولبنان والعراق ومعظم بلاد الإسلام التي كانت تقدس هذا الدين عليها كما كان يفعل سالفتور حبيبها وأبو ابنتها الذي شنقه المسلمون في باكستان وهو يردد الله أكبر الله أكبر وعندما خرس رفع أصبعه متمتما ومات.

ذهبت دينا بيري إلى المستشفى للاطمئنان على كون أو الوقوف على حاله ونبأها الطبيب بأن إصابة المخ خطيرة وإن أفاق أو عاش فيظل المخ على حاله، دمعت عيني الجميلة وجلست بجواره تمسح على يديه بالكريم وتضعه على شفتيه الجافة وهي دامعة إلى أن دخل عليهما السيد توم وجلس بجوارها مُكتئبًا حزينًا على كون، ولم تفت هذه الملاحظة على دينا التي لم تجد يوما السيد توم في الحالة من الحزن على الآخرين وسألته عن السبب فقال ما لم أكن أرغب في أن أبوح به لأن حكاية كون غريبة في يوم ما وجدت كون مُشردًا وهو يمهذه من العمر خمسة عشر عامًا فآويته وعلمته وتدرب في الـ سي آي أيه وأصبح رجلا كما عرفتيه وسال دمعه وطلب من دينا الخروج معه لأخبارها عن نبأ اختيارها لتكون مساعدة المدير وتتولي بعض مهامه لكنها رفضت وشكرته لأنه لا تتحمل أكثر من هذا وأنت تعرف بأني شبيت على الـ سي آي أيه، عادت دينا لوداع كوين.

* * *

فلاديمير تحت استجواب السيد توم لمشاركته إليسون في مغامراتها التي لم توفق فيها والتي كانت تدار في صالح الروس فقط وقال فلاديمير أنا الذي وزيت إليها أن تخرج معك لإيقاعك وليس حُبًا لأنها لا تحب أحد بل محركها المال فقط قال السيد توم أنت الآن عليك أن تستمع لي جيدا أنت متهم بالعمالة وتعرف عقوبتها وسأخرجك منها بشرط أن تقول لي أين إليسون؟ سأسهل لك أن تذهب لتعيش في أريزونا تحت أسم مستعار ومعك فلوس تكفيك للعيش هناك وإما أن تحاكم هنا أو في

روسيا وعليك الاختيار فتمت الموافقة فوريا وذهب السيد توم لعمله.
استوقفت إليسون عن رجلين أشداء من المنزل السري لتذهب تهريبًا إلى موسكو هذا كان اتفاقها مع مندوبة سفارة روسيا في المرحاض النسائي الجميل واستقلت معهم سيارة مرسيدس وقد جلست في شنطة العربية بعد إقناعها أن للحدود عيون لانضمامها وتستفت لمدة الرحلة وهي ثلاث ساعات ونصف وعدت سيارتهم الحدود بسلام، تمهلت السيارة لتركب إليسون في الوضع المريح وإذ بوابل من الرصاص يشق الليل الدامس إلى صاج السيارة التي تحولت إلى مصفاة وأكثر وخرج من بين الغابات من أطلق النار على السيارة وكان في مقدمتهم السيد توم الذي قاد العملية التي أشار إليه بها فلادمير مقابل الإفراج عنه، هكذا المحاكمات التي تقوم بها الـ سي آي أيه دون الرجوع إلى عدالة القانون، بل هو عدل الـ سي آي أيه فقط الحاكم بداخلها.
وعلينا أن نوضح أن استخبارات الـ سي آي أيه أنه بعد ظهور التكنولوجيا الحديثة أحدث تغيرات كبيرة في وقتنا الحاضر، وبعيدًا عن فوائدها وكونها أصبحت ضرورة ملحة في حياتنا كالهواء الذي نتنفسه، حيث لا غنى عنها في كافة مجالات الحياة، إلا إنها طرقت أبواب الناس واقتحمت عليهم بيوتهم بدون استئذان، ليس ذلك فقط بل أصبحت تتجسس عليهم دون أن يشعروا، فمن الهواتف الذكية وتطبيقاتها من مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، مرورًا بالحاسوب ومحركات البحث، وبرامج السوفت وير المضادة للفيروسات جميعها تتسلل إلى حياتك الشخصية، فهي عرضة لاختراق المخابرات، وصولا

إلى التلفزيون المنزلي، نعم فهو أيضا يراقبك، وذلك بحسب ما أفادت مجموعة وثائق نشرها موقع ويكيليكس مُؤخرًا، جاء فيها أن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية سي آي أيه، تستطيع تحويل جهاز التلفزيون المنزلي إلى جهاز تنصت وأن تخترق تطبيقات التشفير الشائعة والتحكم بأي سيارة.

الأمر لا يبدو منطقيًا إلا في أفلام هوليوود الخيالية، لكن إن صحت هذه الوثائق، فيبدو أن الخيال أصبح واقع نعيشه كل يوم، ففي أي عالم أصبحنا نعيش؟

يبدو أن مقولة إدوارد سنودن ضابط الاستخبارات الأميركية السابق، تكشف صحتها يومًا بعد يوم، فعندما قام بتسريب تفاصيل برنامج التجسس بريسم أو "PRISM " عام 2013، قال إن عالمًا لا توجد فيه خصوصية لا مكان فيه للاكتشاف الذهني والإبداع.

ماهي الـ Year Zero و 7 ault ، مجموعة كبيرة جديدة من الحقائق كشفتها ويكيليكس عن المخابرات الأميركية وقدرتها على الاختراق التي لم تكتف بتطبيقات الدردشة المشفرة مثل واتساب وتيليجرام بل امتدت للهواتف الذكية والحواسب اللوحية وأجهزة التلفاز الذكية والسيارات.

* * *

الفصل السادس

كاترين الرئيسة المنتخبة للولايات المتحدة الأمريكية، دخل عليها السادة توم ودار لتبليغها عما وصلت إليه سياسة الـ سي آي أيه وخططها المستقبلية، وقالت لهم: أأستمع إليكم أم أشترك معكم وأبدي رأي فيما تلقون على وعلى تقاريركم؟!

لم يبد أحدهما شعور لا بالراحة ولا بالسرور وظهر على وجوههم أنها امرأة ليست ككل الرجال أو الرؤساء الذين تعاملوا معهم وحاول كل منهم أن يكون مُهذبًا معها فرفعت إليهم حاجبيها وبسطت يدا قائلة تفضلي يا سادة اجلسا لتزيل الوحشة عنهما، وطلبت منهم أن يكونا صريحين معها ولا داع للف والدوران، لأن وقتها محدود وأنها ستسمع لهم وبابها مفتوح لهم دائمًا، واستلمت منهم التقرير المطول وناولته لمساعده ليضعه في الأرشيف.

وانصرف كل من السيد توم والسيد دار يجرون خلفهم خيبة الأمل في هذه السيدة التي نوهت بأنها ستغلق كثير من مكاتب الـ سي آي أيه.

ذهبت دينا للاطمئنان على كون في مكان أو مستشفى لتأهيل الجنود بعد إصاباتهم إلى العمل المدني وتحدثت مع الطبيب الذي أشار بأن كون توقف نصفه الأيمن عن العمل وأما مخه فأصابه العطب وستستمر حالته هكذا وسمح لها بالدخول عليه لتراه مُمددًا على الفراش لا حول له ولا قوة ولم يعرفها، اقتربت منه أكثر مع الممرضة وهي

تحاول العثور على كلمات يفهمها وأخيرًا نظر إليها ولامس شعرها الأصفر المنسدل على كتفيها فقالت الممرضة لقد تعرف عليك الآن وأبدي ابتسامة أو شبه ابتسامة ممّا طمأن دينا عليه وخرج معها ليتمشا في الطرقة إلى أن وصل أمام باب الخروج وأصرَّ على ذلك وحجزته دينا لكن قوته عادت إليه وانتفض وصرخ ممّا أدى إلى استدعاء الأمن ليوقفه من عدم الاعتداء وأجلسوه على السرير بحقنة مخدرة إلى أن هدأ ونام. وفي الصباح جاءه خادمه يطلب منه إن كان يريد شيئًا فقال كوين وهو يغض بصره إلى أسفل حرجًا، وقال نعم: أريد امرأة!

قال الخادم: وهل معك نقود؟

قال: نعم علينا الذهاب إلى البنك لسحب نقود من حسابي.

وذهب الاثنان في اليوم التالي لأحد الأحياء السوداء التيه في نيويورك المكتظة بالتناقضات الشنيعة إلى أن وصل إلى منزل أو شبه منزل وصعدي دور واثنين ومروا أمام غرف مفتوحة أو دون أبواب عليها ما يشبه الستائر وهي لا تستر شيء من عورات سكانها المتعاطين المخدرات والمضجعين على أسرة الحب والهوى وعرفه بفتاة وصلته إلى أخرى ودفع لها نصيبها ودخن المخدرات وشرب الجعة الثقيلة ذات الرائحة النفاذة المزعجة وتطوح على السرير دون وعي منه وتركه الرجل وغادر المكان ودخل عليهم آخر حاملا مسدس مشوحًا لكون أن يخرج ما معه من نقود وإلا أفرغ هذا في صندوقه يقصد جسده ومد يده في صدر كون وأخرج ما معه وتركه بين الفتاتين يسبح في صدورهن.

دينا بحثت عن كون ولم تجده إلا أن دلها أحد حراس المستشفى إلى

مكانه وذهبت التو لتجده غارقًا في ملكوت العفونة وانتشلته وأخذته إلى منزلها وقالت له عليك بالاستحمام جيدًا وأغلقت على نفسها الأبواب وهدهدت صغيرتها لتنام مطمئنة، اتصلت دينا بزميل لها تثق فيه طالبة مساعدتها وحضر الزميل كارل وعمل كل ما في وسعه لمساعدة الذي كان زميله في العمل دخل معه الحمام واستحم واطمأن كارل له إلى أن سهي عنه لحظات فغادر المنزل إلى محل خمور يشتري عدة علب من البيرة، إلا أن كارل تتبع خطواته إلى أن عثر عليه في محل الخمور ولم يشعر كوين بوجود كارل واستمر في التجوال بين أرفف المحل ي زاغت عينيه وداخ ووقع مغشيًا عليه أرضًا، استدعى وكيل المحل الإسعاف التي حضرت وحملته إلى المستشفى.

* * *

بوكو حرام أي التعاليم الغربية حرام، جماعة إسلامية نيجيرية سلفية جهادية مسلحة تتبني العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع ولايات نيجيريا انضم إليها الشاب سيبكو الطالب الذي أسلم وأصبح بوق بوكو حرام في نيويورك وسجل شريط فيديو مع صديق له في قلب نيويورك بتايم اسكوير وأعلن أن بوكو حرام ستفعل نشاطها في قلب أمريكا الفاشية وسجل له زميله أحمد مسعود وحصل على شريط، مسعود كان محكوم عليه بسبع سنوات سجن لكن أخلي سبيله بعد سنتين لعلاقة جمعته مع سيبكو عن طريق شقيقته التي هي في غرام مع مسعود تسلمت إلف بي آي مسعود ليعمل مرشدا لهم وكانت فرصته سانحة بتسجيل سيبكو للتقرب إلى الـ أف بي آي وفعلا وجد

المكتب الفدرالي هذه من مهام الـ سي آي أيه وجد البوليس الفدرالي في غرفة سيبكو التي نزل عليها كالقضاء المستعجل ممّا أزعج أمه وشقيقته وقبض عليهم موجهين اتهام خطير لانتمائهم لجماعة إرهابية، وجدت شرطة الأف بي آي في غرفة سيبكو مبلغ خمسة آلاف دولار وكمبيوتر عليه ما يثبت إدانته في علاقته بجماعة بكو حرام، علمت دينا عن طريق أم وأخت سيبكو في بحثهم عمن يساعدهم في هذه المصيبة وكانت المؤسسة التي تعمل فيها دينا على استعداد للدفاع عنه، ذهبت دينا مع محام المؤسسة إلى السجن للتحقيق مع سيسكو ومعرفة الدوافع لهذا وقال سيبكو أنه سيذهب إلى نيجيريا لزيارة والده الذي لم يعرفه والمبلغ الذي معي لمساعدة أبي وما الجريمة في ذلك وحصلت على هذا المبلغ من أحمد مسعود وهل في ذلك جريمة، نحن نريد مساعدتك ولمساعدتك لابد وأن نعرف الحقيقة وسعد ليس عربيا وأسمه مايكل وليس مسلما بل يعمل تبع إف بي آي و دخل السجن عن جرائمه في المخدرات التي يزاول بيعها، قال المحامي أعتقد الآن عرفت أننا نعرف كل شيء عنك وعن الويب سايت التي تملكها على الفيس بوك وتويتر، فكفي لف ودوران وستظل في الحبس لمدة سبع سنوات ولن تخرج منه.

التقى السيد توم بدينا في بيتها ولم يدهشها هذه الزيارة وقال بصورة واضحة أتعملين مستشارة للرئيسة المنتخبة؟!

نظرت إليه بتحدي وأكمل السيد توم لأن فلسفتها للأمور هي فلسفتك التي تبنيتيها مُؤخرًا وتحمل رسالة السلام ولا للحرب ولا المناوشات السياسية التي تجلب الحروب والسيدة كاترين كذلك وصل بها الأمر

أنها تريد إغلاق معظم مكاتب الـ سي آي أيه قالت دينا بتواضع وبلهجة العلمة بالأمور: إنها الرئيسة المنتخبة لست أنا يستحسن العودة إليها لمعرفة ما تريد معرفته، كانت تنتظر دينا سيارة رسمية لنقلها إلى جهة سرية ودخلت مع الحراسة المشددة وإذا بها تعبر مطبخ المطعم وعندما خرجت من باب المطبخ إلى الصالة الهادئة الإضاءة الممتلئة بالورود وطاولاتها وكراسيها المذهبة خالية تمامًا إلا طاولة واحدة تسكنها سيدة في غاية الأناقة، والذي أدهش دينا أن الصالة ليس بها لا خادم ولا متردي أوتيل ولا بار مان سمعت صوت السيدة فتقدمتن إليها وإذ بها أمام كاترين وتقدمت كاترين من دينا مرحبة وقبلتها على وجنتيها، وكان الحديث لكاترين لمعرفة أخبار عن الشرق الأوسط وإيران ودور إسرائيل في هياج المنطقة وتريد من دينا أن تساعدها في شخص ذات ثقة نعتمد عليه فيما نحن بصدده ويكون صادقا قالت دينا دون تردد الشخص الذي تبحثين عنه موجود وتعرفينه أنه السيد توم معرفته عميقة بالشرق الأوسط وزعمائه وهو رجل حق وصادق ولا يتلاعب.

طلب كوين من دينا أن يعرف ماذا حدث له؟ ولماذا على هذه الحال؟!

وعرضت دينا عليه فيديو من تليفونها الذكي وقت حبسه وبعد أن استنشق المادة القاتلة وبدأت الرغاوي البيضاء تنسكب من فمه وزاغت عينيه واستلقى على الأرض دون وعي منه، فقال كوين يعني أنت التي أنقذتني من الموت، فاحتضنته وطلبت منه أن ينام.

وخرجت لتطمئن على ابنتها.

سافر السيد توم إلى دبي بناءً على طلب السيدة كاترين.

للتعرف واستجواب الرجل الأول في أبحاث القنبلة الذرية الإيرانية وهو الدكتور رضا الذي وصل قبل السيد توم ونزل على صديقته الجميلة التي أعدت له كل لذات الإقامة السعيدة عندها كعادته وبدأ يستجيب لها ولإغرائها كبنات الحور العين في الجنة التي ذكرها وأشاد بها الله سبحانه وتعال، قادته الحورية إلى غرفة النوم وإذا به أمام رجل ذو ذقن غربي المظهر يجلس على مكتب وطلب منه أن يجلس أمامه ورفض وحاول الهروب إلا أن رجلين من الموساد لكموه في بطنه ممّا أعياه واستسلم وجلس يدخن من علبته ماركة الكاميل والسيد توم ينظر إليه بعينين ناعستين، أخرج له توم عدة صور فاضحة مع الحورية على السرير وهو عاري الجسد وهي أيضا وان ظهرت هذه الصور في إيران فالإعدام سيكون له أكيد فعليك أن تجاوب، كان لديك في حسابك البنكي ما يقرب من مائة وعشرون مليون دولار سحبت نصفهم أمس، لماذا لم يستطع المراوغة؟ وقال لشراء سلاح لحساب الحكومة الإيرانية سؤال أنت ذهبت إلى كوريا الشمالية؟

قال نعم لشراء سلاح قال له توم لا لأنك تعمل في تطوير القبلة الذرية هناك قال رضا لا أنا أعمل في السلاح قال السيد توم على كل نحن نعرف ماذا تفعل بالضبط فلا داع للإنكار أو مراوغتنا والآن تفضل.

استمع دار إلى محادثات السيد توم والدكتور رضا واستجوابه وهرع لإبلاغ السيدة كاترين بما وصل إليه هو من معلومات ناكرًا إياها لتوم، في حديثها مع دينا في المطعم عن كل هذه الأحداث لكن دينا نصحتها بأن تنتظر في اتخاذ قرارها بعد الاطلاع على تقرير السيد توم للتأكد

من صحة الخبر وفعلت، من دبي اتجه السيد توم إلى إسرائيل لزيارة أخته في المستوطنات اليهودية وشاهد من منزلها الأرض التي استولي عليها اليهود من الفلسطينيين وساءه هذا وامتعض وقال لأخته أنت كان لك موقف غير هذا من الاستيلاء على الأراضي وضم ما لا تملكون وطرد أصحابها الأصليين إلى حيث يعلم الله.

قالت أخته اليوم يختلف عن أمس أن زوجي كما تعرف من اليهود المتعصبين ليهوديته وهذه الأراضي هي في الأصل لنا وليست للعرب، لم يستطع أن يجادل أخته أو أنه رفض النقاش وفي غضون الليل خرج وعبر إلى صور المدينة إلى الجهة الأخرى حيث عربة شرطة فلسطينية كانت في انتظاره وركب السيارة وذهبا.

كوين في فراغه عند دينا نظر من خلف ستائر النافذة على الجيران والناس في الشارع وبحاسته المخابراتية لاحظ وجود رجل في النافذة التي أمام شقة دينا يتحرك بريبة فبدأ يسجل كل حركاته وسكناته في مراقبة مستمرة وحاول إخبار دينا لكنها لم تعيره اهتمام واستمر في متابعة الرجل وقرر الذهاب أبعد من ذلك بزيارة شقته وفعلا ذهب وفتح الشقة في غياب صاحبها ولم يجد شيء إلا علامة الكرسي الذي في مواجهة شباك دينا وعلامته المحفورة على السجادة ممّا يدل أن هذا المكان له وهو في وضع مراقبة دينا منذ فترة، خرج مُسرعًا وهو يعرج بساقه اليمنى وشلل ذراعه أيضًا وقابل الرجل في هبوطه من الدور الأول وساءه وجود غريب في العمارة ونهره وهدده باستدعاء الشرطة أن وجده في هذا البيت مرة أخرى، في مراقبته ليلا استقل الرجل سيارته

وبدون تفكير من كوين أخذ مفاتيح سيارة دينا وهرع ورائه من شارع لشارع إلى أن نزل الرجل أمام مستودع به عربات توزيع مكتوب عليها بالحروف اللاتينية "مدينة "بالأحمر، استمر كوين في طريقه إلى المنزل وعرفت دينا بخروجه ليلا وحاول أن يشرح لها أنها مراقبة من هذا الشخص والتقط عدة صور لمخزن التوزيع وسيارات التوزيع بما عليها من اسم "مدينة" إلا أن دينا لديها ما يكفيها من مغامرات.

أما السيد توم بعد أن استقل سيارة الشرطة الفلسطينية بعد خروجه من عند أخته نقلوه في سيارة أخرى معصب العينين مغلول اليدين ودخلوا به إلى فيلا مهذبة النباتات وفك ما حول عينيه وإذ بالجنرال منصور أمامه ودهش وتساءل عما جاء به إلى هنا وما سر المقابلة لكنه تدارك أن الجنرال الإيراني يعمل لدي الـ سي آي أيه وكان سؤال السيد توم حول مشروع إيران النووي المُوازي للمشروع الحكومي.

فقال الجنرال لا أعرف شيء عن هذا المشروع لكن أترك لي بعض الوقت لأسأل وأستفسر وأجيبك، عاد توم إلى أخته وعرفت أنه ذهب إلى الفلسطينيين ليلا ودق الباب وفتح نيابة عن أخته وكان القادم السيد الرهبان كوهين مع حراسه وطلب من توم أن يأتي معهم وذهب في سيارتهم وسجن في غرفة دون ذكر أسباب وبعد يوم حضر كوهين ليقول له نبأ لا يسر عن تفجير حدث في نيويورك على الطريق السريع وأري أن تعود إلى نيويورك لتعرف السبب، وعلمت دينا بالتفجير الذي ظهر على شاشات التلفزيون وبان لكون بوضوح أن السيارة التي فجرت عليها الحروف العربية "مدينة" وأخرج هاتفه المحمول وقارن واتجهت

شبهاته فورًا إلى جارهم الذي شك فيه وآمنت دينا أن كوين على حق، وفي دقائق معدودة تجمهر الصحفيين والتلفزيون والشرطة أمام بيت دينا لأن هناك من أخبر الصحافة بأن هناك اتصال بين دينا وتفجير نيويورك، حاولت إحدى الصحفيين من دخول بيت دينا وظهر لهم كوين بشكله المذري وقال لا أحد هنا دينا ليست هنا أنا والطفلة فقط وأغلق الباب لكن الصحافية لم تصدقه واعتقدوا أنه يحتجز رهائن في البيت وحضرت المربية وسمح لها البوليس بالدخول وثبت على كون أنه يحتجز رهائن وبدأ تسلل الشرطة للانقضاض عليه، وفي هذه اللحظة حضرت دينا بعد مشاهدتها محاصرة منزلها على شاشة التلفزيون، حاولت إزاحة الشرطة من طريقها وهي تصرخ هذا بيتي وابنتي في الداخل، هنا مسكها قائد العملية محاولا تهدئتها ومنعها من الدخول ولاحظت أن الشرطة تحاول التسلسل من أعلى البناية فاتجهت إلى قائد العملية تنبهه بعنف بأن السيد الذي بالداخل هو صديقها كوين وهو مدرب تدريبًا جادًا على قتل من يعتدي عليه، واحذر أيها القائد كل من سيحاول اقتحام المنزل سيقتل، وسقط في هذه اللحظة جنديا من أعلى البيت ولاحظه كوين واستقبله بين يديه المسلحة بسكين وقيده واستولي على سلاحه وبان كل هذا في عربة المراقبة وآمن السيد القائد أن دينا لا تمزح وسمح لها بالدخول لاحتواء الموقف ولم تدخل من الباب الرئيسي بل من الباب الجانبي الذي يؤدي إلى "البيسمنت "أي غرف تحت البيت ونادت على كوين وتحدثت معه وهي تهدئ فيه ودخلت الشرطة وأوقفت كوين وأخذوه معهم، دخلت دينا بيتها تتفقد الخسائر

التي حلت عليه من دمار فوجدت شباك البيسمنت مخلوع من مكانه وملقي على الأرض تحت قطع متناثرة من الزجاج وأمعنت النظر وحلقت عينيها على جهاز تليفون كوين والتقطته وشاهدت ما فيه وآمنت أن كوين دائما على حق، شاهدت صور للمنزل المقابل لمنزلها وجارها وهو يتابعها بالتليسكوب وخروجه بسيارته ثم بعض الصور لجراج سيارات التوزيع وعليها كلمة "المدينة" التي لاحظتها في تفجير نيويورك. ذهب دار دار لمقابلة الرئيسة المنتخبة لمحاولة تضليلها عمن ارتكب انفجار نيويورك واستمعت إليه في أدب ولم تصدق كلمة ممّا قال أن المشاكل كلها من تحت رأس السيد توم ودينا .

شعرت الرئيسة المنتخبة كاترين أنها محجوزة وممنوع عليها الاتصال بالخارج لكنها لم تعدم الوسيلة للخروج ووضعت يدها على تليفون مساعدتها واتصلت بمن تثق فيه وهو مساعدها الخاص وهو "ألان" الشاب الأسمر الذكي، اتفقت مع المرأة على أن تصاحبها سرا إلى فندق كونتيننتال وفعلا وضعت كاترين في سيارتها البيك آب وخرجا تحت ابتساماتها الحزينة دون أن يشك الحرس فيها وتحدثت كثيرا مع كاترين وقالت لها ممّا قالت أنا لم أنتخبك لكني أساعدك لأن ابنك قتل في العراق بطلا وأنا كذلك قتل ابني في العراق بطلا وأتمنى أن تذيعي هذا للأمريكيين لأنك تجاهلتيه ولم تذكري شيئًا عنه وأنت لا تبيعين وهمًا، بل هو بطل قتل من أجل أمريكا، مرقت سيارتها كل الحواجز البوليسية إلى بيتها الذي زرع في غابة من كل أفرع الأمن الأمريكي والصحافة على رأسهم، استقبلها مدير أمنها غاضبًا ممّا جعلها تنظر

إليه وانفرجت شفتاها كجرح قديم لم يندمل إلى الآن، وألقت كلمة مقتضبة للصحافة الأمريكية واختفت في الفندق.

* * *

ذهبت دينا إلى كوين للاطمئنان عليه ومعرفة جارها منه لكن كوين كان في حالة يرثي لها من انفصام شخصيته ممّا تعاطاه من مواد كيمائية لم يسلم منها بدنه إلى الآن وظن أن دينا هي التي زجت بالشرطة عليه ولم تخرج منه بأي نتيجة اتصلت دينا بمعرفة لها في أف بي آي يشرف على ملف تفجير نيويورك وحاولت الاستطلاع منه على معلومات تفيدها ممن فجر ومن هذا الرجل وهل هناك علاقة بينه وبين القتيل في التفجير الشاب سيبكو، ولم تخرج منه بشيء ذات قيمة وواعدها في منزله للحديث عن هذا الشأن وفعلا ذهبت إليه ووجدت بابه مفتوح ونادت عليه ولم يجب فدخلت حذرة فلمحت رجل يهرب من الغرفة ممّا جعلها تختفي خلف باب غرفة الغسيل، ولم يلمحها الرجل ونظرت من عقب الباب إلى رجل أف بي آي، لتجده طريح الأرض مقتولا والمسدس في يده جرت في اتجاهه وخطفت السلاح من يده محاولة الهرب وفتحت ساقيها الطويلتين للهواء تسبقه.

واستقلت سيارتها وانطلقت، ولم تتحقق من القاتل، إلا أنها خسرت الشخص الذي اعتمدت عليه في بحثها عن الحقيقة.

دخلا رجلان على كوين وكتفاه وحملوه في سيارتهم إلى منزل وهو في غفلة تامة عما حوله، وكان المخدر قوي عليه ممّا افقده كل مقاومة ودخلت عليه السيدة ايميلينا التي تعمل في السفارة الألمانية وكان أيار

الخاطف لهذه السيدة لعلاقة حميمة كانت بينها وبين كوين لعله يتذكر شيء وللأسف ما يزال في غيبوبة تامة وهي تحاول معه إلى أن سقط مغشيًا عليه وفي لحظة غفوة اميلينا عنه هرب من شقتها وسار بعيدًا على الطريق السريع إلى أن انتبهت لغيابه فأخذت سيارتها تبحث عنه ووجدته على الطريق يحاول أن يوقف سيارة تحايلت اميلينا عليه ليركب معها وعادت به إلى بيتها وكان دار في انتظارها.

قبض شخصان إيرانيان على الجنرال منصور وقيد إلى مكان مجهول وخرج له محقق يسأله عن سبب وجوده في نيويورك ولم يجب وتعجرف عليهم وكأنه هو الجنرال الوحيد أعطي المحقق حقيبة من إحدى معاونيه فتحها تحت أنظار الجنرال وبرقت عينيه واتسعت مقلتيه لهول المفاجئة التي طالما استخدمها ضد من لم يكن يتكلم من الإيرانيين في تحقيقاته معهم، أمسك المحقق ببانس مدبب يعرف الجنرال لأي غرض يستخدم من كل هذه الآلات لتعذيب الإنسان ومسك يده المقيدة ووضع البانس مفتوح الفكين وأدخل أظفره وجذبه إلى أن خلعه وصرخ الجنرال صرخة مجلجلة ولم يتكلم إلا بعد أن خلع الظافر التالي وقال نعم أعمل مع الـ سي آي أيه، وهنا دوت عدة طلقات أخذت أجل كل من المحقق ومعاونيه، وكان زميل الجنرال تابعه منذ رحيله معهم، التقي الجنرال بالسيد توم ونبهه الأخير أن موقفه سيكون خطرًا إن عاد إلى إيران فرد الجنرال منصور دون تردد أطلب اللجوء السياسي هنا وأريدك مساعدتي هذا أولا، وثانيًا أحصل على الجنسية الأمريكية، وثالثًا أحصل على المائة وخمسة وأربعون مليون دولار التي احتجزت مني.

ردَّ توم بثقة الشرط الأول والثاني ممكن أما الشرط الثالث لا أحد في مقدوره أن يفرج عن هذا المبلغ إلا السيدة كاترين الرئيس المنتخب وسأحدد لك معها ميعاد وتشرح لها الموضوع وهي تتخذ القرار في ذلك.

دوى تليفون دينا على صوت مديرة مدرسة ابنتها شيري فظنت الظنون وهرعت إلى المدرسة واقتحمت باب المديرة فقالت لها بهدوء لدي سيدة تدعي دورين تريد أن تأخذ ابنتك وهي مكلفة من وزارة الشؤون الاجتماعية، دخل دينا مفزوعة كيف يحدث هذا إنها ابنتي قالت دورين بهدوء محاولة تهدئة دينا وأظهرت لها ملف رسمي به عدم أهلية الأم حضانة البنت للأسباب التالية بصرف النظر عن مواعيد عملك إلا أنك غير مستقرة وهناك رجل في بيتك مصاب نفسيًا وبدنيًا وغير مستقر عقليًا وتحملين سلاحًا، وسيحدد معك أيام لزيارتها بعد أن يتم اختبارك نفسيا .قالت دينا بعصبية ظاهرة أنا لست مجنونة شيري ابنتي ولن أتركها لك، نظرت إليها السيدة دورين بعطف وتركتها إلى أن عادت إلى منزلها مكمدة، جاء السيد توم لزيارتها والوقوف على حالها وكانت على سرير ابنتها في غم وبكاء نظر إليها محاولا إرسال شعوره لها دون حديث إلى أن بدأت في الحديث عم من فعل بها هذا نظر إليها من تحت حاجبيه ومن وراء نظارته وفهمت أن الفاعل يريد شيئًا خطيرًا منها أو إبعادها عن ساحة المعركة، هو إذا الذي يريد إشعال الحروب في الشرق الأوسط ليس إلا السيد دار الشيطان الرجيم عندما شعر أننا نسعى إلى السلم كما تسعي السيدة كاترين الرئيس المنتخب أما دار فله منظور آخر في صالح إسرائيل التي من مصلحتها أن تضرب إيران

ومن يقف في مواجهة فكر إسرائيل يعد عدو وعلينا تصفيته وإن كان الرئيس المنتخب.

* * *

أذاع تليفزيون مارك نيوز الواسع الانتشار في الأوساط اليمينية المتطرفة عن أن أبن السيدة كاترين الرئيس المنتخب لم يمت بطلا في العراق بل مات جبان هاربًا من المعركة تاركًا زملاءه يحترقون بنار المعركة وكان هذا بالصوت والصورة من قلب المعركة وقد استضاف السيد مارك مدير محطة التلفزيون اليمينية أربعة جنود ليستجوبهم عن سير المعركة، وكيف كان ابن السيدة كاترين والذين تحدثوا عن أن ابنها هرب ومات بطلقة نار في ظهره وهو يهرب وليست في صدره كعادة الأبطال في الحروب الشجاعة، وكان هذا يكفي، لأن تفقد أصوات الناخبين على الرئاسة الأمريكية لكن كاترين لم تهتم وإن كان عمل مارك جيدًا في تكنيك الفوتوشوب والقص واللصق الذي قام بها محترفين لتغيير صورة المعركة لصالحهم، ولم يصدق الشعب الأمريكي هذا الملف من إذاعة مارك نيوز، إلا أن السيد مارك لم يسلم ولم يهزم إلا بعد أن يدمر السيدة كاترين لموقفها الداعم لإيران وعدم تسليح إسرائيل، ذهب إلى شركته مع السيد دار وهي شركة ضخمة في التصنت على المكالمات والمحادثات التليفونية ووسائل التواصل الاجتماعي، للحصول على معلومات عما وصلت إليه كاترين ودينا وتوم وغيرهم، ممن يريد السلام مع إيران لتنسف إسرائيل.

أخذت ايميلينا كوين في سيارتها إلى منزل معزول خارج نيويورك طبقا

لتعلمات السيد دار مختط عصابات الأيادي السوداء ولم يفهم كوين لماذا هذا الاهتمام به وحاول أن يراقب ايميلينا بما أوتي من حيل وخرجت ايميلينا وبدأ في تفتيش منزلها وعثر على مسدس فأفرغه من طلقاته وقذف به إلى البحيرة ووضعه مكانه شك كوين أن لها علاقة بالسيد الذي يسكن أمام دينا ويجزم أنه السبب في تفجير نيويورك، عادت اميلينا من التسوق وفاجأها كوين بأنه يشك فيها وفي علاقاتها وأنكرت بشدة وكانت خناقة اشتعلت بينهما وانتهت على صلح عندما اخترقت رصاصة النافذة ولامست كوين في جبهته ولم تؤد إلى موته فداوتها ايميلينا وهرعت إلى سيارتها لتحمل مسدسها وكوين يصرخ فيها بأعلى صوته لا تذهبي ليس فيه طلقات ولم تسمعه وهو يعوي إلى أن وصلت إلى سيارتها وأخرجت مسدسها ونشنت على المجرم الذي أطلق عليهما النار وأطلقت طلقة والثانية والثالثة ولم يجب المسدس عنها إلى أن استلمت طلقة واحدة في رأسها أردتها قتيلة في الوحل.

* * *

يشبه مرقد طائرة واحدة خاصة خالي من كل شيء أبيض ناصع وإضاءة قوية جعلت من هذا المخزن ظهرًا واضحًا كالنهار، تجمع ستة من الرجال ذات المعاطف السوداء والوجوه الصلبة دون تعبير عليها ودخلت دينا بطولها وجسدها الفارع ومعها السيد توم والجنرال منصور وبعد برهة انشق باب متسع إلى أعلى وعبرت هذه الفتحة أربع سيارات شيفورليه من الدفع الرباعي السوداء وأحاطت المكان في نصف دائرة وهبط منها رجال يرتدون نفس الزي الموحد للآخرين وهبطت السيدة

كاترين الرئيسة المنتخبة في هالة من السرية والحراسة وأغلقت بحراسها الجزء الآخر من رجالها وتقدم إليها الجنرال ليصافحها فصده أحد الحراس وحاول أن يتقدم خطوة إليها فصده أحد الحراس.

وقف في مكانه صامتا ونبهته السيدة كاترين أنه هنا في حضرتها تكلم، وبدأ يشوح ويلوح بيديه بأن إيران لديها مشروع نووي بعيدًا عن العاصمة ومعه كل ما يثبت هذا بالصور زعقت دينا قائلة ليس هذا ما قلت لنا ورد السيد توم في نفس الوقت قائلا أنت قلت إنه لا يوجد مشروع إيراني بديل، لم تبدِ السيدة كاترين أي حراك أو امتعاض بل قالت لمرافقيها هيا بنا، وخرجا الجميع تاركًا من جاء بهم هنا.

* * *

سلفاتور دي فرانكو والد شيرين وعشيق دينا، تردد اسمه كثيرًا وهي تحاول إخفاء ملامح انتباهها للاسم لأنه مقدس لديها أنه حبيب طفولتها ومرتع شبابها ووالد ابنتها التي تشبه والدها على رأي المثل الخالق الناطق أبيها ي بعض عاداته وحركاته التي لا تعيها لكنها موجودة في تكوينها البيولوجي، عند سرحان سال كان يمسك نتفة من شعره ويلويها يلويها إلى أن تصبح كرتاء حلزونية ثم يعاود هذه الحركة اللاإرادية إلى غيرها ي أن ينتبه لواقعه المعاش وشيرين الطفلة ذات الأربع سنوات تفعل نفس الشيء كأبيها ممّا تجعلها تبكي وتضحك في نفس الوقت طلب السيد توم من دينا أن ترافق الجنرال منصور إلى مكانه.

وفي الطريق قال لها بعد إعدام زوجك استطعت أن أوجه جثته إلى إحدى الغابات لدفنها قالت دينا وهل صليت عليه كما تقتضي الشريعة

الإسلامية قال هذا ما تعودنا عليه في إيران كبلد مسلم لابد من الصلاة على المتوفى وإن كان عدوًا، قالت دينا وهل تعرف مكان مدفنه؟!
قال نعم سأرسم لك خريطة توضيحية عن المكان على وجه التحديد، لقد وضعت عليها شاهد باسمه.
اتجه ماكس مهندس الكمبيوتر في الـ سي آي أيه إلى شركة مارك نيوز يطلب عملا لعلمه أنهم في حاجة إلى مهندسين في الكمبيوتر يستطيعون التجسس على كل الناس داخل منازلهم وحجر نومهم وكان هناك جمع من طالبين العمل لمدي سخاء الشركة في مرتبات للعاملين، استقبله مارك وسأله وبعد عدة اختبارات قبل في نفس اليوم وفتح له الباب على حظيرة مهندسي المعلومات المكتظة بالعاملين، وكانت مشكلة استقبال المكالمات على الشاشة الرئيسية وجلس ماكس محاولا حل لغز الشاشة العظيمة وفجأة أضاءت الشاشة التي بوسع المكان عن آلاف الوجوه التي تراقب وصفق الجميع لماكس على الإنجاز الرائع.
التقى السيد دار بالجنرال منصور على الإفطار في حجرته بأحد الفنادق خمسة نجوم وبعد برهة سمع رنين جرس الباب فقام دار لفتح الباب وإذا برجلين من الموساد يدخلون وبينهم دار استفسر منصور وهو يعرف من ملامحهم أنهم رجال أمن فسحب جهاز تليفونه الذكي وضغط على ذر دينا التقطت تليفونها وسمعت لغطًا كثيرًا وفهمت أن هناك خناق وعراك انقض الرجلين عليه ووضعوه في سلة الغسيل وقادوه إلى ما لا نعرف، اتصلت دينا بالسيد توم لتخبره وحاول أن يعرف من أين اتصل بها؟! وبعد عدة دقائق وصل مهندس الاتصالات

ب الـ سي آي أيه إلى المكان وهرع كل من السيد توم ودينا إلى الفندق ودخلت غرفة دار ولم تجد أحد إلا كومة من المناشف البيضاء لم تستعمل بعد فقادها فكرها إلى غرفة الغسيل وعملت تليفونها الذكي جدًا وسمعت رنين في سلة الغسيل وفتشت السلة إلى أن عثرت على تليفون دار وكانت هذه إشارة ذكية منه للاستدلال على مكانه، وكشفي دار في على التليفون وإذ به مسجل تعذيب دار لأستاذ الكيمياء الذي منوط به الأشراف على البرنامج الموازي وبعد محاضرة التعذيب التي كان مشهور بها السيد الجنرال أثبت التحقيق أنه لا يوجد برنامج إيراني موازي، بل يشرف فقط على شراء السلاح من كوريا الشمالية والصين، تشاور كل من السيد توم ودينا بشأن هذا التسجيل لمؤازرة رأي السيدة كاترين الرئيس المنتخب، وفعلا طلبا ميعاد وذهبا فورا لمقابلتها وشاهدت تسجيل الجنرال على تليفونه بامتعاض واشمئزاز من هول التعذيب وإخلاص كل من دينا وتوم لها وتساءلت كيف أوقع بدار وطلبت مقابلته مبادرة أنها ترغب في أن يكون هو مدير الـ سي آي أيه وقدمت له فنجان من الشاي بيدها ممّا أزعجه هذا التزلف أو الكرم الزائد عن حده منها ممّا جعل عينيه تغور وعقله يعمل على سرعة مائة ولم يصدق شيء ممّا قالت، لكي توقع السيدة كاترين بالسيد دار على دينا أن توقع بالسيد توم وتعترف بخطأ لم ترتكبه وحضر السيد وزير العدل للتحقيق معها في رسم سيناريو للإيقاع بدار لكن دينا رفضت؛ لأن في ذلك حرمانها من ابنتها، وتركت التحقيق وخرجت، اتصلت دينا بالمشرفة الاجتماعية لتحدد ميعاد معها، لكن قد وصل خبر عدم

شهادتها ضد دار إلى المشرفة والتي أفرجت عن ابنتها بأمر من دار.
بدأ ماكس في التجسس على نشاط مارك وشركته وإذ به يلمح دار مع مارك في المكتب الزجاجي وحاول أن يلتقط صورة لإثبات ذلك وفعلا سار في اتجاه المكتب وهو يخفي تليفونه تحت إبطه ممسكا بيده اليسرى زر التقاط الصور ونجح في ذلك وأرسل الصور إلى دينا التي أرسلتها إلى توم وذهبا سويًا بها إلى السيدة كاترين لتعرف أنه يتخابر مع من أوقع بابنها من شهيد إلى مجرم، باشر ماكس عمله وهو سعيد بنجاح مهمته في الكشف عن مارك ودار الذين يريدون إشعال الكون بحروبهم طبقا للسياسة الإسرائيلية التي تجد في الحروب إحياء لمشروعها (من النيل إلى الفرات) أما الرئيس المنتخب لا يهمه إسرائيل، بل السلام في المقام الأول وإن عاشت إسرائيل بجوار العرب، بعد دقائق دخلت المشرفة العامة محاطة برجال أمن الشركة متجهين إلى من سقط قلبه ذعرا وحوط ماكس وسألت السيدة هل معك تليفون نظر إليهم وقال في نفسه لا داع للإنكار، نعم ها هو وأخذته السيدة وقالت لتابعيها بأن يستحبونه معهم إلى الخارج تحت أنظار كل من الحظيرة من مهندسي الاتصالات ذات الخبرة العالية، في نفس الوقت من دينا إلى توم إلى الرئيس المنتخب تشاهد دار مع مارك الذي فبرك شريط مصور لابنها وهو يهرب من المعركة في العراق، ودمعت عيناها تأثرًا على فقد ابنها ذات السبعة وعشرون ربيعًا واختلاق قصص حول موته، استشارت كل مستشاريها للرد على هذا الرجل المتهور وأجمع الكل على أن تقبل دعوته على شاشات محطته المتلفزة لتوقفه عند حده لأن

الجماهير بدأت تصدقه وتعلن المظاهرات عليها عند كل أول ظهور لها ي وان مرت في شارع، قبلت دعوة مارك صاحب الإذاعة اليمينية المتطرفة، وكان أول ظهور لها على الشاشة الفضية وشكمت مارك وهو يحاول رفع صوته ويلوح بيديه وهي ثابتة لا تتحرك وطعنته عدة طعنات بنظراتها وقوة شخصيتها إلى أن شعرت بأنه ليس له قيمة فأزاحت الميكروفون المعلق على صدرها ووضعته بأدبها الجم على الطاولة وخرجت رافعة رأسها لانتصارها على أكبر رأس في المعارضة اليمينية بل انتصار للمرأة وللشعب الأمريكي عامة.

ما يزال ماكس قابعًا في غرفة لا حول له ولا قوة إلى أن دخل عليه إحدى الحراس حاملا صينية العشاء ناظرًا إليه في توجس وريبة وقال ماكس ألم تساعدني في الخروج من هنا، أدار الرجل وجهه واستعد للخروج وقال عليك بشرب اللبن فهو مفيد، وفعلا مسك باكو اللبن المجفف فوجد كارنيه يساعده على اجتياز الأبواب وعند وصوله للشارع انقض عليه اثنين وضعوه في عربة وانطلقت إلى حجز جديد لدي السيد دار الذي فتح تحقيق معه حول كوين هل لديه صفحة تواصل اجتماعي قال ماكس لا، كوين ليس لديه عنوان الكتروني فكيف يكون له صفحة على الويب؟ أجلسه دار على الكمبيوتر ليشاهد صحيفة كوين.

وكانت صحيفة كاملة ومعقدة وليس كوين الذي فعل ذلك ليس هذا سلاح كوين، وبعد ليلة تفكير في الأمر اتضح أن الذي لصق هذه الصفحة بكويين هو مارك وشركته.

استمر كوين في متابعة جار دينا الذي شك في أمره وشاهده مع نفر

من أتباع اليد السوداء وهم يشرحون ويتحادثون وأخيرًا خرجوا جميعًا ممّا طمأن كوين ودينا أن لا أحد في المكان فذهبا بيتهم وفتح الباب ودخل إلى الجراج ليجد السيارة التي فجرت على طريق نيويورك بعينها مع اسم الشركة باللون الأحمر "المدينا" صعدت دينا في السيارة مكان القائد تبحث عن شيء يدل على شيء لا تعرفه وأنزلت مظلة العربة لتجد خلفها صورة عائلية لسيبكو وأمه وأخته ممّا دلهم على أن هذه هي السيارة التي كان المفترض أن تفجر على الطريق واستبدلت بأخرى تشبهها، وقالت دينا ممكن أن يكون هناك مخطط من اليد السوداء لتفجير آخر في نيويورك، اتصلت دينا بوزير العدل الذي يتولي التحقيق ونبهته بالتفجير المحتمل وأرسل الوزير إلى دينا فريق جنائي لإخراج السيارة وعند كشفهم على أبواب الجراج تحت عيون دينا التي صرخت فيهم بأن لا يفتح أحد الباب وقد سبقها الباحث الجنائي وشد الباب إلى أعلى لتنفجر السيارة بالجراج ونجت دينا بأعجوبة لبعدها عن التفجير الذي تابعته بعيونها فقط.

* * *

اليد السوداء وزعيمها دار لا يتورعون عن تصفية كل ما لا يوافق هواهم وهم جماعة من قدماء المحاربين وأصابعهم دائمًا على الزناد للقتل والتدمير داخل الولايات المتحدة أو خارجها، فروعهم منتشرة حول العالم وهم متغلغلون في الأوساط الحكومية واتخاذ القرارات المصيرية، السيد دار هو المتولي حماية الرئيس المنتخب أمنيًا يدير كل أفراد الأمن ولا أحد يعرف عنه سوى أنه رجل خدوم يعمل في الـ سي آي أيه

وقت اللزوم، أطلق سراح ماكس بعد أن أعطاه كل ما يريد عن صفحة كوين الإلكترونية وعرف من مصادره الخاصة بأن كوين هو قاتل مساعده جار دينا وهو الذي شك في فاعل تفجيرات نيويورك فقرر تصفيته على وجه السرعة ويعرف تماما علاقته القوية بدينا أما حب كوين لدينا كان حُبًا من نوع فريد كان يعشقها كيتيم يحب شقيقته التي ربته وهي تبادله نفس الشعور والإحساس، وفي عودة قافلة السيدة كاترين إلى الفندق كانت فرق اليد السوداء على أبوب الجراج لتفجير سيارتها، لكن سائقها نجح في دخول الجراج بصحبة كاترين بعد أن ترجل السيد توم وتسلل كوين إلى داخل الفندق لتأمين دينا أولا، وفي غمرة المطاردات تولي كوين قيادة سيارة الرئاسة بدلا من دينا، واستمر وابل الطلقات يعصف في كل جانب وهو يسرع للخروج من الجراج ووصل إلى الشارع الرئيسي ولم تشعر دينا ولا كاترين الذين كانوا في قاع السيارة إلا وهي تصطدم بسيارة أخرى وتقف في مكانها ورمت دينا كل جسدها على كوين الذي لم يتحرك وأجهشت بالبكاء ورددت كاترين أسمه لأول مرة كاملا "بيتر كويين"، في البيت الأبيض وفي المكتب البيضاوي جلست السيدة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية التي نصبت منذ أربعة وثلاثين يومًا دون احتفال عام بل اكتفي باحتفال داخل البيت الأبيض لدواعي أمنية، واستدعت دينا لمقابلة كاترين حيث عرضت عليها الأخيرة منصب مستشارة البيت الأبيض، نظرت إليها دينا بعيون ساحرة وغامت قليلا وظهر واضحا على كاترين غيرة المرأة من هذه الفاتنة ساحرة الرجال والنساء، لفت دينا جسدها الرشيق ولوحت شعرها

الأصفر الغامق على ظهرها وخرجت.

أصدرت كاترين أمرًا بالقبض على كل من عمل مع النظام السابق لها وظهرت ديكتاتوريتها بمجرد أن جلست على كرسي المكتب البيضاوي وقبض على السيد توم ودار دار ومنعت دينا من دخول البيت الأبيض واستعدت الفرق الأمنية بإلقاء القبض على كل من كان أو يفكر فيما سيكون وهكذا أسست السيدة كاترين لأول ديكتاتورية أمريكية.

* * *

انتهينا فيما انتهينا إليه أن كاترين رئيس الولايات المتحدة بدأت فترة رئاستها كأكبر ديكتاتورية عرفتها أمريكا، عزلت وسجنت أقرب المقربين إليها ومنهم من عزا موقعها في البيت الأبيض وترؤسها للمكتب البيضاوي الذي يوقع عليه كل قرارات ضد شعوب الأرض المستديرة، دينا بيري مستشارتها الأولى وضعتها على الرف توم فصل من الخدمة جنرال اليد السوداء قتلته بطريقة عجيبة شاهدت دينا شريط القبض عليه العديد من المرات وهو يلقي القبض عليه وبكل احترام عسكري قيد مرفوع الرأس إلى حتفه، دخل غرفة بيضاء خالية تمامًا وصحبته جنديين وطلب منه أن يخلع ملابسه ويضعها على يد الجندي مع تفتيش كل قطعة على حده، وفتش شعره وفمه وأذنيه ومؤخرته ووضعوا له ملابس أخرى للسجن وتركوه، وضع بنطلون ابيض ولم يستطع أن يواصل اللباس ووقع على الأرض في إعياء مميت ومات فعلا ولم تشاهد لا دينا ولا غيرها أي عمل من شأنه أن يقتله إلا أن وضع الجندي أصبعيه على لسان الجنرال لتحريكه يمينًا ويسارًا وهنا أكيد كان

القفاز الجلدي في يد الجندي مملوء بالسم الهاري الذي انتشر على الفور في جسد المجني عليه ومات، استدعت دينا من قبل الكونجرس للتحقيق في جرائم التعدي على الرئيس وكلف أحد أعضاء الكونجرس للتحقيق فيما نسب إلى الرئيس من حبس مائتين شخص دون تحقيقات كافية أما دينا فرأت أن تستدعي المسؤول عن الأحداث من أف بي آي لتقابله بالسيد النائب وتستخلص هي الأجوبة لأسئلتها المخابراتية وبدون علم أحدهما بمقابلة الآخر حضر الاثنان في غرفة حجزتها دينا لهذا اللقاء فكانت مفاجئة لهما ممّا أغضب رجل أف بي آي وزغد كاري وأوقعها على الأرض وخرج غاضبًا وانتهى اللقاء على لا شيء.

مارك نيوز الإذاعة اليمينية المتطرفة تذيع أخبار في غاية الحماسة وتصديع الأدمغة لإرهاب الشعب الأمريكي من رئيسه ومن حكامه ومن ي من عيشتهم إن كانوا من الطبقة الوسطي أو الأدنى أو الأعلى ففي كل الطبقات الأمريكية يوجد من هم متطرفون يحملون جميع أنواع الأسلحة طبقا للدستور الأمريكي، قررت الرئيس إلقاء القبض على مارك مؤسس الإذاعة المتلفزة، وعندما سمع بذلك زاغ مع مساعدته إلى مكان آمن يتبع اليمين المتطرف واستمر في إذاعة برامجه، كلفت كاترين السيد توم بأن يقبض على مارك وقال هناك الشرطة لذلك أنا أتبع الأمن القومي لكنها أصرت ونفذ الأمر وعرف مكان إذاعته وذهب للقبض عليه بعد إرسال مجموعة من الـ أف بي آي والشرطة، حاول مارك الهرب وأوقفه شرطيين واستسلم لهما، قال الشرطي لن نقبض عليك فنحن معك وتركوه يزوغ من الـ أف بي آي لكنهم سمعوا الشرطي

وعرفت الـ أف بي آي أن الشرطي يعرف مكان مارك وقبض على الشرطي وانهال لأف بي آي عليه بالضرب ليعترف وحُجز في المكتب إلى أن حضر السيد توم لاستجوابه.

استقرت دينا في منزل شقيقتها آن هي وابنتها، ورغم إبعادها عن عملها إلا أنها لم تتوقف لحظة عن التفكير في الـ سي آي أيه لأن رأسها برمج على ذلك، اتصلت بماكس مهندس الكمبيوتر ووضعوا خطة لاقتحام منزل السيد إليكس المستشار الشخصي للرئيس الأمريكي والبيت الأبيض وفعلا تسلل ماكس ووضع في كل غرفة ما يشي بالحركة واتصل بدينا ليخبرها بأن كل شيء تحت يدك.

وفعلا وفي ليلة ليست هادئة شاهدت منزل السيد إليكس غرفة من على الكمبيوتر الخاص بها وفجأة بسيدة تدخل المنزل من بابه ولم تجد أحد فكتبت ورقة وتركتها على طاولة المطبخ ممّا أتاح لدينا الوقت الكافي بأن تلتقط لها عدة صور فوتوغرافية وأرسلتها لصديقها في الـ أف بي آي ليتعرف عليها.

وفي زحمة بحثها وانكفائها على الكمبيوتر جاءتها ملاحظة مهمة من أحد قراصنة الكمبيوتر طالبًا منها خمسة آلاف دولار، لتستعيد العمل على جهازها وكل يوم تأخير سيتضاعف المبلغ، حاولت أن تفهم الموضوع ولم تصل إلى نتيجة فاتصلت بماكس، وحضر في اليوم التالي وكان المبلغ تضاعف وحاول ماكس فك الشفرة، ولم يتمكن وقال لها عليك بدفع المبلغ وأمرك لله، ورغم أن ماكس يعرف دينا جيدًا لن تستسلم بسهوله إن لم تستسلم أبدًا.

أعادت الاتصال بالقرصان فوجدت المبلغ يتضاعف وحاولت أن تعقل الأمور معه، لكنه رفض كل نقاش، وقال ليس فقط الدفع مقابل الكمبيوتر بل السجن أيضًا لأن معي ما يثبت أنك وماكس وضعتم ميكروفونات وكاميرات في بيت السيد إليكس مستشار الرئيس، أصابها الذعر لكنها استردت شجاعتها وبدأت تعمل أسلحتها الفتاكة ونصبت له أول سلاح من عيونها وحاجبيها وشعرها وظهر في التو تأثير سلاحها على نبرات صوته الذي أذعن وطلب الأكثر وتخلع قميصها وبانت له بحمالات صدرها السوداء أكثر إغراء من المال واشتد عزمه وقال عليك بخلع مشدات صدرك ولم تمانع وبان له نجمان من السماء السابعة يطلون عليه من شاشة الكمبيوتر الذي هاج وماج واهتز وارتعش من القوة الإلهية المدمرة، وعندما تمكنت منه جيدًا انتزعت نفسها من أمام الشاشة قائلة لا أريد أن يتسخ الكمبيوتر بما ستدلقه عليه وان أردت سأكون لك الآن، وتحت تأثير تهديد أسلحتها المدمرة أعطاها عنوانه لتأتي إليه وكان سعيدًا بجنون. قادت سيارتها إلى العنوان خارج المدينة في ورشة حديد مهجورة ساكنة بصمت الحديد والخردة.

دخلت من باب زجاجي معتم وإذا بها في صالة واسعة أو ورشة للحام وتصنيع حديد وقالت له عن طريق التليفون: أين هي؟!

فقال أعرف آراك والآن أتركي حقيبتك بالسيارة واخلعي الجاكت وسيري يسارًا وبعد عشر خطوات ادخلي من الباب وعند دخولها ورشة الحديد انقض عليها من الخلف وتخشبت في مكانها ولامس ظهرها صدره.

وقال اخلعي القميص وهي تنفض وتحتك به محاولة فك أزرار القميص

من خلف رقبتها شعرت بقضيبه يداعب مؤخرتها فذابت وألقت بكتفها على صدره متأوهة في هياج جنسي لم تسمع عنه هذه الورشة ولا الورش المجاورة وقبل أن يفك الزرار الأول، كانت طوحت برأسها إلى أنفاسه التي حرقتها، وسال الدم من أنفه ووقع على الأرض وسارعت بالتقاط قطعة من الحديد ونزلت بها على كتفيه وساقيه حتى أعجزه عن الحركة، وهو يتوسل إليها أن لا تقتله ولملمت قواها وقالت له بصوت عال جمعت فيه كل عنف المرأة الأمريكية قائلة:

أنا دينا من الـ سي آي ايه يا ابن الشرموطة.

وأحضرت الكمبيوتر الخاص به ووضعته أمامه ووضعت البار الحديد على حنجرته وهي راكبة فوقه ضاغطة قائلة والآن حل الشفرة يا سافل ولم يقوي على شيء إلا أن حل شفرة الكمبيوتر وقالت وهي تخرج من هذا الجب أنها لن تتركه إلا قتيلا لو حاول فعل شيء آخر.

* * *

التقت الرئيسة بقيادات الجيش الأمريكي لمطالبتها بوقف الاستفزازات الإيرانية وإرسال أسلحة لسوريا ومن رأيهم ضرب هذه القافلة من الأسلحة قبل وصولها لحلب ووضعت خطة الضرب من جميع الأسلحة الأمريكية وهم في انتظار مؤشر من الرئيس الأمريكي وزاغت أنظارهم عليها وعملت فكرها كثيرًا ثم قالت تعرفون جميعا موقفي من الحرب.

لا حرب وقلتها لكم ثلاث مرات سابقة وقلتها في جميع دوائر صنع القرار السياسي الأمريكي وأكررها لكم الآن لا حرب ولا هجوم على قافلة الأسلحة الإيرانية لسوريا، هناك طرائق أخرى عليكم دراستها وتقديم

شروحات لها وانفض المجلس وفرغت كاترين لمستشارها الشخصي السيد ألان الذي أشار إليها بضرب القافلة وهذا في صالحها في الدفاع عن الوطن وكررت له أنه لا تدخل حرب لا خاسرة ولا رابحة كفانا قتلا وتدميرًا، التفت الآن لما هو أهم من أعداء الداخل مارك وأتباعه وإذاعتهم وعليك القضاء عليهم والقبض على زعيمهم ونفذ الأمر فورا، واستدعت السيد توم لتنفيذ أمر القضاء على مارك وأتباعه ورغم أنه من المعارضين لسفك الدماء داخل أو خارج الولايات المتحدة، إلا أنه وجد أنه لا مفر من الخضوع لأمر الرئيس ولا عرض نفسه لمحاكمة الخيانة العظمي، سار السيد توم مع فريق من الـ أف بي آي والبوليس إلى مقر مارك في إحدى القرى المهجورة خارج الولاية وأحاطوا المنزل وبدأ توم في المناقشة الودية مع مارك إلا أنه لم يتزعزع عن موقفه الوطني قيد أنملة وهربت مساعدة مارك خارج معسكرهم ووقعت في أيدي الـ أف بي آي وقالت أنا هربت من الموقع لأن هناك تعزيزات عسكرية ستأتي من مقاطعة فيرمانت ونيوهامشري لحربكم، استعدت قوات الـ أف بي آي والبوليس للهجوم ووصلت القوات المساعدة لمارك بأسلحتها الهجومية.

أما دينا نامت تحت تأثير المخدر الذي كتبته لها الطبيبة النفسية كعلاج لحالتها الهستيرية، وأصرَّ التليفون السري لها بالرنين والرنين إلى أن هبت متكاسلة من تحت فراشها إلى صندوق تخفي فيه هذا التليفون المنزعج وكان جون من الـ أف بي آي على باب البيت ونزلت السلم في إعياء وهي بلباسها الأسود وفانلتها البيضاء وفتحت الباب على جون الذي دخل متسترا حذرا وقالت له لماذا أتيت إلى ها الآن؟!

قال إنها مهمة صعبة وعليك الذهاب معي الآن وشعر جون أنها لم تقو على الوقوف وسأل عما أصابها وقالت إنه من تأثير دواء جديد تتعاطاه غضب جون وقال أفيقي وهزها من كتفها، ثم قال: اذهبي وضعي رأسك تحت الدش لتفوقين لأن معلوماتي عن السيدة التي شاهدتيها في منزل إليكس قد عرفت من هي، وكأن مطرقة أصابت رأسها وهرعت إلى الحمام وتعاطت حبيتين من المنشط للذاكرة ولبست هدومها وخرجت مع جون وهو في الطريق إلى منزل السيدة قال جون ومعه تليفونه وعليه صورة السيدة الفرنسية مارتين صديقة المستشار الشخصي للرئيسة الأمريكية وقال لها، اسمها مارتين فرنسية الجنسية درست العلوم السياسية في جامعة باريس وأكملت دراستها في جامعة أكسفورد بإنجلترا، والأهم أنها كانت تقيم بجوار سجن دالتون قبل إعدام الجنرال بيوم واحد فلهذا إشارة واضحة لعلاقة تربطها بالجنرال وخاصة مسكنها الذي لا يبعد عن السجن إلا بثلاثة أميال فقط وهذه لم تكن صدفة، وهذا هو منزلها قالت دينا أتركني هنا واذهب أنت وراءها أكيد ستعرف شيء ما ثم أتصل بي وأنا سأدخل شقتها لعلى أعثر على أدلة وأتصل بك، اتجهت إلى ممر بجوار المنزل محاولة الدخول من إحدى النوافذ القديمة ونجحت في الدخول وبدأت التفتيش في مكتبها وأدراج غرفها ووجدت كثير من الكتب والأوراق وفي إحدى الأجندات وجدت مجموعة من الصور التذكارية لها وإليكس وضعتها جميعًا على السرير وبدأت في تصويرها بتليفونها واستعدت للخروج كما دخلت وفي مرورها من رصيف إلى الآخر رنت سيارة شرطة كانت تابعتها وهي تتسلق الحائط

إلى الشباك وأوقفها رجل الشرطة وسألها بكل أدب وبطريقة جادة لم تنفع معها أسلحتها الأنثوية وتم القبض عليها وإيداعها قسم الشرطة وهي تحاول إخفاء شخصيتها إلى أن تقدم منها شرطيين وأمسكا يدها ووضعها على مختبر الشخصيات الالكترونية عن طريق بصمات اليد وتعرف عليها البوليس وحضر في نفس الوقت السيد جون كضامن لها وخرجت معه.

* * *

تجمع الكثير من أنصار اليمين المتطرف والنازيين الجدد والكيه كيه وهي مجموعة أكثر تطرفا وعنصرية وأصبح البيت الريفي الهادئ معسكر حرب وأسلحة وذخائر ومفرقعات وكأنها حرب ستشعل على الأعداء، وأزعج التليفزيون الخاص ببث النشرات المتتالية وتحول المنزل إلى ساحة حرب على رأي المذيع.

أثار هذا رجل الـ أف بي آي وأصر على الهجوم ي قبل أن تصل إليه التعزيزات التي طلبها، تقدم السيد توم إلى قائد العمليات قرب المنزل وطلب أن يسلم نفسه قبل الهجوم، لأنه لا يريد خسائر في الأرواح ولا البيت نفسه فرفض ماكس وأتباعه وأصروا على الدفاع عن مبادئهم المتهورة ممّا أجبر توم الاتصال بالرئيس وتبليغها عن الموقف وفي هذه الأثناء تقدمت المعدات الحربية لمساعدة الـ أف بي آي في مهمتها وطلب من السيد توم بأن ينسحب فورا وفي أثناء ذلك تقدم شاب مسلح ببندقية آلية في اتجاه الـ أف بي آيه مُسرعًا وراء كلبه الذي قتله ضابط الـ أف بي آي ممّا دفع الشاب إلى الجري في اتجاه الأعداء ولم يريد

أن ينتبه إلى صوت ضباط الـ أف بي آي من أن لا يتقدم وأطلق عليه طلقة واحدة أردته على الأرض غارقا في دمه وتقدم منه الضابط لمساعدته وطلب من القيادة إسعافًا لنقله فورا وللأسف تلاحقت الأحداث وتقدم والد الشاب يريد قتل الضابط لكن أتباعه ألقوا القبض عليه ووجهوه إلى داخل المنزل كأسير وقيدوه بالمدفئة حتى لا يتحرك، لم يستطع توم أن يوقف قائد العمليات ومزاولة الحديث معهم لأنهم أيا كانوا هم أمريكان ومعهم عديد من الأطفال لكن لا أحد يسمع لصوت السلام تحت تقدم آليات عسكرية ضخمة لا توازي الهجوم على مدنيين بالرغم من تسلحهم وهاجمت القوات البيت وقتل كل من كان فيه.

نقل الشاب الذي أصيب في بطنه بالإسعاف لمستشفى المدينة لإسعافه ومداواته ومن عادة الروس وتكتيكاتهم أن يعملون من الحبة قبة على رأي المثل وكان هدفهم إشعال حرب مدنية في أمريكا ي من حادث كهذا، أسرع بيترو الجاسوس الروسي إلى المستشفى وانتحل شخصية طبيب وسار في ممراتها إلى أن عثر على الشاب المصاب محاط بعديد من الأطباء والممرضات والمسعفين ومن خلف ستار بدأ يلتقط صور للمريض السائح في دمه وأسرع بالخروج ليختار صورة للمصاب على السرير الأبيض وليس بجواره أحدًا وهذه تقنية كمبيوتر يقوم بها كل متمرس على فن الكمبيوتر وأرسل صورة الشاب إلى الصحافة والتلفزيون المحلي والقومي مُعلنًا حالة الحرب في مدينة أمريكية وقد ترك المسؤولين الجرحى والقتلى في أماكنهم دون إسعافات، تناقلت وكالات الأنباء الخبر في أول نشراتها وصحافاتها وكانت مصيبة

سوداء على رأس الرئيس الذي ليس لديها القدرة على لم الموضوع، طلب إليكس المستشار الشخصي لها ليساعدها في أخذ قرار مستعجل عليك أن تفعلى شيء يهز العالم ويلفت الأنظار كضرب قافلة الأسلحة الإيرانية إلى سوريا واتركي الباقي على الأعلام الأمريكي المتمرس، رفضت السيدة كاترين كما رفضت من قبل لكن إليكس لم يعدم الوسائل ليقوي من مركز الرئيس وفكر ليلا واتصل بقائد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط وقال له: إن السيدة كاترين مُتعبة جدًا وحملتني رسالة لكم مفادها أن تقذف طريق الأسلحة الإيرانية المتوجهة إلى سوريا الآن وزاغت عينيه وقطب حاجبيه وقال أنا لا آخذ تعليمات من أحد سوى الرئيس ذات نفسه وهذه هي القاعدة قال إليكس الرئيس متعب وان انتظرنا إلى الصباح ممكن أن تغير من رأيها.

وفي الصباح الباكر أعلنت الإذاعات الأمريكية والصحافة في أول نشراتها وصفحاتها الأولى عن شجاعة وقدرة الرئيس على ضرب إيران داخل أو خارج أراضيها واشتد الثناء عليها كلما تقدم اليوم وبدأت وكالات الأنباء تتناقل الحدث الذي سيقوض السلام في الشرق الأوسط، استدعت السيدة الرئيس مستشارها وهي بين غاضبة من أنها لم تعطي أوامر الضرب فقال لها إليكس اتخذت هذا القرار في صالحك وصالح أمريكا ولا نستطيع أن نفلت هذه الفرصة لنا وأمامك كل الصحف ي المعارضة أثنت على هذه الضربة وشجاعة الرئيس، أما إن كنت تريدين عقابي وفصلي أو سجني فأنا تحت أمرك، أشارت إليه أن يخرج ويتركها لوحدها لتهدئة روعها، هذا الحادث المزعج سقط فيه عشرات

من أهالي حلب وريفها ومنازلها وازداد عدد الأيتام والمصابين والموتى، وفي المقابل زادت من أصوات المؤيدين للرئيس الأمريكي ومن نفوذه في الشرق الأوسط وخاصة في الدولة العبرية التي لن تهدئ إلا بضرب إيران عن طريق أمريكا متحينة كل الفرص لذلك.

من ضمن مجموع الصور التي التقطتها دينا التي عثرت عليها عند مارتين الفرنسية صورة لمخالفة سيارتها لقواعد المرور المعمول بها في هذه الولاية، لم تتواني عن الذهاب إلى ذلك المكان لتحدد وتستشف لماذا هذا المكان، لاحظت وجود محل لشركة تحويل الأموال حملت على وجهها الشكل الطفولي وصبحت على الرجل بالداخل وردَّ عليها باقتضاب وتعللت بالحرج من سؤالها عن صاحبة هذا الوجه وعرضت عليه صورة مارتين الفونغرافية متعللة أنها أختها وتريد معرفة كم من الأموال سحبتها أو أودعتها ورفض الوكيل طلبها وألحت وتحت إلحاحاتها وتنهداتها وخفة دمها استجاب الوكيل وقال نعم كانت هنا منذ ثلاث أيام ولم أرها بعد وسحبت عشرة آلاف دولار.

شكرته وخرجت إلى صديقها جون وقالت له إنها سحب أموال وعليها أن تعرف العلاقة بين سحبها هذا المبلغ ووجودها بجوار السجن الفيدرالي وبين الجنرال القتيل، لأعرف من تكون وعلاقتها بالسيد إليكس المستشار الرسمي للسيدة الرئيس، وهذه مهمتنا الآن.

اجتمعت السيدة الرئيس بمستشاريها لبحث الأمر وأثنى الجميع على ضرب رسالة الأسلحة الإيرانية لسوريا وانتهى الاجتماع على لا شيء.

دينا في حاجة ملحة لدواء تهدئتها النفسية وقد منعت أختها هذا الدواء

عنها ولاحظ رفيقها جون أنها ليست على ما يرام وأباحت له أنها في حاجة إلى دواء ولابد من أمر الطبيب وقد حرمت منه لتجربة دواء آخر لكنها الآن لا تستطيع العمل بدونه، أشار إليها جون أنه يعرف بائع أدوية متجول وذهبا إليه عند دوران طريق كانت هناك سيارة توقف جون خلفه وحياه وطلب منه دواء لصديقته، فتح الرجل حقيبة السيارة على حقيبة سفر وبها ما يشبه الصيدلية إن لم تكن صيدلية فعلا وهذه طريقة متعارف عليها لشراء الأدوية في خارج منظومة الدولة لارتفاع ثمنها وكانت مفاجئة لدينا وابتسمت لرجل الـ أف بي آي الجدع.

سألها جون: وماذا بعد نحن فاعلن؟!

قالت علينا تكوين فريق عمل من أناس مدربين وأعرف بعض من عملت معهم في إسلام آباد.

أخذت سيارتها ومرت على عدة أشخاص من الـ سي آي أيه الذين عملت معهم وجمعت أربع أشخاص وشربوا نخب عملياتهم القادمة ووضعت دينا خطة اختطاف مارتين الفرنسية، وقسمت العمل بينهم منهم من يراقب سكان العمارة الستة ومنهم من يتابع مكالماتها ومنهم من يكون ورائها، والهدف من الخطة هو معرفة من يعطي مرتين هذه المبالغ المالية ولمن، ومن هنا ستعرف من أعطي أوامر قتل الجنرال وتكشف الحقيقة الغائبة، استقلت دينا وجون وخلفهم ماكس في الغواصة أمام بيت مارتين وخرج كل من في المكاتب وأخيرًا خرجت مارتين لتأخذ سيارتها فوجدتها معطلة واعتقدت أن الشاحن فرغ واتصلت بورشة تصليح السيارات وكان ماكس وقال لها سنصل بعد عشرين إلى خمسة

وعشرون دقيقة لا صلاح سيارتك بعد ما دون عنوان السيارة، وفي غضون ذلك انقطع التيار الكهربائي عن شقت مارتين ودخل شابين متمرسين على الخطف وقيدوا مارتين ولكمها أحدهم في بطنها ممّا أعياها وقيدت بشريط لاصق يديها ورجليها وهددت بأنها ستقتل إن لم تعطيهم مائة ألف دولار غدا، وفك قيدها وتركت في حالة إعياء، وما على الفريق إلا متابعتها نزلت ولم تستقل سيارتها بل أخذت سيارة أجرة وتابعتها دينا في سيارة جون ونزلت من السيارة الأجرة أمام بيت إليكس مستشار الرئيس وابتسمت دينا ووافقها جون على ابتسامتها بأنهم في الطريق الصحيح، وهبطت مارتين وتوقف مؤشر متابعتها لأن المؤشر في حقيبتها التي نستها في سيارة الأجرة ولن يسمعون ما سيقال بينهم عن المائة ألف دولار أو أشياء أخرى إلى وثارت ثائرة دينا لكن تليفون أتاها من ماكس يريد أن يراها فورًا وتركت جون وذهبت إلى ماكس في غواصته الالكترونية على ناصية الشارع الذي يسكن فيه إليكس مستشار الرئيس، دخلت سيارة ماكس وكان يدير فيلمًا واقعيًا عن دخول مارتين عند إليكس واستقبالها الحار بالأحضان أمام الباب أما في الداخل فكانت مارتين بعد أن تم الاعتداء عليها وضربها ازدادت اشتعالا جنسيًا وجذبت إليكس من بنطلونه إلى أحضانها وخلعت ثيابها وملك إليكس جسدها التي فتحت ساقيها لتجلس على حجره في تأودت محمومة وكأنها أول مرة تفعل الجنس معه ممّا أزعج دينا وضحك جون، لم يتحدثا عن المبلغ المالي ولا عن اعتداء وقع عليها ولا حتى سيارتها المعطلة ولم يكن سوى الجنس هو شاغل هذه المرأة الفرنسية

الشبقة، هكذا قالت دينا.

أما السيد توم الذي كلف من الرئيس كان له رأي مغاير لدينا في الاعتداءات الأخيرة ووضع هدفه في الروس وبدأ يعمل تفكيره وقال أن الذي يستطيع أن يدله هو فلاديمير الروسي الذي أسكنه فسيح جنات أمريكا وأخذ الطائرة وذهب حيث أدله السيد توم أن يقيم وكان بيتا هادئا بين الغابات والبحيرات ولم يسكنه إلا الطيور المغردة وفلادمير وصديقته التي قدمها إلى توم وأشار إليه أن يتجول معًا حول البيت إلى حين تنتهي صديقته من عمل الغذاء، وحكي فلادمير عن الموضوع الذي من أجله زار فلاديمير فقال الأخير لا أعتقد أن هناك علاقة بين الاثنين الرئاسة والجنرال لكني لن أفقد الوسائل لمعرفة الحقيقة.

أصبح الروسي الذي التقط صور الشاب المصاب في المستشفى هاجس كل الجهات من السيدة الرئيس إلى دينا وكل يسعي في طريقه دون علم الآخر، التقت دينا بالسيد توم "صدفة" وهو متجه إلى عمله وألحت أن تأخذ منه عدة دقائق تشرح له موقفها من الشخص الروسي، استمع جيدا لها دون أن ينطق بكلمة وبدأت دموعها تظهر في مقلتيها علامة عجزها، لكن السيد توم يعرفها جيدًا وهي السيدة الماكرة وعلى كل هي تلميذته المتفوقة دائمًا، وأخيرًا نطق وقال لا داع أن تتصلي بصديقك جون الآن وتركها وذهب، جمعت أصدقاء الحرب وقدمت لهم خطة أخرى وان تكن مكملة للأولي بدون صديقها جون من الـ أف بي آي، التقت بهم جميعا بما فيهم جون في أحد المقاهي الشهيرة وشرب الجميع وضحك وتجاذبا الأحاديث الجماعية والأحادية ولاحظ أحدهم

نظرات جون إلى دينا وغمزها بطرف عيونها القاتلة التي تذيب صخر الطريق وتقدم منها طالبًا الحديث على انفراد وهي تطاوعه كقطعة من العجين اللين وأشهرت بعض أسلحتها التي هو في غني عنها لأنه واقع لشوشته، وبعد انتهاء السهرة عزم جون عليها بأن يوصلها إلى منزلها ووافقت بدلال وغنج، ودع كل منهم الآخر ووصلت دينا إلى منزل جون وكان دخولها منزله من علامات النصر التي لم يحظَ بها في حياته لأنها تركت الجميع له وله وحده، أغلق جون الباب وسند ظهره عليه تحسبًا من أن الباب لم يغلق بعد وتقدم إلى هذه القطة الشرسة الجميلة المشتهاة في كل زمان وعصر، خلعت الجاكته وأزاحت الإيشارب من على رقبتها وغاصت بين ذراعيه وأزاحت القميص عن لوحة فنية من التاتواج على صدره وظهره وارتمت عليه وهو ممدد على الكنبة فاقد الوعي من فعل السرنجة التي غرستها في رقبته ومن الباب الأمامي تقدم السرب واحد في أثر الآخر وبدأ تفتيش البيت والهدوم وكل ركن من المنزل لعلهم يعثرون على ما يوقعه في شر أعماله.

الاتجاه الآخر وراء السيد توم الذي تابع العميل الروسي الذي كان على ميعاد معه قرب الميناء الصغير وصل فلاديمير قبل التاسعة مساءً.

ولم ولم يجد السيد توم تجول حول المراكب ودخن سيجارة روسية قوية المذاق ولا تخطيء دخانها النفاذ ودخن الثانية والثالثة بنهم وشراهة المدمن القلق وهو متأكد عن التاسعة تمامًا سيظهر السيد توم، لأنه لايخلف الميعاد، وكانت التاسعة وظهر السيد توم واختفي السيد فلاديمير وهو لا يعتقد في تأخره أو عدم حضوره الميعاد المتفق عليه،

مرت الدقائق ثقيلة على السيد ولاحظ وجود دماء على الرصيف وبدأ يتوغوش ويظن الظنون وبعدها وجد ثلاث أعقاب من السجائر الروسية القوية أحدها لم تنتهي بعد بل مازالت مشتعلة وتلفت حوله ونظر في الماء لعله يعثر على أثر غرق ما وأقلعت إحدى المراكب من مكانها فتأكد بأن من في المركب هم من اغتالوا فلاديمير وإلقائه في قاع البحر، ولن يخرج هذا عن بيترو الجاسوس الروسي القذر.

عادت دينا إلى شقيقتها "آن" ووجدتها مع زوجها وابنتها في حديث عنها وعن نشاطاتها المقلقة، حيتهم وأخذتها أختها على جانب ونبهتها بأن أحوالها لم تعجب أحدا مع إهمالك لبنتك الصغيرة التي في حاجة إليك، ممّا أغضب دينا وصعدت للدور الثاني حيث ابنتها وحملتها مع بعض أغراضها وهبطت مسرعة تاركة البيت تحت وابل من الرجاء والأمل أن تتوقف عن تهورها ولم تسمع دينا لأختها ولا لزوجها ولا حتى لابنتهما.

وذهبت إلى "موتل" على حافة المدينة، ساحبة طفلتها من يدها ولم تقبل فيه لخلو كارتها من النقود وأظهرت كارت آخر وكان كسابقه، وجاءها تليفون من السيد جون يسأل عما حدث له بالأمس وهي كانت في أحضانه، أنكرت دينا عما حدث ولبست ثوب العفة والشفافية وقالت له سأتركك الآن لأني أبحث عن فندق لي ولابنتي، سهم الشاب وخرجت شهامته ودعاها إلى منزله بكل ترحاب وأريحية وقبلت وجدت غرفة لأبنتها وسرير وغطاء نظيف وتمنت لها نومًا سعيدًا حيث قالت لها بنت الثامنة كفاك يا أمي نحن لا نجد مكان ننام فيه، فامتثلت الأم وخرست تماما وعادت إلى جون المرحب بها وشربت الماء المثلج

وحاول أن يضمها إلى صدره لكنها كانت في حالة إزعاج منه، لأنها اكتشفت عمالته للروس ومنذ تأكدها من جاسوسيته سكت جنسها بالضبة والمفتاح كناية على عدم مقدرتها لمزاولة الجنس معه، ونامت وخرج هو إلى "آن" شقيقتها يطمئنها على أن أختها موجودة في بيته ولا قلق عليها، عزمت عليه الأخت عندما طلب بعض الأغراض لأبنتها وأثناء ذلك دخل غرفة دينا ودعبس في أوراقها لعله يجد أثر من آثار أمس وحمل بعض الأوراق التي أعتقد في أهميتها وغادر البيت حاملا أغراض بنت دينا وعاد إلى المنزل ولم يجد دينا التي عرفت أين تعمل زوجة جون المطلقة وذهبت لزيارتها حيث تعمل في شركة لا يجار المنازل وبيعها، استقبلتها بترحاب في بهو الشركة على أنها زميلة لزوجها السابق وتحايلت في تساؤلها عن جون الذي عملت معه في كابول وقالت الزوجة السابقة: إنه فصل من العمل وبعدها لا أعرف شيء عن عمله الذي استمر حوالي خمس سنوات في التجوال من بلد لآخر متحججا أن هذا هو عمله، شكرتها دينا وعادت إلى جون لتجده بشرب كأس الهنا لينام.

نبه السيد توم دينا أن لا تتحدث مع صديقها جون ولا تقابله لكنها لم تفعل، خطف السيد توم رجليه في سيارة حارسين أقوياء إلى بيت ماكس، قاده الحرس وأجلساه وسأله توم عما حدث أمس في بيت جون الـ أف بي آي ولما أنكر هدده السيد توم بأنه وضع مع دينا سماعات وكاميرات تنصت على بيت إليكس مستشار الرئيسة وتعرف تمامًا عقوبة ذلك وهي السجن المؤبد فعليك أن تقول كل ما حدث أمس

وأخذوه في سيارتهم إلى ورشة عمل توم السرية وكانت السيدة تينا أستاذة العلوم السياسية المتخصصة في أحوال روسيا وسياساتها الخارجية وشاب آخر ضعيف البنية لكنه قوي في ذكاء الحاسوب وأزاح له مكان وطلب منه أن يعمل وعليه أن يتذكر كل شيء وإلا السجن في انتظاره إن أنكر أو حاول، أفشى إليكس كل ما في جعبته وأكثر، أما دينا بعد حديثها مع السيد توم حول رحلات جون في بلاد أوروبا الشرقية لاحظت أن هذه العواصم التي أشارت طليقته عليها هي نفس العواصم التي زارتها السيدة مارتين الفرنسية وي نفس الفندق في بعض الأحوال ثم العودة إلى نيويورك، عملت عقلها وفهمت أن مارتين تعمل مع جون وأن بينهم سر وعليها معرفته وطلبت من السيد توم أن تحقق مع جون وبعد رجاء منها لأنها على معرفة قوية بعقليته وكيف يفكر، ومن الأسهل عليها الآن أن تحقق معه لكن السيد توم صدمها بقوله أنا لا أثق فيك الآن، وقالت بل ثق هذه المرة وعلى كل سيكون الصوت والصورة أمامك وبعد إلحاح منها اقتنع بأنها ستعمل له، وجاءتها مكالمة من شقيقتها ممّا جعلها تترك المكان مهرولة إلى منزل "آن" وكانت ابنتها نائمة وطمأنتها أختها بأن المدرسة اتصلت بها بعد انتهاء الفصل الدراسي ولم يأتي أحد ليأخذها وقالت آن ذهبت وأخذت البنت وكانت غاضبة من دينا أشد الغضب وقالت لها أمامك حلين إما أن تذهبي إلى مصحة للعلاج النفسي وأقول لك هذا لكوني طبيبة وليست أختك والحل الثاني أما أن تهتمي بعملك واما تتركي البنت لي وأتولاها قانونيا وتخلي عنها تمامًا، وقال زوج أختها وعليك الآن الاختيار لك ولابنتك.

حاولت دينا الصعود لتطمئن على ابنتها ومنعتها "آن" لأن الطفلة نائمة، وفي زحمة انفعالها قالت لابد من أعود إلى العمل الآن إن البلاد في خطر وأعمل على صد الهجوم مع السيد توم وخطفت حقيبتها وجاكتها ورمحت بالسيارة وكأنها في سباق مع الزمن، وعادت إلى مقر توم السري وبدأت في التحقيق مع من كان مُنتظرًا أن يكون عشيقها وحاول أن يستدرجها في حبه ممّا جعلها تظهر الجانب الآخر من أنوثتها المتنوعة وصدته وسألت وعليه الإجابة بكل جدية فلم تنفع معها كل ألاعيبه واقتنع السيد توم بموقفها الجاد تجاه المتهم وأثناء التحقيق معه دخل عليهم رجل على شاكلة رجال المحاماة النيويوركية.

وقال بلهجة الواثق من براءة المتهم:

ما الذي جاء بك إلى هنا ولماذا أنت هنا؟!

نظر إليه وشبه ابتسامة على شفتيه فأخرج ملف المتهم ومنه ورقة ليمضيها وأعطاه قلمه الحبر ليمضي وقال بعد ساعة ستخرج وكانت تعهد بأنه موافق على أن يدافع عنه هذا الرجل وهذه إجراءات قضائية معمول بها، وخرج ليقف في الجهة الأخرى مع السيد توم، لاحظ جون أن أصابعه عليها حبر القلم ومزع وريقات ممّا تركها المحامي وحاول مسح يده من الحبر، لكنه لم يفلح وواتاه وجع مفاجئ في صدره ورقبته ويده وتلوي ووقع على الأرض في دخول دينا لترى منظره وهو يودع الحياة وهرعت إليه تحاول إسعافه وفهمت ما فعله السيد توم فيه وطلبت نقله إلى المستشفى فورًا.

حضر إلى مكتب الرئيس مجموعة من السناتور لتبليغها بأن تحقيقًا

سيجري ضدك بشأن علاقتك بالروس وأنت سبب موت الجنرال فتحت عيناها كثيرا وهي لا تصدق ما قيل لكن الكونجرس اتخذ قرار عزلها وسيعلن ذلك في وقته لأن السيدة مارتين الفرنسية ستشهد ضدك، استدعت السيدة كاترين الرئيسة الأمريكية السيد "ألان" مساعدها والسيد توم لاستشارتهم وقال توم كان من الأفضل أن تقبلي استقالة ألان والآن على أن أبحث عن الفرنسية لأمنعها من الشهادة وهددت كاترين السفير الروسي بأنها ستأخذ كل ما يلزم ضدكم وعليك أن تحضر مارتين وتمنعها عن الشهادة أتجه السيد السفير الروسي لحفل السفارة لعله يجد بيترو أو مارتين وأشار عليه إحدى توابعه بأن بيترو في الكهف ونزل إليه ووجده وسأله عن مارتين الفرنسية وقال لا أعرف فرد السفير إذا عليك أن تعرف وتركه وخرج للحفل الساهر، أخذ بيترو سيارته وطار بين المزارع والطرق غير المرصوفة إلى أن لاحظ سيارة تنتظره وترجلت منها مارتين وعانقت بيترو واستقلت بالسيارة واخترقت الغابات وتوقف عندما رن التليفون وكان المحدث هو تابع له أخبره بأن العميل الأمريكي جون راقد في المستشفى الرئيسي ولم يمت بعد، انزعج بيترو وقرر العودة لقتله وطلب من مارتين إما العودة معه أو مواصلة الطريق، وعاد وحده منبها محدثه أن يعد أربع أفراد لمساعدته على حصار جون وإنهاء وجوده وأكمل الطريق مسرعا إلى أن وصل إلى المستشفى وعمل على الدخول مُتخفيًا في زي طبيب وعثر على جون راقدًا في إعياء تحوطه كثير من الخراطيم لمساعدة جسده على مواصلة الحياة بإرسال محام روسي لقتلي، اندهش بيترو من هذا النبأ الغير

صحيح بالمرة، إذا هناك أطراف أخرى دخلت الخط وشك في دينا وتوم أنهم وراء محاولة قتله بعد أن أباح بكود العمليات لدينا التي أعطته بدورها لتوم الذي بدأ البحث في هذا الكود السري مع خبراء الكمبيوتر لديه فوجد ماكس مهندس الكمبيوتر أن هناك عديد من عملاء الروس خاصة في معظم دول أوروبا والولايات المتحدة يعملون بجدية لإسقاط الرئيس الأمريكي وطرده من البيت الأبيض.

اتصلت مارتين ببترو وهي في طريقها إلى موسكو أن ينتبه من رئيس الكا جي بي وان حادثه فعليه أن يكون مهذبا وفعلا اتصل به وعرفه بأنه على علم بكل المخطط وعليه العودة.

عاد بيترو الجاسوس الروسي إلى واشنطون وتحايل لدخول المستشفى وقابل جون الراقد لا حول له ولا قوة وعرف بيترو أن جون أخبر دينا بالكود السري لهم فنهض ووضع المخدة على وجه لكتم أنفاسه ومات رجل الـ أف بي آي وعملت له جنازة تليق به.

* * *

"**آن** "شقيقة دينا رفعت دعوي أمام المحكمة لتأخذ حضانة الطفلة شيرين ابنة أختها لأن دينا ليست على درجة تأهلها حضانة ابنتها وسمع القاضي لهم ولمحاميهم بكل انتباه ومهنية ولم يصدر حكما إلا بعد الاستراحة إلا أن ميزان العدل للطفلة كان راجحًا لآن وليس لأمها ممّا حدي بها أن تقابل الأخت خارج الجلسة وقالت إنها اقتنعت برأي القاضي وأنت خالتها تأخذ حضانة شيرين وأراها كل ثلاث أسابيع مرة، وخرجت دينا وودعت ابنتها وكان السيد توم في انتظارها للرحيل إلى

موسكو للقبض على مارتين وإعادتها إلى الولايات المتحدة والـ سي آي أيه لا تعدم الوسائل القانونية أو غير القانونية في تنفيذ الأوامر.

اجتمعت السيدة الرئيس بأعضاء الوزارة وقالت: إن أمريكا تحت التهديد الروسي وعلينا الاتحاد لمجابهة هذا التحدي وافق الجميع إلا أربع وزراء فطلبت منهم الاستقالة وهذا من مهامها الدستورية وفصلت الأربعة وريحت دماغها واستعدت لما هو قادم، أما في الجهة الأخرى في الـ سي آي ايه وضحت خريطة لكل من استطاعت روسيا أن تحركه من الرئيس إلى رجال الكونجرس والسناتير أعضاء الحكومة ممّا أذهل الجميع وحاول الكل أن يبرئ ساحته من الاتهامات الروسية لكن هيهات من الانفلات من الإخطبوط الأبيض وليس الدب الأبيض.

* * *

الفصل السابع

هبطت الطائرة الخاصة الصغيرة البيضاء في مطار عسكري خارج موسكو واصطفت عديد من السيارات المرسيدس السوداء لاستقبال من يهبط من هذا الشبح الأبيض ليلا وكان في مقدمة الوفد الأمريكي السيد توم وخلفه السيدة دينا ثم تسرسب باقي الوفد في الهبوط واستقبلهم رئيس الـ ك ج ب وبعض من معاونيه وكان السفير الأمريكي أول المستقبلين وتقديمهم إلى نظرائهم من روسيا وتعرف توم على أحدهم وكذلك دينا ولم يبدِ أحدهم ملاحظة معرفتهم مُسبقًا، تقدم بهم السيد السفير إلى كان إقامتهم الفخم وتبعهم حقائبهم، وقال السفير إن أردتم الكلام بسرية تكلموا في هذه الغرفة فقط لأننا لا نعرف الغرف الأخرى ولم ننظفها من أية آلة تنصت، فكت دينا حقائبها وكان بها العديد من الأسلحة الخفيفة وركبتها واستعدت للعمل وأسس الآخرون ركن ونصبت فيه معدات التصنت والمراقبة وذهب السيد توم لاجتماع الفريق الروسي لاحظت دينا عدم وجود فلاديمير وألقت بهذا الخبر في أذن السيد توم الذي رفع السماعة من على أذنيه وقال بلهجته القاطعة إننا لن نكمل هذا اللقاء بدون السيد فلاديمير فانتفض السيد رئيس المجموعة الروسية لاستدعاء فلاديمير الذي اكتشفته مجموعة التصنت أنه في حوض السباحة مع السيدة مارتين الفرنسية في قصر جورباتشوف المتصل مباشرة بالبحر، طلب فلاديمير منها أن تخرج لأن لديه لقاء الآن وذهب إلى لقاء

الأمريكيين وكانت فرصة سانحة لدينا أن تعد لإلقاء الهجوم والقبض على مارتين وهي بدون حراسة فلاديمير لها، تحرك فريق دينا المدرب على هذه الهجمات في أفغانستان وتسلل كل في مهمته إلا أن الحظ لم يحالفهم وتبادلت طلقات نار من الجانبين وفشلت مهمة الهجوم والقبض على مارتين، اختفت في حجرة بالقصر واستسلمت للقراءة وكانت دينا متأكدة من أنها داخل القصر وتابعتها الأجهزة الإلكترونية وفي الدور الثالث بالمبنى القوي البنيان القديم معماريًا، تسلقت وتسللت دينا إلى أن دخلت القصر من الخارج على ارتفاع ثلاثة أدوار وجدت مارتين تقرأ ومن خلفها وجهت دينا سلاحها إلى ظهر مارتين وبعد لحظات التفتت مارتين مفاجئة دينا بسلاح مضارع لسلاحها وقالت دينا بهدوء وبصوت جاد أن فلاديمير منتظر لحظة عودته لتصفيتك لأنك عقبة في طريقه وأمامك الآن فرصة سانحة معي بأن تعودي إلى أمريكا معززة ناجية من هذا السفاح الذي لم يتورع عن قتل جون وهو على سرير المستشفى، رضخت مارتين لدينا واتفقا على الزوغان وتبدل حال شكل كل منهما وهربا من القصر الذي كان ساحة قتال بين أنصار فلاديمير ذات اللباس الأسود والحكومة من جهة والشرطة من جهة أخرى. وكانت لحظة هروبهم تواجد فلاديمير في الدور الثالث ينظر خلفهم وقد اختلط عليه الأمر بين مارتين التي وضعت شعر أصفر مستعار على رأسها وبين دينا التي وضعت خمارًا أسود على شعرها الأصفر وانطلقت السيارات بهم تحوطهم طلقات نار أتباع فلاديمير إلى أن وصل بين هذا الهرج والمرج من الذين أوقفوهم وبطحوهم أرضًا مجموعة دينا التي

استعارت نفس الملابس السوداء وحمت دينا ومارتين وتم الهروب الرائع بمارتين إلى أمريكا.

فتح باب الغرفة البيضاوية فجأة وتخطي الحراسة مُوجهًا الكلام إلى السيدة الرئيسة حضرت الآن لكي أرفعك من منصبك طبقا للدستور الأمريكي وآخذ مكانك فورا، هذه الكلمات الصاروخية موجهة إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من نائبها السيد مايك.

هكذا أقر الكونجرس الأمريكي بالإجماع وكذلك الوزراء ولا مناص إلا أن تظعن لصوت الديمقراطية الأمريكية، وخرجت من المكتب البيضاوي، لكن صوت الديمقراطية لم يسمع بعد.

أقلعت الطائرة مُتأخرةً بعض الوقت عن ميعادها بأمر من السفير الروسي بواشنطن الذي استدعاه في مكتبه الرئيس الأمريكي ليسمح لفريق دينا بالرحيل واستمعت هي لهذه الكلمات وابتسمت تحت وابل اللكمات من فلاديمير الذي شط غضبًا وحنقًا على هذه السيدة الأمريكية الجميلة التي خدعته في عقر داره، وألقى بها في زنزانة انفرادية ككهف القديسين وكلبهم، دخل عليها حارسها الذي يتحدث الإنجليزية وطلبت منه أن يساعدها في العثور على دوائها وكرجال الـ كي جي بي ذات الوجوه المقددة سمع وذهب وعاد فلاديمير ليخبرها أما أن تقولي أن هذه مؤامرة الـ سي آي ايه وأما الدواء انتفضت الجميلة وقالت بكل عنجهية لن أقول ولن أشبع رغبتك الانتقامية، تركها وخرج ودامت في السجن دون محاكمة ولا يقتل الذي رضع الديمقراطية طفلا إلا أن تحجر عليه دون سبب ولا دفاع.

لم يهدأ السيد توم ولا فريق دينا عن متابعة أحوالها يوما بيوم ي عادت السيدة كاترين الرئيس الشرعي للبلاد إلى المكتب البيضاوي في بيتها الأبيض وشرعت في البحث عن وسيلة لاسترداد دينا من موسكو إن كانت هناك، وبدأ مسعاها يأتي بثماره في صفقة تبادل ستة أسرى روس في أمريكا مقابل دينا، تحملتها الرئيس والخارجية الأمريكية وتم تبادل الأسري على الحدود الألمانية حيث ألقى بها الـ كا جي بي ليتسلمها السيد توم بعد حبسها انفراديًا وبدون دوائها لمدة ستة أشهر لم تتعرف على توم وهي تصرخ وتطلب النجدة وأصيبت بهستيريا شديدة ممّا دعا السيد توم أن يصطحبها بطائرته الخاصة إلى دار للعلاج بواشنطن، ونجحت مهمتهم بعودة مارتين وتقديمها للمحاكمة بقضاء الكونجرس وبرأت ممّا نسب إليها وهي العميلة الروسية بدرجة كابتان في جهاز الـ كي جي بي.

وقف فريق دينا انتباه في جحرهم احتراما لرئيس البلاد التي جاءت بنفسها لشكرهم على مساهمتهم في تبرئتها ممّا نسب إليها وعودتها إلى البيت الأبيض، أما السيد مايك نائب الرئيس لم يجلس خلف المكتب البيضاوي سوى ثلاثة أشهر فقط، ولم يسعَ مايك يومًا إلى الرئاسة، بل همه الأسمى هو إنقاذ الديمقراطية الأمريكية من الانهيار.

حيث يقول دائما لن تنهار الديمقراطية الأمريكية لأن هناك معادلة نسبية بين الحرية والديمقراطية، كلما زادت حرية الشعب في الاختيار ترسخت الديمقراطية.

استقلت السيد الرئيس سيارتها وطافت في المدينة ووقفت على قبر

ابنها الذي قتل جنديًا في العراق ومنه طافت المشاهد التاريخية للمدينة الساهرة وحلمت بأمريكا أكثر حرية وأشمل ديمقراطية وأقوي اتحاديا وعملت فكرها ثم جلست على مكتبها البيضاوي تخط تاريخ أمريكا بكل حرية وثبات لأنها عرفت أنها ليست القائد الذي تريده بلادها وأرسلت استقالتها وقبلت نائبها وأخذت سيارتها الخاصة عائدة إلى منزلها.

ترمح دينا في ممر مصحة الأحوال النفسية التابعة للجيش الأمريكي في ألمانيا والرياضة البدنية علاجها الناجع عندما تشعر حاجتها إلى دواء الهذيان الذي منعت عنه ستة أشهر حبيسة السجن الروسي في موسكو وأنها فقدت ذاكرتها ووضع أصحاب السجن لها ذاكرة أخرى ممّا شوه أفكارها وقلب مخها رأسًا على عقب، لكن دينا الجميلة هي دينا القوية التي تتغلب على كل الصعاب، استدعاها محقق أمريكي ليثبت أنها ليست على ما يرام ورغم حجته لم يستطع إقناع السيد توم بفصل دينا من الـ سي آي أيه واستمرت في الجري والرياضة والتدريبات الأكثر صعوبة حتى استردت نشاطها تحت أعين السيد توم من وراء ستارته، واقتنع بأنها هي التي يبحث عنها للمهمات الصعبة وهي الخبيرة بأفغانستان وباكستان وكابول والشرق، وأشار السيد توم عليها مهمتها القادمة في أفغانستان وعلاقتها مع نائب الرئيس ستوصل الوسيط الأمريكي بين طالبان وأفغانستان لانسحاب أمريكا وترك البلاد، لقاء وفد طالبان بالحكومة الأفغانية فشلت وأعلن نائب الرئيس الأفغاني أنه لا إفراج عن المعتقلين الطالبان الألف وخمسمائة، وخرج وفد طالبان غاضبا بعد سماعه كلمة نائب الرئيس، لكن السيد توم لم يعدم الوسيلة

وهرع ورائهم وطلب من رئيسهم التريث فقال الوقت انتهي وليس لدينا ما نفعله هنا، فقال توم أمامكم كل شيء تفعلونه اللقاء والحلول لم تنتهِ بعد، فرد طالبان لابد من الإفراج عن المعتقلين وقالت أفغانستان كلمتها، طلب منه الانتظار عدة دقائق ورمح السيد توم لمقابلة السيدة نادية رئيسة وفد باكستان في المؤتمر وطلب منها أن تتدخل لحل الأزمة الآن لكنها رفضت التدخل ممّا أغضب توم وهرع مرة أخرى إلى طالبان ليلعب معهم آخر ورقة، من أوراقه التي لا تنتهي، وطلب من رئيس وفد طلبان أنتم تريدون الأسرى وأفغانستان ترفض والحل أقدمه لكم الآن وهو الإفراج عن خمس معتقلين من طالبان في جوانتانامو فنظر إليه غير مصدق وقال أتستطيع حقًا ذلك قال السيد توم سأحاول فقال زعيم طالبان نحن موافقون على شرط أن أختارهم أنا، فقال السيد توم سأحاول مع الإدارة الأمريكية وأعطيك الجواب.

استقلت دينا موتوسيكل كانت وضعته في مكان للطوارئ وتلوت مع حواري كابول وأذقتها حتى وصلت إلى منزل يظهر عليه لأحد الأثرياء من أصدقائها أيام ما كانت تعمل هنا ودقت الباب الزجاجي المؤطر بالحديد المشغول وفتح عن صبي وسألته: إن كان والده هنا، تركها داخل البيت وذهب لاستدعاء أمه وحضرت سيدة محجبة مخمرة الرأس وقالت دينا أنا دينا صديقة زوجك وقد عملت معه سابقًا ألم تتذكرينني؟! تجاهلتها السيدة ذات الخمار مدببة عينيها المكحلتين بالسواد في عين دينا وقالت هو ليس هنا ولن يأتي حاولت دينا أن تفهم فرد الصبي قائلا لماذا لا تخبريها يا أمي فردت دينا تخبرينني عن ماذا فنظرت

السيدة خلف دينا ممّا أفزعها والتفتت فوجدت صورة زوجها مؤطرة بإطار أسود، أنه مات فسألت دينا متى؟ فقالت منذ خمسة أشهر وعقبت دينا كنت في السجن ولم أكن أعرف.

انتبهت السيدة وطلبت من دينا أن تترك منزلها فورا لأنها هي سبب قتل زوجها من طالبان، وخرجت دينا في غاية الأسف والحزن على صديقها الذي كانت تعتمد عليه في كل مهامها في أفغانستان، لكن وجودها معه كان دليل شبهة تكفي لقتله.

خرجت مسرعة تبحث عن الموتسيكل وكان ثلاثة ملثمين من طالبان حوله فأطلقت العنان لساقيها هربا وتابعوها لقتلها أكيد لشعرها الأصفر الفاقع رغم وضع الخمار الأسود على جزء من رأسها وبقبضتها دقت أول باب وثان باب وثالث باب ولم يفتح أحد وهم يلاحقونها ودفعت باب مشع ضوءا عن امرأتين مسنتين يعملون على طاولة نظرت إليهم وطلبت مساعدة ولم يفهم عليها ولم يرد أحد اختفت خلف ستارة وهم يدقون الباب دقات مزعجة ولم تسمع السيدتان لهم خبطًا ولا رزعًا ممّا دعاهم إلى الانصراف وفرت دينا عندما اطمأنت من رحيلهم، وذهبت إلى صديق آخر قد ساعدته ببعض المال لشراء سيارة لنقل الغاز من وإلى وهي تجارة بسيطة ومربحة لتعيش أسرة على حد الكفاف لكن الولد كان نشيطًا وفي غضون عام أشار إلى دينا أن له هذه السيارات السبع، وطلبت منه المساعدة فلم يتأخر عن تقديم الخدمات التي تريدها.

* * *

أما مجموعة الفدائيين الخمسة الذين كلفوا بحماية المهندس ماكس

للذهاب معهم لإصلاح عطب جهاز البث المباشر من وإلى المنطقة المحيطة بهم في أفغانستان وباكستان والتصنت على طالبان، وهي مهمة في غاية الخطورة ولم يعرف أحدهم أين تقع مهمتهم وبدأ الأربع فدائيين من المارينز المدرب غاية التدريب أن تململ واحد بعد الآخر لكن دون رفض، وقادهم قائد العملية ليلا في سهول أفغانستان الوعرة ولا شيء حولهم سوى أشجار متناثرة هنا وهناك جافة كأشباح المعارك الليلية وكان قائد المجموعة على اتصال دائم بالقيادة لتدله على المكان وتوقفت المجموعة واستعدت لهجوم عليها أو للدفاع عن ماكس وأشارت معداته إلى صخرة ليست كبيرة توقف عندها وأزاحها ووجد صندوق فأشعل مصباح أحمر لكي لا يراه العدو وبدأ في البحث عن العيوب واستغرق وقتا كافيا لفتح الحديث بينهم وكان ماكس الغريب بين الجنود وسأله احدهم هل تعاملت مع جهاز مثل هذا فقال نعم في السفارة الأمريكية ساعة هجوم طالبان عليها، اندهشت المجموعة التي اعتقدت أنهم الأقوى والأشجع والأدهى لكنهم لا شيء من رجال السفارة في هجوم طالبان ممّا دعاهم الوقوف لماكس احترامًا وتقديرًا والتفوا بأجسادهم حوله لحماية أحد أبطال السفارة الذي نجح بإصلاح العطب وأنه التقط إشارات من طالبان فحواها أنهم لا يريدون الحرب واتصل بالسيد توم ليخبره بهذا النبأ الذي يضارع ما يطمع فيه توم أيضًا.

استعدت دينا للقاء نائب الرئيس الأفغاني بالبحث والتنقيب حوله من معارفها هنا وهناك واستدلت أنه قتل أحد الموالين للرئيس ممّا أغضب زوجته وطالب بالقصاص منه، وضعت سيناريو سريع لشركة الكترونية

تطلب موظفات وكانت هذه المرأة منذ مقتل زوجها تبحث عن عمل وتقرب مكتب الشركة من هذه السيدة وتدعي سميرة وحضرت في مقابلة مع مسؤولة الشركة المزعومة وهي حارسة دينا لكن للأسف لم توفق كاتي حارسة دينا في جذب السيدة سميرة إلى الشركة وطلبت الانسحاب فورًا وانتفضت وفرت في انزعاج ممّا دعا كاتي أن تطلب الأمن لتوقيفها لكنها زاغت وهربت، وصل الخبر إلى دينا التي أخبرت توم والذي طلب أن يقبض عليها والتحقيق معها لعلها توصلنا إلى طريق نضغط به على نائب الرئيس وافقت دينا على أن تذهب هي إلى منزلها أثناء التحقيق معها لعلها تجد شيء هام يساعدها فيما هي فيه، وتمت الخطة سريعا وأرسل اثنين من الـ سي آي أيه ورابطوا أما منزلها ودينا مع فريقها في سيارة أخرى للحظة الهجوم على منزل سميرة و ظهرت سميرة وتابعها الرجلين ولثموها ووضعوها في سيارتهم وهرعت دينا إلى منزل سميرة مع اثنين من المدربين على البحث والتفتيش عن لا شيء محدد، وعن كل شيء، أخذ كل منهم حجرة لتفتيشها وكتبها الكثيرة فرت وخزانة ملابسها ومطبخها ولم يعثر على شيء ووقف ثلاثتهم يتدبر الأمر أنه لابد وأن يكون هناك شيء تخفيه وكانت خزانة ملابسها مفتوحة وأدهش دينا أن سميرة لديها بنطلون جينس فمدت يدها إلى الخزانة وجذبت البوركا الصوف التي تكفن بنات المسلمين عند خروجهن وضعتها أمامها على الطاولة تحسس كل جزء فيها إلى أن صدمت أصابعها جزء صلب ومزعت البطانة فوجدت شريحة كمبيوتر لا تتعدي طول الأصبع أخذتها كأنها عثرت على كنز من كنوز على بابه وعادت مع

فريقها إلى المكتب لتشاهد ما على هذه الشريحة الهامة وكان عليها الكثير ودخلت على سميرة وبادرتها بأنها لن تؤذيها لكنها تطلب تفسير وأظهرت لها الشريحة فلم تنكر وقالت أذهبت إلى منزلي؟!

قالت دينا نعم وفتشته جزءًا جزءًا والآن نتحدث وعزمت عليها بزجاجة ماء لطرد الوحشة لكن هيهات إنها دينا المدربة. وسألت عن علاقتها بنائب الرئيس الأفغاني فقالت أنه قاتل زوجي وهو رجل سارق ولي طار عليه بعد أن صفي حياتي ودمرها، تركتها دينا تقول وتتذكر إلى أن قالت لها وما علاقتك ببناء القاعدة العسكرية التي وضع تخطيط لها وأنت الشاهد وهنا كان مربط الفرص فلا داع أن تخفي شيء عن دينا إنها تعرف كل شيء وقالت سميرة عملت في مكتب نائب الرئيس وكنت أجمع معلومات عنه وعن هذه القاعدة لمساعدة زوجي إلى أن علمت أنه أخذ من الأمريكان ثلاثة وثلاثين مليون دولار لإنشاء هذه القاعدة بالإضافة إلى ثمانية مليون دولار سنويًا للإصلاحات والتجديدات وخلافة وخاصة هذه ما يسمي خلافه، أين تقع هذه القاعدة؟ قالت دينا وأشارت لسميرة أنها تقع على الورق فقط وليس لها وجود، وأخذت سميرة الشريحة وخرجت مصحوبة بشكر دينا.

* * *

ظهر بيترو لدينا في مفاجآت غريبة وكأنه يتتبعها، عند انتظارها للدخول إلى السيد نائب الرئيس الأفغاني لمحته خارج من مكتبه غامز بعينه اليسرى لها فقالت ابعد عني أيها الوغد لا طريق يجمعنا فقال لها أنا الذي سهلت لك لقاء السيد نائب الرئيس وغمز بعينه اليسرى واختفي

وهنا علمت دينا أن الأفغان يعملون مع الروس وبأمرهم، وكانت معلومة مهمة لها ودخلت على نائب الرئيس مفعمة بالغم والحقد على هؤلاء الأوغاد الذين ليس لهم أدني تقدير لشعوبهم، بل تقديرهم هو جمع المال فقط أما ناسهم وشعوبهم إلى الجحيم، طلب منها نائب الرئيس أن تجلس وكان ظاهرًا عليها ما تحمل له من ضغينة وحقد، وقالت والآن عليك أن توافق على تبادل الأسرى وسأترك لك ساعتين لذلك وإن لم يكن فمعي ما يثبت إدانتك وخيانتك لا أقول لشعبك بل لحكومة الولايات المتحدة لابتزازكم لثلاثة وثلاثين مليون دولار للقاعدة العسكرية الوهمية والتفتت إلى الباب وأعادت قائلة ساعتين سيدي نائب الرئيس وخرجت.

كانت سرعة السيد توم مائة في الساعة للوصول إلى السلام لكن حدث اعتداء غير متوقع على شجاعة قائد طالبان حسن كندار وهو في طريقة لمؤتمر السلام في كابول وفي انتظاره السيد توم وإذ به يلمح قناصة على إحدى البنايات فوقف بشجاعة في وسط الطريق يلوح لأول سيارة في طابور سيارات طالبان لكي تتوقف لكن طلقات بنادق القناصة كان أسرع وانهال الرصاص على أول الطابور وفرقعت السيارة الأولي وانقلبت في بحر من النيران وتوقفت الحياة في كابول ولم يصب السيد كندار الذي ترجل وطلب القبض على من في طريقه ووضعت أساور الاعتقال في معصم السيد توم وقيد إلى محبسه وواجه قائد طالبان وجهًا لوجه ولطمه بكعب بندقيته على وجهه مُعتقدًا أنه صاحب الهجوم، لكن القائد كندار لم يقتنع بأن السيد توم هو صاحب الهجوم لمعرفة سابقة بينهما في قندهار عندما أعتقل توم هناك، وكان يدور

بينهم أحاديث عن الحرب والسلام وكانت وجهات نظرهما متطابقة عن الحرب والسلام، فكيف به يفعل ذلك.

* * *

إليكس الرئيس الأمريكي الجديد والذي كان نائبا للسيدة كاترين الرئيس الأمريكي المستقيلة، اجتمع بحكومته ومستشاريه للوقوف على سير العمليات في بلاد الشرق المزعجة وطلب نائبة بان يفصل السيد توم من مكانه لأنه يسبب قلق لمعرفته بزعيم طالبان وأعتقد أنه يعمل لصالحهم، ابتسم الرئيس وقال علينا الآن تحرير السيد توم قبل فصله أو القبض عليه، فخرس النائب ولم يضع منطق لرجاحة فكرة السلام لدي الرئيس وهذا ما يسعي إليه السيد توم كذلك، السلام أولا في بلاد الشرق المزعجة بإسلامها الذي يدعو إلى السلام، وليس بمسلميها.

أراد رئيس مجموعة الـ سي آي ايه بأفغانستان أن ينهي وجود دينا لديه، وطلبت منه أن يمد في مدة وجودها لأنها تعلم تماما أن الروسي بيترو يعمل الآن مع نائب الرئيس الأفغاني على إفشال مباحثات أمريكا مع طالبان، وسألها كيف وصلتي إلى هذه المعلومات؟ قالت دينا إنه رأته خارج ومجموعته من حجرة نائب الرئيس وأشياء أخرى أزعجتني وأريد مراقبته فأعطاها رئيسها ثمانية وأربعين ساعة لإنهاء مهمتها وشكرته على مضض وخرجت من مكتبه في مقر السفارة الأمريكية المحصنة إلى الشارع واتصلت ب بيترو وكان لقاؤهم على الرابعة وثماني دقائق بتوقيت كابول في ميدان الشيخ، فقبلت وروقبت بغواصة السفارة خوفا من وقوع مكروه لها، وبالمناسبة يستمعون لحديثهم، ذهبت دينا قبل

الميعاد وعلى الرابعة عصرا كانت في الميدان تحت مراقبة أعين السفارة ومسامعهم، وأعلن آذان العصر في جامع الشيخ امتلأ الميدان بالمصلين وعم الهرج والمرج بالمسلمين من كل فج حول إعلان موعد الصلاة وبيترو بدينا أيضًا وجلسا على حافة نافورة المياه المتوسطة الميدان قبالة مئذنة الجامع وبدأ بيترو حديثه بالأسف عما صدر منه من اعتقال دينا وتهوره عليها ولكمها وقبل انتهاء الآذان وقف بيترو مُصافحًا دينا وذهب، وما تزال غواصة السفارة تحاول إصلاح عطب الصوت الذي غطى عليه صوت الآذان وكانت هذه فكرة بيترو الروسي في حديثه مع دينا ولم يسمع الأمريكان ما دار بينهما وعادت دينا إلى السفارة وسبقها رئيسها للاطلاع عما دار بينهما، فأعلنت له بدون أهمية أن حديثهما كان دون قيمة تذكر وحكت له حكايات مختلقة.

قال حسن كندار لمعاونه أن السيد توم لم يكذب عليه وهو صادق فقال تابعه إن الذي فتن علينا هو من داخلنا وتردد في القول فنهره كندار بغلظة فلفظ اسم طارق، فقال له كندار أأنت مجنون طارق ابني قال نعم هو طارق ابنك هو الذي أبلغ الباكستانيين عن وجودك ومرورك وذهابك إلى اجتماع السلام طبقا لأوامر السيدة نادية رئيسة مجموعة باكستان ووعودها له إن سقط زعيم طالبان سيكون هو أمير الجماعة وستعترف به دولة باكستان أميرًا على طالبان هكذا سمع مؤشر أو جاسوس كندار في مراقبته لطارق، طلب حسن كندار ابنه تليفونيًا ممّا أزعجه وهو مع السيدة نادية يبحثان أمر الإمارة المرتقبة وقال فزعا أبي! أبي لم يمت؟ فقال حامل التليفون هو عينه تفضل وفتحت نادية

عيونها الجميلة كحور عين بنات الجنة وصمتت وطلب الأب من ابنه أن يحضر حالا لأنه توحشه، ذهب على الفور إلى منزل أبيه فوجده ناصب المشنقة لموت ابنه وحاول أنصار الأب أن ينهوه عن قتل ابنه ففك الحبل من على رقبته وطلب أن يلقوا به خارج البيت والمدينة ككلاب السكك، أفرج عن السيد توم وخرج مع كندار إلى بيته مُعززًا مُكرمًا وطلب الصلح لأنه يريد أن يذهب إلى بيته ليستريح.

وهذه أمنية كل محارب بعد أن فقد أبنائه الثلاث والرابع طرد ككلب أجرب، صدقه السيد توم وبدأ اتصالاته لتوقيع معاهدة سلام على أن يبدأ بإلقاء السلاح فوافق زعيم طالبان.

كركر الهوندا وعليه أميرة الصحراء والجبال والأودية دينا بيري زوجة سام سالفاتور ديفرانكو الذي تتخيله معها في كل لحظة ويعيش بداخلها أنها شاهدته وهو يداعب شيرين ابنته وهي سعيدة والدها المقتول غدرًا، كفنت الموتوسيكل الهوندا بغطاء تحت سلم الـ سي آي ايه وعبرت المطبخ إلى أعلى ثم هبطت ثلاث درجات إلى صالة الاتصالات الإلكترونية والتي تعج بزنين كالنحل في يوم مشمس في حقل برسيم أخضر مزهر بالورد الأبيض، صدها رجل من الأمن وقادها إلى الخارج وسألت إلى أين؟ ولم يرد وكأنه لم يسمعها فزاغت عيونها المكحلة بكحل طبيعي أغمق من شعرها، وأعادت السؤال في الطريق وهو صامت ومرت السيارة أمام إعلانات الطرق السريعة يسارًا "إلى المطار" فقالت إلى المطار تأخذني ولم ينظر إليها وكأنه أطرش وقالت في نفسها هكذا تتعامل الـ سي آي أيه مع أعضائها المخلصين، وصلت

إلى مطار عسكري في القاعدة العسكرية الأمريكية المحصنة ومرت السيارة إلى صالة من الصفيح لوضع طائرة وعدة عربات وترجلت وإذا بها أمام السيد توم شخصيًا! لم تفهم شيء وسألت في دهشة هل سترحل معي؟ ونظر إليها ولم يفهم سؤالها وقال نحن هنا لأن السيد الرئيس الأمريكي سيصل بعد أربع ساعات من الآن وطلب أن تكوني من مستقبليه، أفرجت شفتاها عن ظل ابتسامة وأشرق الوجود لها، تركها وذهب ليعد لاستقبال الرئيس، فتلاطمت أفكارها بالرغم من أنها قابلت الرئيس عديد من المرات إلا أن صدمة المفاجئة كانت قوية وبدأت في لملمة أفكارها وكيف ستتحدث إليه ولماذا طلب وجودها هي بالذات؟ أما الذي كان يشغلها أنها ليست في هندام مناسب لاستقبال رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والأدهى أنها لم تضع أية مساحيق تجميل نسائية على وجنتيها وشفتيها لتبدو أكثر رونقًا، لكنها تراجعت عن هذه الأفكار المراهقة وبدأ زنين طائرات الرئاسة بالاقتراب إلى أن حطت أول هليكوبتر عسكرية ولحقتها الثانية حوطت قوات الحراسة الطائرتين وبدأت القوات تتقاطر من قلب الطائرتين إلى قلب المعسكر الشديد الحراسة وكان في استقبال الرئيس السيد رئيس دولة أفغانستان ومرافقيه، تقدمت دينا بيري إليه مصافحة وهو يبتسم ويشد على يدها امتنانا وقال لها أريد أن أعلن للجميع شكري لك وعلى عملك في إنقاذ حياتي، لكن مهمتك هنا سرية ولذلك أشكرك هنا، امتلأ وجه دينا بابتسامة ي ظهرت أسنانها البضة البيضاء الناصعة كالحليب الصابح وتركها السيد الرئيس ليتفرغ لخطابه مع الرئيس الأفغاني من القاعدة

الأمريكية ووسط جنوده البواسل وقال فيما قال نحن هنا ومعكم نعلن السلام مع السيد الرئيس الأفغاني وتستعدون من الآن أن تعودون إلى منازلكم ومن اللحظة وافق السيد حسن كندار على إلقاء السلاح ووقف إطلاق النار بين الجوانب المتحاربة منذ عشرون عاما دون توقف. صفقت جموع الجنود وعم الفرح وإلقاء قبعاتهم في الهواء تعبيرًا عن فرحتهم بالسلام، ودمعت عيني الجميلة لأنها تذكرت حبيبها وعشيقها وصديقها سال الذي بدأ النضال مُبكرًا لهذه اللحظة النادرة التي يتطلع فيها الأعداء إلى السلام.

دوت مراوح طائرتين السيد الرئيس بأزيرها المزعج وهبوب رياحها المدوية المختلطة بتراب الجبال وارتفعت إلى السماء.

أعلن السيد توم من على شاشات التلفزيون لقاء السلام في احتفال رسمي وفي واشنطن أعلن السلام أيضًا من فم توم مهندس السلام وفي غمرة حديثه جاءه نبأ هز كيانه وارتجف وأغمض عينيه علامة مصيبة كبرى حدثت وليس منها على لسانه أي تعبير بأية لغة، وهي اختفاء طائرة الرئيس من على شاشات المراقبة.

* * *

اتصلت سميرة هاتفيًا بدينا تخبرها بأن شقيق زوجها في بيتها يطلب منها الزواج والعودة معه إلى بلدتها وهذا أمر العائلة قالت ذلك سميرة وهي مختفية في الحمام خوفا من الرجال الذين صاحبوا شقيق زوجها المغتال، طمأنتها دينا بأنها ستساعدها وهي الآن في طريقها إلى بيتها وطلبت من سائقها أن يتجه إلى وسط المدينة وبعد تردد أعطته أمر

بأنها هي صاحبة القرار وليس هو وفعلا تركت السيارة قافلة سيارات استقبال الرئيس وعرجت إلى وسط المدينة حيث بيت سميرة وهي لا تعرف كيف تتصرف لخلاصها من شقيق زوجها ورجاله، لكنها وضعت الخمار الأبيض على رأسها وخرجت من السيارة تراقب سيارات هذه المجموعة أمام بيت سميرة فوجدت من بينها سيارة تويوتا رباعية وبداخلها أسلحة نارية، وكانت السيارة التي ستنقل فيها سميرة طبقًا لخبرتها الأولية وفعلا حضرت سميرة مغطاة تمامًا بين رجلين أشداء، عند استعداد السيارة للرحيل ظهرت فوهة مسدس دينا الثقيل موجه إلى رأس السائق وخضع وخرجت سميرة لتقفز في السيارة المعاكسة وتنطلق بهم في سباق مميت مع الريح وبين أشباح الناس في الطرقات إلى أن وصلت بهم السيارة إلى مقر السفارة الأمريكية فاختل توازن سميرة قائلة دون أن تفهم شيء أكل هذه الاستعدادات العسكرية "لي".

وقالت دون أن يسمعها أحد "آه هذه هي أمريكا بلد الحرية" تركت دينا سميرة مع مساعدتها أو حارستها وقفزت داخل المبنى مطمئنة سميرة أن لا تنزعج فهي معها في أمان.

انزعجت كل السلطات الأمريكية في واشنطن حول اختفاء طائرة الرئيس وكلفت الطائرة الثانية بمتابعة البحث في نقطة اختفائها على الرادار، سعد نائب الرئيس الأمريكي وسعدت نادية ونائب الرئيس الأفغاني لاختفاء الرئيس الأمريكي أو موته ولكل منهم رأي وطريقة، لمحت الطائرة المكلفة بالحراسة دخان يتصاعد من وسط الغابات واتجهت إليه لعل وعسي وفعلا كان حطام طائرة الرئيس، لكن الهبوط في هذه

المنطقة ليس حلا وبدأت تزأر الطائرة حول الدخان لعلها تجد مكانًا قريبًا تستطيع الهبوط وصورت الموقع وأرسلته إلى القيادة.

تكتمت حكومة واشنطن على الخبر لحين التحقيق من وراء هذه الحادث البشع التي راح فيها رئيسين، انزعج نائب الرئيس الأمريكي ولم يعرف ما بعد أما نائب الرئيس الأفغاني يعرف تمامًا ماذا بعد فكلاهما لا يحمل ود لرئيسه؟!

ألقى نائب الرئيس الأفغاني كلمة أنه الآن الرئيس وأرسل قوات سريعة للقبض على عناصر طالبان في الشوارع، وغضب حسن كندار زعيم طلبان وترك كابول إلى مخبأ آخر خوفًا من الاعتقال من أعداء السلام، بعد اتصال هاتفي من السيد توم بذلك وهو واثق تماما أن حسن كندار ليس منفذ هذه العملية، أما نائب الرئيس الأفغاني طلب القبض على حسن كندار باعتباره هو منفذ العملية دون دليل، تحركت القوات الأمريكية إلى الموقع وفي صحبتهم المهندس ماكس الذي تلقي مكالمة من دينا تطلب منه العثور على العلبة السوداء للطائرة المنكوبة، وفي طريق الجنود المحملين بالأمتعة والسلاح في المنطقة الوعرة كانت مهمتهم صعبة جدا وخاصة عندما هاجمتهم أفراد طالبان وقتلت منهم ما قتلت ولم يبق منهم سوى ماكس بعلبته السوداء وحارس معه وأرسل ماكس للقيادة بحال المعركة التي خسر فيها الجنود وأعز أصدقائه ونظر إلى حارسه وهو يشهق شهقته الأخيرة ومات برصاصة في رقبته ورفع ماكس يديه لأعلا علامة التسليم للعدو وأنه ليس جندي لعل ذلك يمد لحظات حياته ليتصل بدينا يخبرها أن العلبة السوداء في حضنه.

أما في واشنطن فكانت الديمقراطية محل نزاع بين أطراف الحكومة المجتمعة بصفة مستمرة وكان معظمهم وخاصة نائب الرئيس لا يرغب في السلام الذي وقعه الرئيس الأمريكي وجاء موته مكسبا له في سباق الرئاسة القادم، أما غرفة العمليات العسكرية والـ سي آي أيه كان الوضع مختلفا تمام، عندما خرج نائب الرئيس من غرفة الاجتماعات الحكومية وذهب إلى المكتب البيضاوي هرع مستشاره ورائه لتغليب فكرة السلام أو اتخاذ موقف واضح الآن قال على القيادة العسكرية أن تتخذ القرار هناك على أرض المعركة قال المستشار أنت رئيس القيادة العسكرية وعليك اتخاذ القرار وأشير عليك الآن أن تنسحب قواتنا، ثم ضرب الموقع الذي به جسمان الرئيس بالقنابل لأنه لو العدو عثر على جسمان الرئيس ممكن أن يكون عبرة في سحله في شوارع كابول، وافق الرئيس بالنيابة وطلب من مستشاره أن يبلغ القائد العسكري هناك بالضرب وفعلا اتصل به لكن القائد العسكري طلب أن يكون الأمر صادرًا من الرئيس ذات نفسه.

تناول سماعة التليفون وقال "اضرب" فقال الجنرال لابد أن يكون الأمر واضحًا فردد الرئيس بالنيابة الأمر واضحًا بضرب مكان سقوط الطائرة التي بها جثمان الرئيس الأمريكي والرئيس الأفغاني.

رفع ماكس يديه للتسليم وتقدم منه طالبان شاهرًا سلاحه ولم يفهم كل منهما الآخر وقيد بين الجبال والسهول ي جف جلده من أشعة الشمس المحرقة ولم يمهله الآخر بأن يستريح أو يلتقط أنفاسه تركه الأفغاني ليفك حظره القرفصاء وانتهز ماكس هذه الفرصة للهرب تحت تلة إلا أن

الأفغاني بادره بطلقة نارية في ظهره قذفت به أرضًا.
استولى الأفغاني على حقيبة ماكس وأخرج محتوياتها الالكترونية والتي لا يفهم فيها شيء فقرر بيعها لتاجر خردة الكترونية ولم يفهم هو الآخر ما هي هذه الحقيبة السوداء ذات الأهمية القصوى في معرفة أسباب سقوط طائرة الرئيس، وترك ماكس في غرفة قذرة مُقيدًا ينزف من ظهره الدماء ونام بعد أن حقنه الحارس بحقنة كوكايين.
بعد لقاء دينا ببترو الجاسوس الروسي الشديد المراس والذي كان سبب سجنها ستة أشهر إلا أنها لم تجد إلا فيه الشخص المناسب لمساعدتها في العثور على ماكس بعد أن تخلت عنه قيادة ال سي آي ايه وخاصة أن معه الحقيبة السوداء التي ستكشف كل شيء مخفي عن مقتل الرئيس إلا أن رئاسة السي آي أيه كانت تشك في علاقتها بالمخابرات الروسية وهي سبب حضور الرئيس إلى قاعدة كابول العسكرية لقتله وإفشال السلام الذي لم يولد بعد، بدأ هذا الشك يأخذ مجري الاتهام منذ أن كانت دينا مع بيترو على كورنيش نافورة الماء أمام جامع الشيخ أثناء آذان العصر، وأخفت دينا في تقريرها أنها تحدثت معه عن العلاقة الأمريكية الأفغانية إلا أن التقدم التقني مسح الآذان وأبقى المحادثة على شريط التسجيل.
السيد توم على علم بما آت لدينا من مشاكل وإن تم هذا التلفيق سيكون نهايتها السجن هنا وما عليها الآن إلا أن تلملم حاجتها وترحل وقابلها السيد توم وقال ذلك لها فلم تصدق إلا أن القائل هو توم صديقها ورئيسها وأبيها ومعلمها فهو إذا صادق فيما وصل التحقيق له وقال لها

إن الـ أف بي آي معنا الآن وهم يضعون اللمسات الأخيرة لتوقيفك، قالت دينا وهي دامعة العينين وهل أنت تصدق ذلك على، فزغرت عينيه من خلف نظارته السميكة وهز رأسه يميناً ويساراً زامًا شفتيه علامة الرفض القاطع من أن هذا يصدق، هم لا يعرفون من تكون دينا لأن أمامهم وقائع تمت وسجلت عليك ومنها تظهر لهم الحقيقة ولكنها ليست حقيقة هي فقط نتيجة، وأمامك الآن دقيقتين لتخطفي حقيبتك وترحلين والسيارة في انتظارك، هذا وأثناء حديثه معها كان عقلها يفكر بقوة، لأنه كما قال لها أما أن ترحلين معززة مكرمة وأما أن ترحلين مقيدة اليدين وهذه كانت آخر جملة سمعتها من السيد توم، وهي في سيارة الرحيل إلى المطار لمحت سيارة أخرى تركن أمام السفارة ونظرت لمن داخلها الذي ترجل وتقدم نحو باب السفارة المحاط بقوات أمريكية مسلحة رجل متشعث الرأس بلباس أفغاني ذات شارب وذقن كثيفة وعيون واسعة باتساع جبال أفغانستان وطول مئذنة جامع الشيخ وقد بطحوه الجنود أرضا شاهرين أسلحتهم إلى جسده الضخم ورقد مستسلما على وجهه رافعا يديه لأعلى وقيدت يديه خلفه وجاءه السيد توم لإنقاذ صديق السلام الأمير حسن كندار إلا أن الجنود نحوا السيد توم وقادوا كاندار إلى الداخل.

رحلت دينا في سيارة رسمية إلى المطار بصحبة رفيقتها الحارسة عليها والمتتبعة خطاها إلى المطار وانتظرت خلف الزجاج العازل لحين مرور دينا من الكنترول وإلى الطائرة واطمأنت من أنها داخل الطائرة، إلا أن الممر الطويل الواصل إلى الطائرة به باب للطوارئ في آخر الممر

وزاغت منه دينا إلى سلم المطار وتقدمت منها سيارة رباعية يسوقها بيترو الذي طلبت منه العون في إنقاذ ماكس ورحلت معه عبر الجبال إلى معسكر طالبان الذي دله معارفه بأن ماكس هنا ومن أعلى الجبل نظرت بنظارتها المعظمة إلى معسكر طالبان في إحدى السهول ولم تشاهد ماكس الذي كان أكيدا رهن الاعتقال حاولت دينا التسلل لإنقاذ ماكس ومنعها بيترو إلا أنها أصرت ورفعت سلاحها وتلصصت حول الحواجز القش لعلها تلمح ماكس، ودخل عليه اثنين من طالبان وقادوه رغم جرح ظهره وإعيائه إلى سيارة نقل زمجرت تحت سمع ونظر دينا التي لم تنهي مهمتها بعد وطلبت من توم تليفونيا المساعدة ولم تجده بل كان رئيس الـ سي آي أيه الذي اندهش من وجودها.

حسن كندار سلم إلى الرئيس الأفغاني الذي أفرج عن مجموعة من المعتقلين مقابل كندار وأحيل إلى المحاكمة في اليوم التالي ولم تفلح محاولات السيد توم في إقناع القاضية بأن تأجل النطق بالحكم لوقت آخر، وضع حسن كندار في قفص الاتهام الحديدي وامتلأت صالة المحكمة بالجمهور الذي أصيب في انفجار طالبان وطالبوا بإعدامه، ولم تأت القاضية بل تغيرت في آخر لحظة بقاض غليظ العقاب، وحكم على حسن كندار أمير طالبان بالإعدام.

حاول السيد توم الاتصال برئيس وزراء أفغانستان السابق وابنته نادية على أن يتوسط لإنفاذ كندار ورفض أما ابنته وافقت وذهبت مع توم إلى ابعد ما يكون لإنفاذ غريمها، ولم تفلح مسعاها ممّا حدي بتوم أن يتصل بالرئيس الأمريكي لعل وعسي ورد المستشار إليكس الذي قال

إن الرئيس الأفغاني الحالي هنا في واشنطن ليسلم الرئيس الأمريكي جثمان الرئيس المقتول في حادث الهليكوبتر.

ولم يصدق توم لأنه لا يوجد جثمان للرئيس بعد أن قذفت قوات الطيران الأمريكي مكان الحادث، أما العلم الأمريكي الذي لف به صندوق الجثمان كان خاليًا بل بروتكون سياسي من الرئيس الأفغاني إلى الرئيس الأمريكي لتكون حجة لهذه الزيارة التي لم يعلن عنها.

ستيف الرئيس الأمريكي الجديد ملقلق مختل التفكير ينتظر من يشير إليه، عين مستشار جديد من اليمين الأمريكي متعطش للحروب من أجل الحرب وأشار على ستيف بالوقوف مع الرئيس الأفغاني في حربه ضد طالبان، لكن أين السلام في ساحات الدمار لشعوب ليست واعية لما يخطط لها وضد أحلامها في العيش الكريم، وأعدم حسن حقاني أمير طالبان وفي نفس الوقت أعدم ماكس خبير الكمبيوتر والاتصالات بجوار دينا التي استماتت للدفاع عنه ولم تفلح وانتظرت السيد توم لتكفين ماكس لكنها قامت بهذا العمل مع بيترو ووضعوه على لوح من الخشب في انتظار توم الذي حملته طائرته وطلب من دينا أن تزعن له وتعود إلى أمريكا واقتنعت في إخلاص توم واتجهت إلى الطائرة ولاحظت أن الجنود يحوطها فاتخذت خطوة إلى الخلف وتقدم إليها أحد الجنود وفي يده أسورتين من البلاستيك لتقييد يدي ورجلي دينا لكنها لم تمهلهم ورفعت سلاحها عل صدر توم الذي أمر بوقف التوقيف وقالت دينا له أنت لست صديق أنت خائن عميل، وبهت وجه توم ورحل إلى الطائرة وارتفعت واستقلت دينا سيارة بيترو وسابقت الإسفلت إلى النقطة

صفر التي كان توم يتبعها نادمًا، وتولي طارق حسن كندار زعامة طالبان ومواصلة الحرب ضد من ولصالح من؟!

لكن كلمة الله صدرت منه ورددتها الجماعة وبذكر اسم الله نقتل.

السيارة الروسية التي تحمل دينا وبيترو تسابق الإسفلت ويتابعها مكتب الـ سي آي أيه وعيون توم أيضًا إلى الرقم صفر واختفت السيارة بمن عليها في أزقة وحواري كابول المغطاة بالخرق البالية وغير البالية قال بيترو وبعد موت إليكس ضاعت معالم الحقيبة السوداء ودفنت معه سر سقوط هليكوبتر الرئيس فقالت دينا لا لأني أعرف أين هي وعلينا أن نبحث عنها وذهب مع دينا إلى فندق وحجز غرفتين وتركها وذهب تحت وابل من نظرات الشوق له، لكنه حاول إخفاء شهوته وتطلعه لها إلى حين ينتهي من عمله، وجدت دينا نفسها حبيسة الفندق فقررت الزوغان من حارسها الذي وضعه بيترو عليها، وقفزت من الشباك متسللة الحائط إلى أسفل وكان مقصدها منطقة بيع الأسلحة وتصليحها من مخلفات حروب الدولة مع الروس والأمريكان وطالبان وعثرت على من يدلها عن مقصدها ووجدت الصندوق الأسود وبيترو أيضًا الذي سهم ومد رقبته وهي كذلك من سعادتها بالكنز المفقود التي دفعت مليون دولار ثمنًا لله من خزانة أمريكا التي لم تنضب بعد موافقة السيد توم طبعا وهنا كان العناق أكثر من المليون دولار وفي لحظة حب وعناق غرس بيترو حقنة مخدرة في رقبة دينا التي وقعت بين يديه وحملها مع حارسيه إلى الفندق وعلى سريرها أرقدها تسبح في أحلامها.

* * *

ماجدة ابنة وزير الداخلية الباكستاني سابقًا والتي كانت مع الحروب واليوم انقلبت إلى السلام وحاولت إقناع أبيها لكنها فشلت وأصبحت صديقة دينا وتبحث أيضًا عن حقيقة سقوط طائرة الرئيسين وذهبت إلى إحدى قيادات طالبان لعله يساعدها أن تلتقي بمن حل محل حسن كندار، اصطحبها جنديتين ملثمتين من بنات طالبان إلى الزعيم الجديد وكان طارق كندار الذي لم تستوعب أنه هو القائد وقالت له أتريدني أن أكون معك؟ وأنت مع من تكون؟!

تركها وخرج إلى سطح داره لتشاهد جموع الخلق المتجمهر ليل نهار أمام منزله لمبايعته إلى آخر المدى ورفع يديه وهللت الجموع بالله أكبر .. الله أكبر ونظر إليها وقال أتكفي هذه الجموع بأن أعبر عنها أنهم جموع أبي الذي قتله الأمريكان، لكن البنية بكل صلابة واقتدار رفضت أن تخضع له ولا لجموعه لأنها تريد السلام لبلادها.

البيت الأبيض دائمًا أبيض ومشغول بأحداث العالم المختلقة يمينا تارة ويسارا تارة والرئيس ستيفن يتأرجح بين الاثنين وقد عجبته هذه الأرجوحة إلا أن الحل دائمًا يأتي على يد السيد توم الذي حضر اجتماعات القيادة لتفعيل موقف أمريكا من أحداث باكستان التي على وشك إطلاق أول تجاربها الصاروخية بعيدة المدى والمحملة بالرؤوس النووية، وكعادة ستيف أن ركب أرجوحته مُنتظرًا من يوقفها عن الدوران ونظر إلى مساعديه الذين نظر كليهما للآخر متغافلين غرق رئيسهم إلى أن لمح عينين السيد توم من خلف نظارته السميكة المغيمة وطلب تأجيل الاجتماع، قال توم للرئيس أن يلتقي بالسيد السفير الروسي

لمناقشة الرأي في مسألة الحدود الباكستانية والأفغانية التي تصل إلى مائة ألف ميل ودور طالبان الذي لم يهدأ بعد.

دينا مصرة للعثور على الصندوق الأسود للهليكوبتر المنكوبة بالرئيس الأمريكي السابق وعندما وصلت إليه اختطفه العميل الروسي بيترو، عندما أفاقت من حقنة المخدر توجهت إلى صديقها الشاب الذي يعمل في النقل بسياراته وأخذت ورقة من السيارة وكتبت عليها كل ما سجله عقلها من الصندوق الأسود وطلبت أن تذهب إلى المطار وهناك قابلت مسؤول المطار حول رحلة الرئيس وقالت لقد عثرت على الصندوق الأسود لكنه سرق مني وقد استمعت إلى ما فيه وفردت الورقة التي كتبتها أمامه ولما قرأها اعتدل ورأى أن كلامها فيه صدق لكن المشكلة أن الصندوق ليس معها أذا لا داع للكلام بدون دليل قاطع، عادت إلى سيارة صديقها الأفغاني تفكر وما العمل وسمعت هناك تفجيرات عظيمة رجت المدينة بمن فيها وكان هجوم طالبان بسيارة مفخخة على المطار الأمريكي وضعها طارق كندار لبدأ الهجوم على الأمريكان وتصفية قواعدهم، وهنا قررت دينا عليها العودة إلى الولايات المتحدة لأن أعدائها هناك وعليها أن تحاربهم في عقر دارهم طلبت من صديقها أن يقودها إلى مبني السفارة الأمريكية وشكرته وترجلت إلى أن أوقفتها الشرطة العسكرية الأمريكية على باب السفارة وبعد تفتيشها سمح لها بالعبور من بوابة الدخول واستقبلها على الباب رئيس جهاز الـ سي آي أيه وقال لها سيقبض عليك أفراد الـ أف بي آي فنظرت إليه دون اكتراث وسارت بين حارسين إلى مكتب التحقيقات الفدرالية ولم يستغرق

الاستجواب سوى بعض دقائق ومنها تم القبض عليها ووضع القيد البلاستيك حول معصميها وسارت معهم تصطحبها نظرات موظفي السفارة وزائريها إلى أن ركبت الطائرة مع حراسها وأقلعت إلى واشنطن.

كانت خطة دينا هو اعتقالها بعد لقاء سريع مع العميل الروسي بيترو الذي قال لها نعم الصندوق الأسود معي فقالت وكم تريد لكي تتركه لي لأنه ملكي أنا وليس ملك الروس قال بيترو: هذا ما أطلبه!

يعمل لدي السيد توم عميل روسي وأنا أريد معرفة من هذا العميل وفي مقابل ذلك أعطيك الصندوق الأسود فقالت لا أتجسس على السيد توم و ولا أقبل أن أخونه ولا أخون بلدي فإن كنت تطلب ما لا فقل رقمًا، قال لا للمال ونعم للعميل الروسي وإن كنت لا تريدين العمل ضد توم اذا عليك أن تعملي أنت لحسابك وتعودين إلى واشنطن وتعملين على معرفة هذا العميل وكان هذا قرارها للعودة بالقبض عليها من الـ أف بي آي وتلقفها السيد توم وسألها عن الصندوق وقالت أنه مع الروس وعليك أن تري ذلك مع السفير الروسي هنا، وذهب فعلا لمقابلة السفير الروسي ودخل في لب الموضوع كما تعودنا أن نقول "خبط لزق" وبعد المناقشات وصل إلى أنه لم يعرف شيء عن الصندوق الأسود وكانت دينا تعلم جيدًا أن توم لن يأخذ حلا مع السفير إلا أنها تريد كسب الوقت في خدمة توم حتى تتعرف على من يكون هذا العميل الروسي ثمنًا للصندوق الأسود الذي هو في الحقيقة أحمر.

بعد إجراءات الإفراج عنها بواسطة توم استدعاها إلى مكتبه وتحدث معها وهو يعرف أن دينا لن تخونه ولن تقول إلا الصدق معه لكن

عمله في الـ سي آي ايه جعله يأخذ حذره دائما ولم يحاول أن يوقع بها بل كان حديثه أيضا صريحا معها، أشارت له من بعيد أن ثمن الصندوق الأحمر الإفشاء عن العميل الروسي الذي يعمل معك، وتنهد توم وبفكرة تبعد دينا عنه الآن لأن صورة أولجا مدرسة الانجليزي ظهرت له دون مقدمات هذه المدرسة البيضاء الشقراء الروسية الطلعة التي أحبت توم وهو شاب في مقتبل رجولته وهو يعمل في برلين كمندوب في مكتب الـ سي آي أيه.

قال توم :لدينا هل تعلمين أين ستقضي هذه الأيام؟!

قالت: لم أفكر بعد وعزم عليها أن تكون ضيفته في بيته.

وفعلا أعطاها مفتاح بيته وكانت سعيدة بذلك لأنها ستكون أقرب إليه من عملها في المكتب بجواره لكن كل منهما يعرف حدود الآخر، وسبح السيد توم مع أولجا هناك في برلين عندما اقتحمت عليه حياته وفرضت نفسها برشاقة واقتدار فكانت صديقته وخليلته في آن واحد، وعند عودته إلى منزله في برلين ليلا خرج عليه اثنان ملثمان من رجالات الأمن محاولين وضعه في سيارتهم وقتله إن لزم الأمر، وعندما شوح أحدهم بسلاحه في ظهر توم أطلق عليه عيارًا واحدًا قضى عليه ورد العيار صديقه، لكن الطلقات فاجأته من مكان غير معروف ممّا أطار بروحه إلى السماء، وظهرت أولجا من خلف عامود المبنى بعد أن أنقذت توم في هذا المكان المظلم المعزول عن المدينة.

وشكر لها أنها أنقذت حياته من موت محقق، وحمل لها هذا الجميل حتى أن أشاحت دينا بيدها وانصرفت.

عملت أولجا مترجمة مع الوفد الروسي في الأمم المتحدة بنيويورك، وأثناء اجتماع الوفد الروسي دخل عليهم توم غاضبًا صارخًا في الجميع مُوجهًا حنجرته إلى السفير الروسي قائلا: إن الصدوق الأسود عندكم.

وهاج الجميع وعم الهرج في القاعة وأتى الحرس لإخراج توم وتهدئة الوضع، وهنا عرف الجميع من الذي قتل الرئيس الأمريكي ومن أسقط الهليكوبتر، وبدأت المراسلات بين أولجا وتوم داخل غلاف الكتاب الأحمر ووضع الاثنان علامة الرسائل في واجهة مكتبة روسية لوجود رسالة جديدة، دعبست دينا في محتويات منزل توم وبدأ تطلعها إلى مكتبته التي لمحت وجود هذا الكتاب الأحمر بكثرة وكل أعداده وسنواته وبدأت البحث في الكتاب لعلها تجد ضالتها، ووجدت بين غلاف الكتاب المقوي ورقة صغيرة بها ما نقل إلى توم من أخبار "الكريمنال" وأن قتل توم لمعرفة العميل الروسي الذي يعمل مع توم غير واردة الآن وهي لن تفعل ذلك مُطلقًا حتى وإن كانت حياتها ثمنًا لذلك، لكن الأمور سارت عكس التيار عبر محادثات دينا وبيترو عبر الانترنت ومنه اتصلت بها سيدة لتقنعها أن مستقبلها متوقف على قتل توم بطريقة بسيطة وهي تسميم جسده بمادة مشعة وأعطتها زجاجتين تضع السائل في كأس وعليه من الزجاجة الأخرى ملعقة شاي واحدة وتبللي أصبعك المغطي بالقفاز وتضعينه على عنقه سيسقط بعد ثلاث ثوان وتستطيعين استجوابه دون أن يشعر عن اسم العميل السري الذي يعمل معه وافتعلت دينا الخلاف بينها وبين توم وطلب منها توم مغادرة منزله فورًا وتأزم الموقف بينهما وخطفت كتاب أحمر وقالت عرفت سر

المراسلات بينكم في الكتاب وأصر توم على أن تغادر منزله وتقدمت خطوة منه ووضعت إصبعها في المحلول المشع خلفها، ومسحت على رقبة توم الذي تهاوى ساقطًا على الأرض دون وعي منه، واتصلت دينا بمن سيساعدها في نقل جثمان توم وحضر رجلين من الـ ك. جي. بي لحمله وهي تحاول استجوابه في سكرة الموت لكنه نظر إليها بعينين مغلقتين في آخر مشهد في حياته وقال بإعياء: لن أقول.

* * *

سافرت دينا لمقابلة شقيقة توم في إسرائيل وقالت لها أن توم مات وسبقت الأحداث وقال لها أن تذهب إلى أختي وطلب الرسالة التي تركتها لك عندها وصدقتها وفتحت خزانتها وأخرجت رسالة شقيقها لدينا وبها شريحة كمبيوتر وبدلا من أن تعود مع شقيقة توم لعزاء أخيها قالت بأنها ستذهب إلى سوريا في عمل ومنها نلتقي في واشنطن وافترقتا وكانت بيترو في انتظارها وصارح بعضهما بأنها تعرف العميلة الروسية وما عليه الآن إلا تسليم الصندوق الأسود/ الأحمر.

وتأكد هو من ذلك، وهي كذلك، وأبلغ بيترو عملاءه في نيويورك بأن العميلة هي أولجا وعليهم تصفيتها فورًا إلا أن الـ سي آي أيه تنبهت لذلك وأرسلت في من يحميها من الموت وكان رئيس الـ سي آي أيه وهرع إليها وأخبرها أنه من طرف توم ويعرف أسطورة الكتاب الأحمر فصدقته، وتابعت خطوته إلا أن عملاء الـ ك جي بي تابعوهم إلى أن وصلوا إلى ممرات تحت المبني وهم يتابعونهم وطلبت أولجا المسدس لقتل نفسها لأنها مقتولة مقتولة، وأعطاها سلاحه وأطلقت طلقة واحدة

على يمين رأسها أخذت ما بقي من عمرها، أما دينا التي باتت تعمل مع بيترو وحلت محل أولجا في الجهة الأخرى وأصبحت عيون الكرملين في موسكو على واشنطن وعاشت في موسكو كأميرة متوجة بين ذراعي بيترو ذات الجسم الرياضي طول بعرض حلم كل فتاة، في بيت أنيق من الزجاج يطل على العاصمة التي شهدت معه حفلات الموسيقي والباليه الروسي الشهير، تفرغت دينا طوال سنتين لكتابة تاريخ عملها في الـ سي أي أيه، في كتاب وقد ترجم للعديد من اللغات وأصبح من الكتب الأكثر مُبيعًا، ولم تبخل الجميلة دينا عن إرسال نسخة هدية إلى رئيسها توم الذي علمت أنه لم يمت بعد، وكانت مقدمة الكتاب مهداه إلى ابنتها شيرين لعلها تفهم موقف أمها عند الكبر والفصل الأول كان مُخصصًا لزوجها سالفاتور ديفرانكو المناضل الأول في الجيش الأمريكي.

استلم توم الرسالة من البريد، وجلس يتأمل المظروف الأصفر والعنوان الذي أرسل عليه، وسألته أخته قبل سفرها: إن كان يحمل أخبارًا سعيدة، فنظر إليها من تحت نظارته الغامقة السميكة، وهز رأسه ليريح أخته دون تعبير محدد، لكنه لم يفلح في التحكم في شفتيه التي داعبت دينا كالنسيم، وقال في نفسه والآن لأمريكا عيون في الكرملين، وقرأ عنوان الكتاب مرات لمؤلفه دينا بيري إلى أن أفرجت شفتيه عن ابتسامة ماكرة، وقال بصوت سمعته أخته لكنها لم تعقب.

* * *

شخصيات الرواية طبقًا للحروف الأبجدية

دينا بيري: سيرجان في المارينز ثم عنصر في الـ سي آي أيه

سال ديفرانكو: سيرجان في المارينز ثم عنصر الـ سي آي أيه

آن: طبيبة وأخت دينا

ألان: زوج آن

أريك: سيرجان في المارينز

آمنة : محللة اقتصادية في الـ سي آي أيه

ألسون: رئيسة الـ سي آي أيه في برلين ألمانيا

أكسل: شاب ألماني يعمل في الدعارة الالكترونية

ايميلينا: سكرتيرة السفارة الألمانية

أندرياس: مدير المخابرات الألمانية

أحمد مسعود: عميل أمريكي في الـ سي آي أيه

ألان: مساعد كترين

إليكس: مستشار الرئيس الأمريكي

أولجا: مدرسة اللغة الإنجليزية في برلين

أدا: صحفية ألمانية وتعمل في المخابرات الألمانية

أبو مختار: خياط فلسطيني

بول: كابتن في المارينز الأمريكي

بوب: ابن سال وجيسيكا

بنيتا: زوجة توم

بيتر: مدير مؤسسة المساعدات الألمانية في الشرق الأوسط

بيترو: جاسوس روسي

تينا: أستاذة العلوم السياسة وأخصائية في الأحوال الروسية

توم: رئيس تينا

جون: صديق دينا، وكيل في الـ أف بي آي

جان بيير: عميل فرنسي إسرائيلي

جسيكا: زوجة سال

جون: بنت آن

جوهن: ابن نائب الرئيس

جون كيث: أحد أثرياء أمريكا وصديق نائب الرئيس

حسن كندار: زعيم طالبان

ديفيد: قائد عمليات الـ سي آي أيه

دار: زعيم اليد السوداء

دورين: مشرفة اجتماعية

مختار: قائد التنظيم في سوريا

ستيف: محامي مؤسسة الأغذية

سيبكو: طالب نيجيري

سميرة: زوجة شهيد، تقدمت للعمل عند دينا

سوزان: سفيرة الولايات المتحدة في باكستان

كرس: رئيس الـ سي آي أيه ونائب الرئيس الأمريكي

كارول: ابنة سال

كاثي: عضو في حزب الله وهي أمريكية الأصل

كون أو كوين: ذات خبرة بشؤون الـ سي آي أيه

ميمت: شاب تركي يعمل في الدعارة

عاطف: رئيس المخابرات العسكرية الباكستانية

عدنان: من أتباع أبو طارق

مايكل: زوج سفيرة أمريكا وأستاذ اقتصاد

مايك: رئيس الـ سي آي أيه فرع باكستان

محمد منصور: جنرال إيراني مخطط عمليات الاغتيالات

نادية: صحفية في جريدة النهار

فاطمة: زوجة الأمام

شيرين: ابنة دينا

هيثم: ابن أبو طارق

وليد: طالب طب

ماكس: مهندس كمبيوتر الـ سي آي أيه

مارك: رئيس محطة مارك نيوز التلفزيونية

ماجدة: ابنة وزير الداخلية الأفغاني

كاترين: رئيسة الولايات المتحدة المنتخبة

كارل: زميل دينا

كاتي: حارسة دينا في أفغانستان

نزار: سوري الأصل وأستاذ كيمياء في الجامعة

كوهين: رهبان يهودي ويعمل مع الموساد

رضا: إيراني ويعمل في تطوير المفاعل النووي الإيراني

فلاديمير: رئيس المخابرات الروسية الـ كا. جي. بي

مارتين: فرنسية وتعمل مع الـ ك. جي. بي

رامي: جنرال سوري

طارق: ابن القائد حسن كاندار

ستيفن: الرئيس الأمريكي الجديد

بعض هذه الشخصيات حقيقية وحكت لي بعض من أحداث هذه الرواية والبعض من خيال الكاتب.

أخذت الأسماء الحقيقية بعد موافقة أصحابها.

السيرة الذاتية

* محمد يوسف عبده وشهرته: عاطف يوسف
* ولد في الإسكندرية – مصر عام 1943
* درس في كلية التجارة جامعة الإسكندرية عام 1968
* هاجر إلى فرنسا عام 1972 ودرس الاقتصاد بجامعة السوربون
* عمل في وزارة الثقافة الفرنسية.
* انتقل عام 1997 إلى الولايات المتحدة الأمريكية
* درس الأدب الأمريكي
* المقايضة بجامعة هارفارد
* عمل أستاذًا في الاقتصاد والتجارة الخارجية
* كاتب صحفي ومراسل
** من أعماله الأدبية التي نشرت باللغة العربية في مصر:
- رواية الجدع 2010 عن مركز الإسكندرية للكتاب
- الطبعة الثانية من رواية الجدع – 2017 دار غراب للنشر
- الآنسة شروق 2011 عن دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة
- العربجي 2011 عن دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة
- العرضحالجي أو في انتظار فرج 2012
- العرضحالجي الطبعة الثانية عن دار الأدهم بالقاهرة
- السمفونية الخالدة .. رباعية:

* السيمفونية الخالدة 2015 عن دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

1- الحكيم في باريس - دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

2- طه حسين في باريس- دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

* السيمفونية الخالدة 2016 عن دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

3- رفاعة الطهطاوي في باريس- دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

4_ زكي مبارك في باريس- دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

- حكاية زينة 2017 عن دار غراب للنشر والتوزيع بالقاهرة

- مسرحية الريحاني والسبع بنات 2020 عن دار الأدهم القاهرة

- لماذا خنت بلدي؟ ـ رواية ـ دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

** للتواصل مع المؤلف: Email

atef.youssef.usa@gmail.com

أحدث إصدارات دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة

253 ـ الكنز المكنون ـ رواية ـ علاء درويش ـ مصر
254 ـ العقل ورسالات السماء ـ على جنيدي ـ مصر
255 ـ دماء على جثث الغرباء ـ رواية ـ د. جهاد الخواجا ـ الأردن
256 ـ جماليات المكان في الرواية المصرية المعاصرة/د. بيومي طاحون/مصر
257 ـ الفحل ـ رواية ـ صلاح عبد السيد ـ مصر
258 ـ أمنية ـ رواية ـ د. سليمان عوض ـ مصر
259 ـ شجرة الرمان ـ قصص ـ د. أيمن الداكر ــ مصر
260ـ حلم عفت الصياد ـ رواية ـ د. سليمان عوض ـ مصر
261 ــ ثلاثية الوداع الأخير ـ شعر ـ فوزية دياب ـ مصر
262 ـ أصل الحكاية/ انتباه ج 1 ـ رواية ـ وجدي عبد الهادي ــ مصر
263 ــ الرئيس القادم ـ رواية ـ د. فوزي سويد ـ مصر
264 ـ المحطة الأخيرة ــ قصص ــ شحته سليم ـ مصر
265 ـ هذيان ربما أخير ـ نصوص ـ عبد الفتاح صبري ــ مصر
266 ــ همسات ــ نصوص ــ منال الحداد ــ مصر
267 ــ في حب مصر ـ شعر ـ د. محمد عبد الواحد طرابيه ـ مصر
268 ــ مراتب الروح ـ شعر ـ د. محمد عبد الواحد طرابيه ـ مصر
269 ــ فيروس كورونا المستجد ـ شعر ـ د. محمد عبد الواحد طرابيه ـ مصر
270 ـ المذيع وفن الإلقاء ـ د. محمد عبد الواحد طرابيه ـ مصر
271 ـ مملكة الياسمين ــ قصص ــ رزق المدني ـ مصر
272ـ لماذا خنت بلدي؟ ـ رواية ـ دكتور عاطف يوسف ـ مصر
273 ـ كتاب N^{O} 1 في علم الفضاء ـ علاء الدين الشيخ ـ السودان

منافذ توزيع إصدارات دار سندباد للنشر بالقاهرة

1 ـ مكتبات العبيكان ـ الرياض ـ وفروعها بالمملكة العربية السعودية
2 ـ مكتبة دار الكتاب العربي ـ شارع الحلبوني ـ دمشق ـ سوريا
3 ـ مكتبة مدبولي ـ 2 ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
4 ـ مكتبة الشروق ـ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
5 ـ مكتبة كنوز ـ 14 شارع جواد حسني ـ القاهرة
6 ـ مكتبة عمر بوك استور 15 شارع طلعت حرب ـ القاهرة
7 ـ مكتبة البلد ـ 31 شارع محمد محمود ـ ميدان التحرير ـ القاهرة
8 ـ مكتبة آفاق ـ 1 شارع كريم الدولة ـ بجوار آتيلييه القاهرة ـ القاهرة
9 ـ مكتبة دار العربي للنشر ـ 60 شارع القصر العيني ـ القاهرة
10 ـ مكتبة ليلي ـ 17 شارع جواد حسني ـ شارع قصر النيل ـ القاهرة
11 ـ مكتبة سندباد ـ 1 شارع أبو بكر خيرت ـ خلف البورصة ـ القاهرة
12 ـ مكتبة سنابل ـ 5 شارع صبري أبو علم تقاطع شارع شريف ـ القاهرة
13 ـ مكتبة رؤية ـ شارع البطل أحمد عبد العزيز ـ باب اللوق ـ القاهرة
14 ـ مكتبة نفرو ـ 2 حارة الجنايني ـ شارع معروف ـ القاهرة
15 ـ مكتبة بورصة الكتب ـ 25 شارع شريف ـ القاهرة
16 ـ مكتبة دار حراء ـ 33 شارع شريف ـ القاهرة
17 ـ مكتبة آدم ـ جراند مول ـ الدور الأرضي ـ المعادي ـ القاهرة
18 ـ مكتبة الكتب خان ـ 2 شارع اللاسلكي ـ المعادي الجديدة ـ القاهرة
19 ـ مكتبة منشأة المعارف ـ محطة الرمل ـ الإسكندرية
20 ـ مكتبة سندباد ـ 31 شارع توفيق الحكيم ـ نجع حمادي ـ محافظة قنا